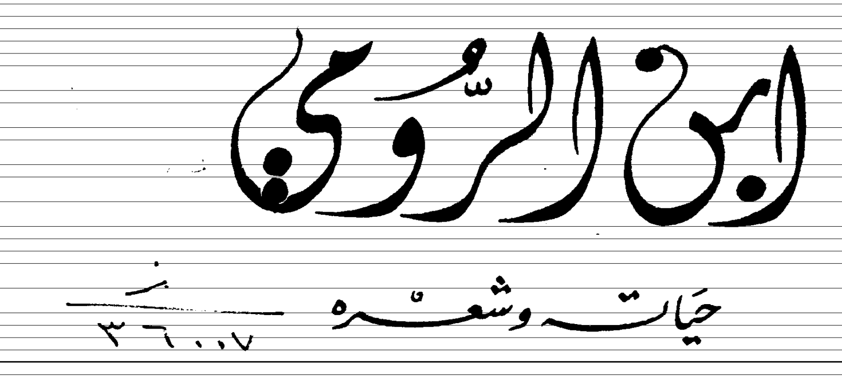


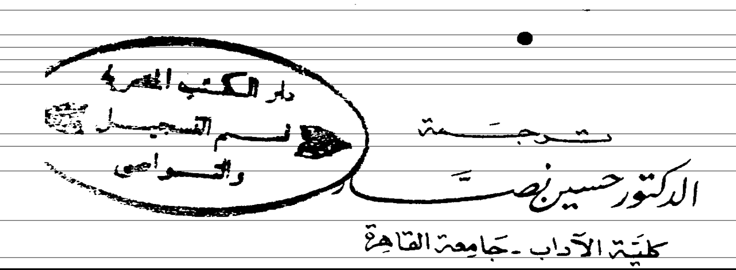
ابن الرومي

حياته وشعره

تأليف

روفن جست

•

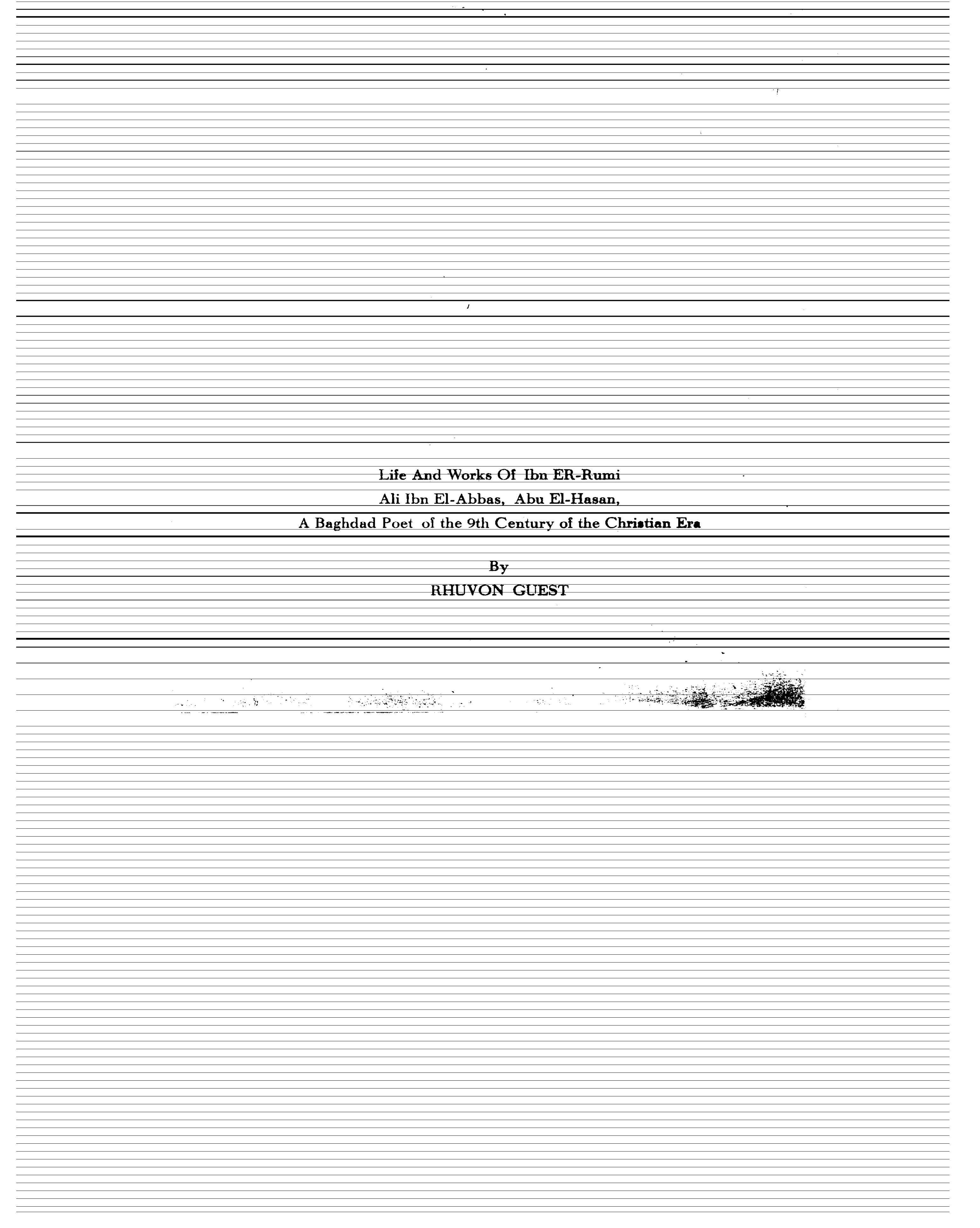


ترجمة

الدكتور حسين نصار

كلية الآداب - جامعة القاهرة

دار الثقافة بيروت



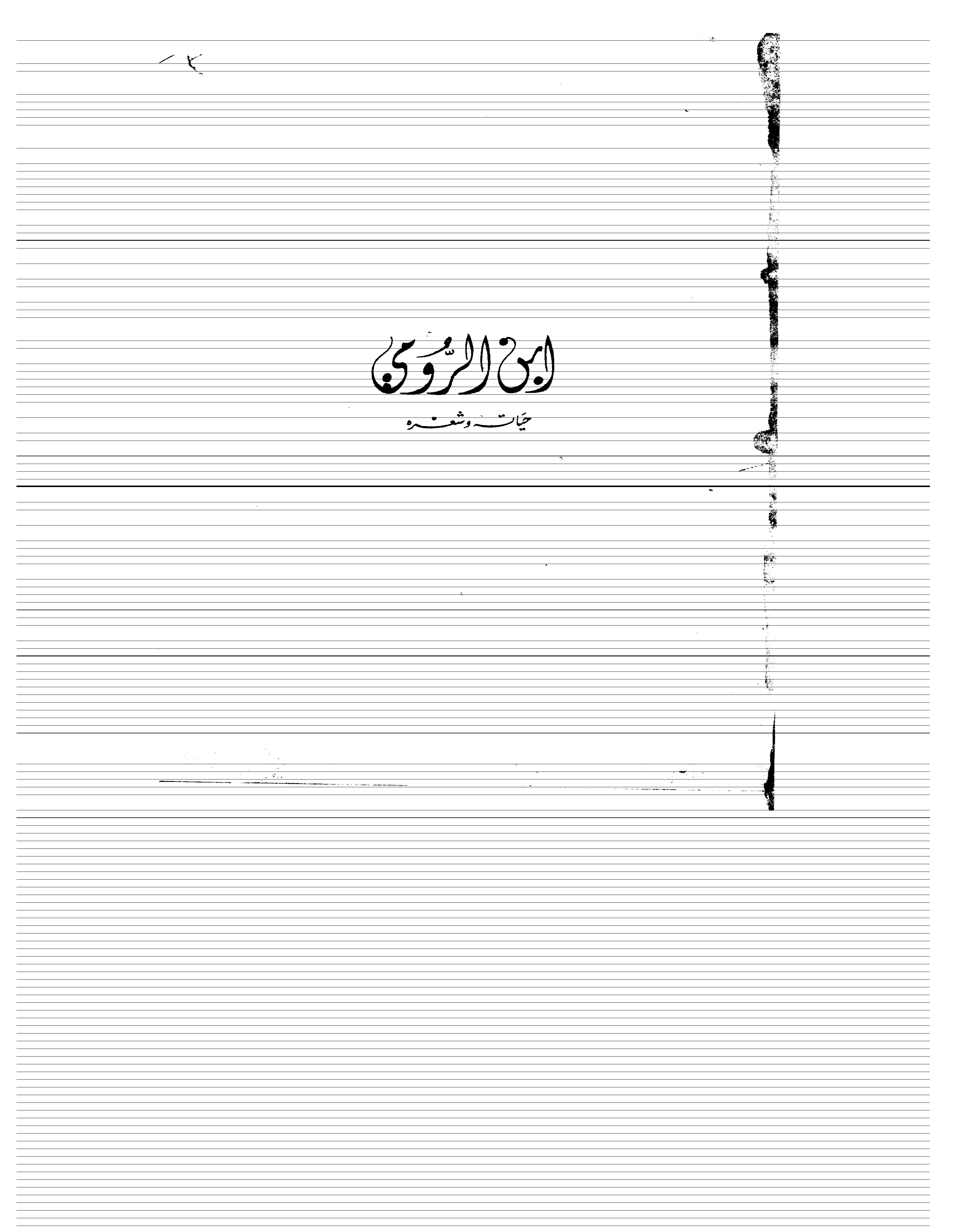
Life And Works Of Ibn ER-Rumi

Ali Ibn El-Abbas, Abu El-Hasan,

A Baghdad Poet of the 9th Century of the Christian Era

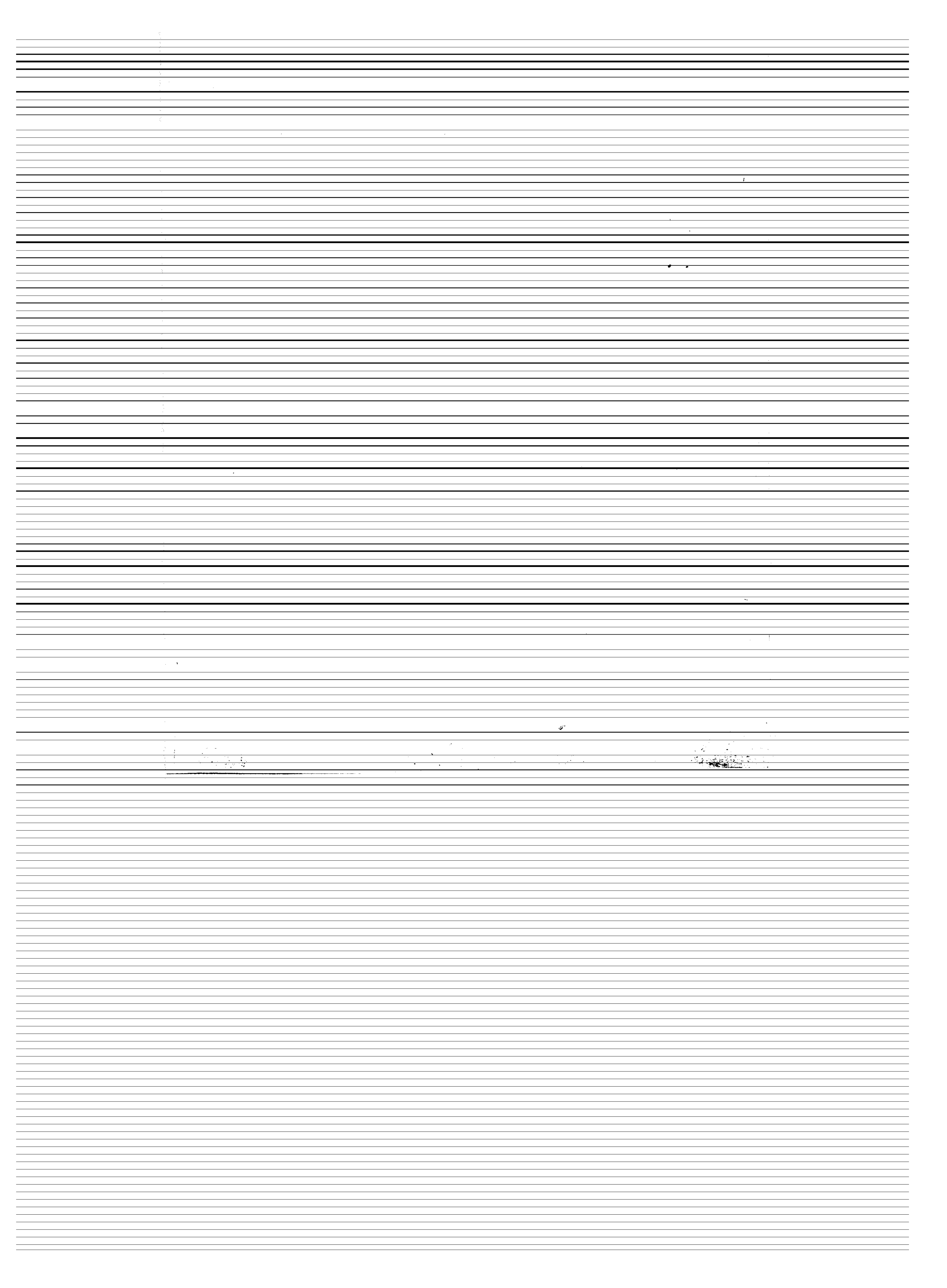
By

RHUVON GUEST



ابن الرومي

حياته وشعره



مقدمة المترجم

ابن الرومي شاعر ذو طابع خاص في الأدب العربي ، ربما لا يماثله فيه غيره. وكان ذلك سبباً في تطور مجرى حياته على النحو الذي تطور عليه ، وسبباً في عناية المحدثين به ، والمشتغلين من الأدباء بنظريات علم النفس خاصة . وأدى ذلك كله إلى أن ألف الاستاذ عباس محمود العقاد كتابه المعروف عن ابن الرومي ، فجمع فيه زبدة ما يمكن أن يقال عن هذا الشاعر .

وإذن ، فما الذي دفع هذا المستشرق إلى أن يخرج كتابه (عام ١٩٤٤) بعد أن طبع كتاب العقاد بزمن طويل ؟ وهل هو أهل للترجمة ؟ مؤلف الكتاب روفون جست Rhuvon Guest مستشرق كبير ، يبحث في الثقافة العربية منذ زمن بعيد ، ولعل أشهر ما أنتجه « كتاب ولاة مصر وقضاتها » للكندي . وقد قرأ كتاب العقاد ، بل قرأه في إمعان شديد كما يتضح من كتابه ، وأفاد منه فوائد كبيرة . ولكنّ ذلك لم يمنعه من تأليف كتابه .

ونظرة سريعة الى الكتابين تبين السبب . فهدف العقاد إماطة الأستار عن حياة ابن الرومي وأخلاقه وفلسفته من شعره ، أما هدف المؤلف فتيسير قراءة شعر ابن الرومي وإبانة تطور علاقاته بمن اتصل بهم في حياته ، وترتيب هذه العلاقات زمنياً ، معتمداً في ذلك كله على شعره أيضاً كالعقاد . ويرمي من ذلك - فيما أظن - إلى تمهيد السبيل إلى تحقيق شعر ابن الرومي ، وترتيبه زمنياً . فالكتابان يبتدئان من نقطة واحدة ، هي شعر ابن الرومي ، ثم يسير كل منهما في اتجاه خاص .

ولهذا السبب ألف روفون الكتاب ، ولهذا السبب أيضاً أترجمه .

وطبيعي أن يؤثر هدف المؤلف في منهجه تأثيراً كبيراً . فقسم كتابه إلى قسمين اثنين : أولهما ، وهو الأكبر ، يعالج حياة ابن الرومي ، ويجعلها في ست مراحل : الأولى لمولده وأصله وطفولته وشبابه وأوائل شعره ، والثانية لصلته ببني طاهر ، والثالثة لحياته في سامرا ، والرابعة لعهد الموفق ، والخامسة لعهد المعتضد ، والسادسة لصلته ببني وهب . ويبين في كل صلة من هذه الصلات كيف بدأت ، وتطورت ، وانتهت ، والزمن الذي بقيته ، ومـا قيل في أثنائها من شعر .

ويعالج القسم الثاني وفاة ابن الرومي ، وصلاته الشخصية بالشعراء والنساء، وعائلته ، ووصفه ، وأخلاقه ، ومزاجه ، وأحواله المالية ؛ ثم يصف المعروف من شعره مخطوطاً ومطبوعاً ، والموضوعات التي تناولها ، وآراء النقاد العرب فيه .

وصدر المؤلف كل قسم من هذين القسمين برؤوس الموضوعات التي يشتمل عليها. وهو في علاجه لهذه الموضوعات موجز كل الإيجاز ، لا تجد عنده كلمة زائدة ، بل نجد إشارات تنطوي على آراء وأفكار من الممكن عند تتبعها أن تتسع كثيراً، وأدى ذلك إلى ضمور حجم الكتاب ، مع اشتماله على كثير من الآراء القيمة . وأفاد المؤلف من أمرين : ديوان ابن الرومي المخطوط بدار الكتب المصرية ، وكتاب العقاد . فقد درسها دراسة دقيقة شاملة ، واستقصى شعر ابن الرومي تمحيصاً وترتيباً . فاستطاع من دراسة الشعر أن يخرج بصورة واضحة شاملة لعلاقاته بممدوحيه ، وصلاته الشخصية ، واستطاع من كتاب العقاد أن يوضح كثيراً من جوانب الصورة التي خرج بها من الشعر .

وكان المؤلف حذراً كل الحذر في وصفه لشعر ابن الرومي ، ومـا أطلقه من أحكام على موضوعاته ، فلم يتورط في أخطاء كالتي نراها عند زملائه من المستشرقين حين ينقدون الأدب العربي . فلم يلجأ إلى الأحكام التي تقوم على الذوق ، وإنما إلى الأحكام الاستقصائية والإحصائية . فابن الرومي قال في الغزل كذا قصيدة ،

جعل منها كذا للقيان ، فكذا لفلانة ، وكذا لفلانة ؛ والموضوعات التي يطرقها في الغزل هي كذا وكذا ، يكثر من هذا ، ويقلل من ذلك ؛ ويفتنه من المرأة كيت وكيت ... وما ماثل ذلك من إحصاءات . أما الأحكام الذوقية فثانوية، وقائمة على أحكام النقاد العرب أنفسهم غالباً .

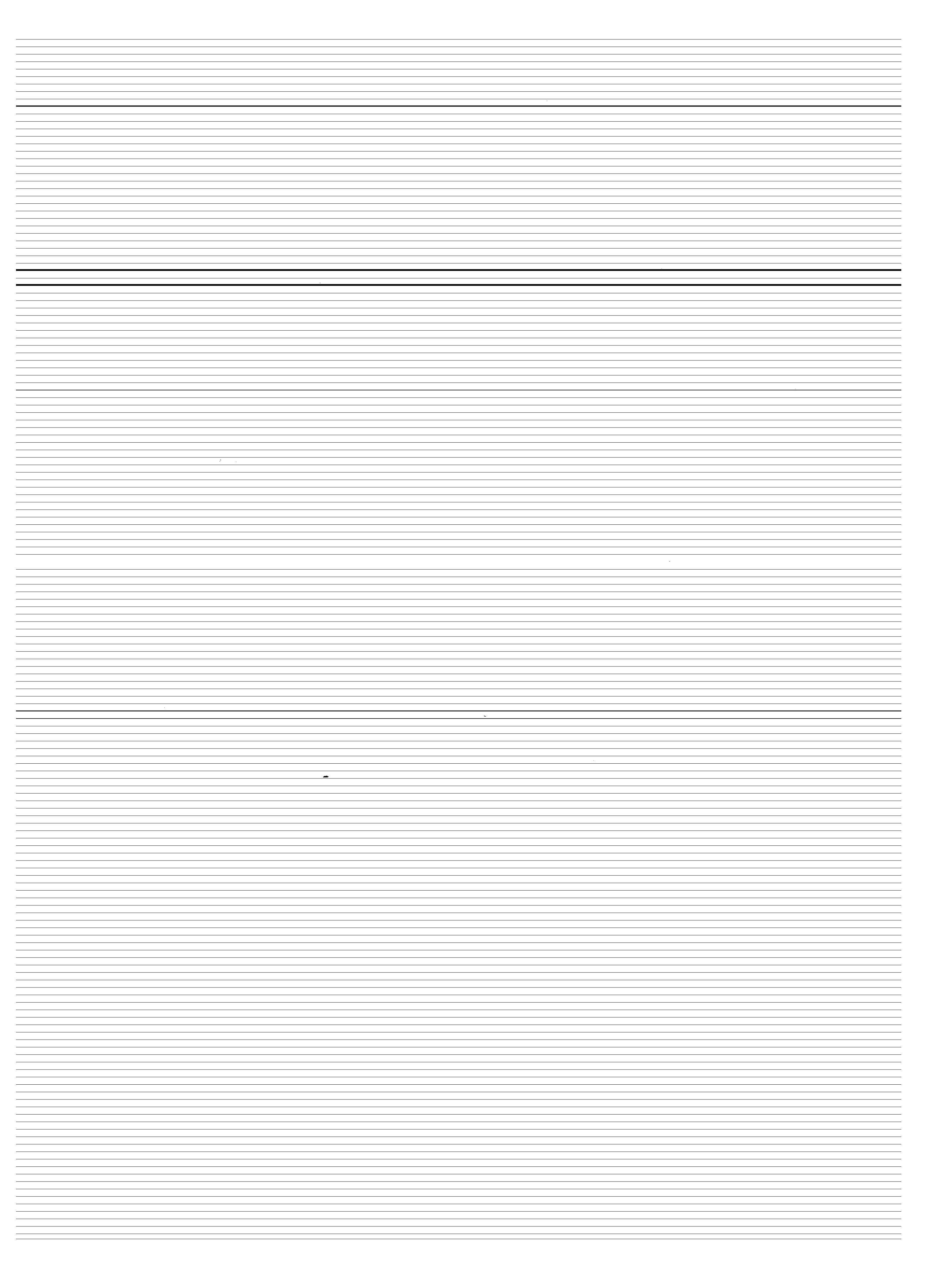
حقاً وقع المؤلف في أخطاء قليلة، نتيجة سوء فهمه بعض الألفاظ والعبارات، ولكنها لا تشوه الكتاب ، ولا تغض من قيمته ، وقد أشرت اليها في أسفل الصفحات .

وألحق المؤلف بكتابه مجموعة طيبة اختارها وترجمها من شعر ابن الرومي ، في أغراضه المختلفة . كذلك وضع تعليقاته وإشاراته في آخر الكتاب بدلاً من نثرها في أسفل الصفحات ، وآثرت اتباعه . وختم الكتاب بفهرس للأعلام الذين ورد ذكرهم في مخطوطة دار الكتب بالقاهرة من ديوان الشاعر .

ويخيل إلي أن المؤلف كان على عجل في طبع كتابه ، فأثر ذلك في أمرين : إشاراته إلى مراجعه، وفهرسته محتويات الكتاب. فالإشارات غير منتظمة احياناً، وغامضة في أوقات ، وتنقصها بعض المعلومات الهامة ، كما نرى في القائمة التي جعلها في أول الكتاب ، وفي بعض التعليقات . وفهرسة المحتويات عامة غامضة ، لا بيان فيها للمحتويات الحقة ، حتى إنه ظلم كتابه .

ولكن هذه السرعة -إن كانت حقة - قاصرة على الطبع، وليس في تأليف كتابه شيء من سرعة ، وإنما فيه استقصاء كامل شامل، بل لعل ذلك أبرز ميزة للكتاب. ورجائي أن يسهم في إعطاء ابن الرومي قيمته الحقة، وفي إلقاء الأضواء على شعره ، وحفز الهمم إلى تحقيقه ونشره ، فهو أهل لذاك .

حسين نصار



تصدير

اشتهر ابن الرومي حقبة طويلة ، لدى المهتمين بالأدب العربي ، بأنه أحد فحول الشعراء العرب الذين عاشوا في القرن التاسع الميلادي [الثالث الهجري] ، وأنه بطل إحدى القصص الشائعة . ولم يكن من المستطاع معرفة شيء آخر عنه من المراجع المعتمدة التي كانت متداولة إذ ذاك غير القليل . ثم عُثر على قدر ضئيل من المعلومات المتناثرة فيما نشر من كتب في السنوات الخمس والعشرين الأخيرة . كما نشر في تلك الحقبة ايضاً قدر له أهميته من شعره ، على حين لم يطبع قبل ذلك منه غير عدد صغير من الأبيات والمقطوعات الواردة في الكتب المختلفة ، وقام الدليل على أن ديوانه – من بعض النواحي – أهم مرجع يبين ظروف الشاعر وأعماله . ومنذ ذلك الوقت أُجلِي قدر كبير مما يحيط به من ظلام وأخرجت الكتب المفصلة في حياته ، معتمدة أكبر الاعتماد على شعره ، ما نشر منه وما بقي مخطوطاً .

ومهما يكن من شيء ، فلا زال هناك مجال للبحث . ومن الأهداف في هذا الكتاب تيسير قراءة شعر ابن الرومي والعناية الخاصة بتطوره في حياته وعلاقاته بمن كان على صلات بهم ، وهي امور لم تُفحَص عن قرب قبلاً . وتجب الاشارة إلى المشقة الناتجة عن نقص المواد التاريخية ، التي قد تبدو في الظاهر غزيرة ، وخاصة في بعض التراجم التي قد تطول طولاً كبيراً ، ولكن سرعان ما يظهر نقصها وغموضها عند التمحيص ، وتبين قلة الحقائق الواضحة الهامة التي تحويها . وليس ذلك في الأشخاص غير البارزين وحدهم ، بل في اشهر الرجال ايضاً .

وعليَّ أن أشكر لبرادة بك ، مدير دار الكتب المصرية سابقاً ، تيسيره

حصولي على مصورة فوتوغرافية للمخطوط الرائع المحفوظ في الدار من شعر ابن الرومي . وقد عاونتني مس موراي براون Miss Murray Brown والمرحوم سير ستيفن كازلي Sir Stephen Caselee معاونة كبيرة في الحصول على صور من مكتبات الاسكوريال ونوري عثمانية بالقسطنطينية ، وعليّ أن أوجه الشكر لأمناء المكتبتين من أجلهـا . وإنني لمدين بالشكر للاستاذ جب Prof. Gibb لقراءته جزءاً من تجـارب الطبع وغيرهـا من الخدمات ، وللدكتور فلتن Dr. Fulton أيضاً لقراءته الجزء الآخر حين اضطر الاستاذ جب للسفر في بعض الأعمال .

ر . ج .

١٩٤٤

ابن الرومي

[مولده ، أبواه ، ولاؤه للعباسيين – نسبه وأصله – طفولته وشبابه ، ثقافته – ذكريات شبابه – قصائده الاولى المؤرخة قبل ٢٤٢ – عدم معونة العباسيين .

الطاهريون في بغداد . محمد بن عبدالله بن طاهر – محمد يتمه ، هجاء محمد والمستعين – تغير مسلكه مع الطاهريين بعد حصار بغداد -- ابن مارمة وبنو أبي شيخ ؛ عبيدالله بن عبدالله بن طاهر – سليمان بن عبدالله بن طاهر – عبيدالله بن عبدالله بن طاهر الى حوالى ٢٧٠ .

سامرا . فرص الشاعر فيها أحسن من فرصه في بغداد ؛ مدائحه في الوزراء وغيرهم من الكبراء . ابن الخصيب الوزير – احمد بن اسرائيل الوزير ؛ أحمد بن ثوابة – ابن بلبل برأس ديوان الضياع – دعوات الى سامرا – ابراهيم بن المدبر – غيرهم من سكان سامرا : علي بن يحيى – جحظة – المعتمد .

الموفق . آل مخلد ، صاعد بن مخلد ؛ العلاء بن صاعد -- المبرد – قصائد للعلاء – بنو فياض ، رحلة الى نهر أبي خصيب وعودة الى سامرا – بنو نوبخت : أبو سهل – محمد ابن علي – ابن بلبول – المنصوري ، الباقطاني – الموفق – المعتضد – الطائع – ابن عمار ، محمد بن داود بن الجراح – بنو الفرات – موت ام ابن الرومي واخيه – الواثق – عبيدالله بن عبدالله بن طاهر – المعتضد . عبد الملك بن صالح ، احمد بن صالح – عيسى ابن موسى بن المتوكل – بنو حماد : حماد بن اسحاق ، اسماعيل بن اسحاق – يوسف بن يعقوب – ابن المسيب ؛ ابن بشر المرثدي – اسد بن جهور ؛ ابو عثمان الناجم ؛ سلامة الحاجب – سليمان بن الحسن بن مخلد .

آل وهب . عبيدالله بن سليمان ؛ احمد بن سليمان ، وهب بن سليمان ؛ الحسن بن عبيدالله – القاسم بن عبيدالله ، قصائد لعبيدالله بن سليمان ، الحسن بن عبيدالله – القاسم – عمرو النصراني ؛ الزجاج - الاخفش – ابن فراس – نفطويه] .

حيـاته

(١)

ولد ابن الرومي ، علي بن العباس بن جُريج ، أبو العباس ، في بغداد عام ٢٢١ — ٨٣٦ . وكان مولى لعبيدالله بن عيسى بن جعفر بن المنصور .[١]

وكان والده من الروم ، وقد أطلقت هذه الكلمة على عدة معـان مختلفة بحيث أنها لا تشير أية إشارة دقيقة لجنسية الموصوف بها . وربما كان معناها هنا الإغريقيين من أهل الامبراطورية الرومانية السفلى . ويبدو أن أمه « حسنة » كانت من أصل فارسي[٢] . ويتبين من اسم جده «جريج» أنه كان مسيحياً ، ومن اسم ابيه « العباس » أنـه كان مسلماً . وتقتضي صلة الولاء أنه أسلم على يد مولاه عبيدالله بن عيسى ، ولا شك أنه كان رقيقاً أعتقه عبيدالله في تلك المناسبة[٣] . ويبدو أن عبيدالله نفسه لم يكن مشهوراً ، وإن انحدر من اسرة لهـا خطرها ، ذات قرابة وثيقة بخلفـاء العصر من العباسيين . فقد كان عيسى ، أبو عبيدالله ، ابن عم هارون الرشيد ، وأخا زوجته المشهورة زبيدة[٤] .

وادعى ابن الرومي مرة او اثنتين انه من أصل شريف أو ملكي ، قال[٥] :

وبعـــد فإنني في مُشمَخِرٍّ عصائبُ رأسه قِطَعُ الضَّبابِ
أَحَلَّتْنيه آباءٌ كرامٌ بتيجانِ الملوك ذوو اغتصاب

وقال[٦] :

إن لم أزُر مَلِكاً أُشجِي الخطوبَ به
فلم يلدني أبو الأملاك يونانُ

ولن نحمل هذا الادعـاء محمل الجد . إذ يبدو أنه كان من المألوف وصف كل فارسي أو إغريقي على وجه التقريب بأنه من أصل ملكي ، حتى إن ابن الرومي نفسه يدعي أن كسرى من أجداد أجداد اصدقائه ، على حين يعلن أن قيصر

من آبائه ، ويطلق الادعاء نفسه في قصائد أخرى على ثلاثة آخرين[٧]. أضف الى ذلك ، أن ابن الرومي ينقض ادعاءه ، فيقول[٨] :

غيرَ أنّا نُرِيغُ بالمدح فيه رفعةً باسمه لنا وسناء

رُبّما لم تُشِدْ لنا مثلَها الآ باءُ ، نرجو توريثَها الأبناء

ويضارع ذلك ادعاؤه أنه من الإغريق القدماء (اليونان) ، من حيث أنه لا أساس له ، فيما يحتمل . ولا يذكر الشاعر ذلك الادعاء في البيت المذكور آنفاً وحده ، بل في قوله ايضاً[٩] :

ونحن بنو اليونان قومٌ لنا حِجًى

وجدٌ وعيدانٌ صِلابُ المَعاجِمِ

ولم يفه ابن الرومي بكلمة واحدة عن مولاه ، عبيدالله بن عيسى ، الذي ربما مات قبل أن يولد الشاعر . وإذا صدقنا ابن الرومي ، آمنا بأن أباه كان ذا مكانة ما . قال[١٠] :

أنا مَنْ علمتَ مكانَه وابنُ الذي

ما زال فيكم يُستعانُ فيُحمَدُ

ولم يذكر أباه ثانية ، إلا إذا فهمنا قوله التالي بمعناه الحرفي[١١] :

شاد لي السُّورَ بعد توطئةِ الْ أُسِّ أبٌ قال أنت للشَّرفِ

ويتكلم فيه عن قصر للشرف ، يتخيل أنه مقيم فيه .

وقضى ابن الرومي طفولته وشبابه في بغداد، كما يخبرنا. إذ يقول عن ذلك[١٢] :

بلدٌ صحبتُ به الشَّبيبةَ والصِّبَى

ولبستُ فيه العيشَ وهو جديدُ

ويوجد من الأسباب ما يجعلنا نطمئن إلى أن اسرته إذ ذاك كانت على شيء من اليسار . وبرزت موهبته الشعرية في زمن مبكر . فقد صاغ قصيدة قصيرة ، يقال إنها أول ما قال ، وهو لا يزال في الكتّاب[١٣]. وأشار ذات مرة الى الدراسات المتقدمة التي تلقاها في صحبة احد الأصدقاء[١٤]. وربما كان من أساتذته محمد بن حبيب البغدادي ، الذي اشتهر بمعرفة التاريخ واللغة ، ومات في سامرا عام ٢٤٥[١٥] . ولا توجد معلومات أخرى عن ثقافته ، غير ما يمكن استنباطه من آثاره . إذ تدل قصائده على بعض المعرفة بتاريخ العرب والفرس ولكنني أشك في تجاوز معارفه التاريخية ما كان شائعاً بين أهل عصره من المثقفين . وأشار إلى كثير من الاشخاص التاريخيين ، والى بعض الأفراس او غيرها من الحيوانات التاريخية والخرافية ، مما ضربت به الامثال ، ولا زال مشهوراً بين معظم المتكلمين باللغة العربية ، كحاتم مثال الكرم ، وقارون ذي الثروة الطائلة ، وداحس فرس السباق . وذكر غيرهم ايضاً ، كشَبيب ، والجَحّاف ، ورَخْش وشِبْداز (أو شَبْديز) وهما فرسان كانا – فيما يحتمل – أشهر في الجزيرة في عصره منها الآن . ويمتد نطاق إشارات ابن الرومي الجغرافية من الصين الى طنجة وبلاد الإفرنجة ، ولكنها ليست اكثر من اسماء اماكن ، مصحوبة من آن لآخر بما اشتهرت به من منتجات . وتضم قدراً له اعتباره من الجبال في شبه جزيرة العرب . وكشف ابن الرومي عن أن له بعض المعرفة بشعر امرىء القيس ، والنابغة الذبياني ، ولبيد ، واستشهد ببيت أو اثنين من كل واحد منهم . وأشار ايضاً الى شعر زهير ، والأخطل ، والفرزدق ، وجرير ، والبعيث ، وأبي نواس ، ودعبل .

ويروى أنه كان معجباً بشعر الحسين بن الضحاك ، وأنه سرق بيتاً لإبراهيم ابن العباس بن صول . ويبدو أنه يذكر ذا الرمة باعتباره حجة[١٦] .

ويتكلم ابن الرومي في شبابه المبكر عن رحلات الصيد ، حين كان يخرج هو ورفاقه في الصباح ويصيدون كثيراً من الطيور المائية بسهامهم[١٧]. وواضح ان هذه الرحلات واقعية ، ولكن لا شك ان وصفه صيده الغزال وقتل الثور

بحربته[١٨]، الذي جاء في مقدمة إحدى قصائده ، من وحي الخيال. وليس من شيء آخر في قصائده يوحي بأن الشاعر كـــان يعرف أي شيء عن الصحراء . ويكاد الشاعر لا يذكر الجمل ، الذي يدعوه سفينة البر[١٩] .

وقد بدأ الشاعر يمارس مهنته مبكراً . فمن المستطاع أن نتبين من محتويات إحدى قصائده ، التي لا بد أنه نظمها ولم يتجاوز العشرين أو الحادية والعشرين ، أنها مسبوقة بقصيدة أو اكثر ، يذكرها فيها . وهي في هجاء القاضي أبي حسان الزيادي لنقده بعض شعره . ويظهر ابن الرومي فرحه بموت القاضي في قصيدتين أخريين ترجعان الى الوقت نفسه . والمقطوعات الثلاث عنيفة اللغة فظة بـــل نجدها بذيئة حين نأخذ في اعتبارنا سن القاضي ومركزه . فقد عين أبو حسان قاضي الجانب الشرقي من بغداد عـــام ٢٤١ وتوفي في العام التالي في التسعين من عمره على وجه التقريب[٢٠] .

ولعل ابن الرومي توقع محقاً في مبتدأ حيـــاته أن ربحه في الاتصال بأقرباء الخلفـــاء الحاكمين الأقارب . وربما يتجلى مسلكه في البداية قِبَل العباسيين في قصيدة تعلن أنه بلغ من إخلاصه لهم أنه يرى تضحيته بحيـــاته في الدفاع عنهم أمراً قليل الأهمية ، على حين أنهم هم ايضاً على استعداد لإراقة دمائهم من اجله[٢١] . ويظهر في قصائد اخرى تحول شعوره تدريجاً . فيحض العباسيين في احداها ان يكونوا عادلين ويجازوا على المدح كما يعاقبون على الهجاء[٢٢] . ويطلب اليهم في اخرى ، ان لم يروا مساعدته ، ان يقفوا على الحياد ، فلا يكونون معه ولا عليه[٢٣] . ويسب الخلفاء العباسيين سَبّاً مراً ، في قصيدة ثالثة ، نظمها في التاسعة والعشرين من عمره ، يقول :

ولكنكم زُرْقٌ يَزِينُ وجوهَكم

بني الرومِ ، ألوانٌ من الرومِ نُعَّجُ

ويستطرد الى اتهام العباسيين بالأعمال الشائنة ، التي لا يليق الخوض فيها[٢٤] .

كان من الجائز ألا تسنح الفرصة أمام ابن الرومي ليرى الخلفاء العباسيين حتى وقت متأخر عن الوقت الذي أشرنا إليه . فقد كانوا يقيمون في سامَرّا التي انتقل إليها بلاطهم بعد مولد ابن الرومي بسنة او اثنتين . وتحول جميع كبراء الدولة ، وكبار الموظفين ، وقادة الجند ، وغيرهم من ذوي المراتب والمراكز ، من بغداد إلى العاصمة الجديدة . ومع ذلك لم تتدهور بغداد تبعاً لذلك . وإنما استمرت مزدهرة باعتبارها مدينة تجارية عظيمة[٢٥] . وحصل آل طاهر ، وكانوا من الولاة شبه المستقلين ، على الحق المتوارث في حكم بغداد وما يليها ، وحكم خراسان وغيرها من أقاليم الخلافة في المشرق . وقد عُيِّن أحد أفراد هذه الأسرة حاكماً لبغداد ، وهو محمد بن عبدالله بن طاهر ، من قبل أخيه عامل خراسان ، وابن الرومي حينذاك في السادسة عشرة من عمره ، واحتفظ بمركزه هذا حين توفي أخوه عام ٢٤٨ ، ولكنه ترقى فصار يحكم باسم الخليفة مباشرة . ومن ثم استطاع أن ينفق في أغراضه الخاصة الإتاوة السنوية التي كان يجمعها من بغداد وتقدر بمبلغ ١٣,٠٠٠,٠٠٠ درهماً (٦٥٠,٠٠٠ جنيهاً على وجه التقريب) ، وكان مضطراً لإرسالها إلى نيسابور حين كان نائباً لعاملها[٢٦] . وهكذا كان أول حاكم طاهري كان في ميسور ابن الرومي أن يتصل به ، ولا بد أنه كان طائل الثراء ذات مرة ، إن لم يكن دائماً . أضف إلى ذلك أنه كان مثقفاً وشاعراً وكان بيته مجمع العلماء والأدباء[٢٧] . ومن الطبيعي أن ينتهز الفرصة ليحاول الحصول على عونه . وقد مدحه ، ولكن يبدو أنه أخفق في اكتساب رضاه . ويبدو أنه لم يأخذ أية جائزة على القصيدة الطويلة التي خاطبه بها مادحاً[٢٨] . وربما لم يجز محمد بن عبدالله

ابن الرومي لأنه لم يعجب بشعره أو لمجرد أنه كان بخيلاً. ويومىء ابن الرومي إلى السببين في مجموعة من قصائد العتاب واللوم، نمثل لها بقوله[٢٩]:

أيَا مَنْ ليس يُرْضِيهِ مَديحٌ وعَفْوُ الشتمِ عنه له كَثيرُ

ويفتتح قصيدة أخرى يتهمه فيها بالبخل، بقوله[٣٠]:

وكم من بخيلٍ قد تأدّب حيلةً ليُحجِمَ عنه المادحون فأحجَمُوا

ويسبه في أخرى قائلاً[٣١]:

أتيتُك شاعراً فهَجَوْتَ شعري وكانتْ هفوةً مني وغلطَهْ

لقد أذكرتَني مَثَلاً قديماً جزاءُ مُقَبِّل الوَجْعاء ضَرْطه

ولعل ابن الرومي بدأ عتابه معتدل اللهجة ثم عنف شيئاً فشيئاً. وكان من الشاق أن يتجاوز ماجاء في قصيدته التي يخبرفيها محمداً أنأسرته شانت أجداده وجلبت عليهم في قبورهم اللعنة، ولو كانوا عرفوا مـا سيفعله أبناؤهم لدفنوهم أحياء، ولو وجد في الناس حر لمات محمد ولم يخطر على بال أحد[٣٢]. وربما كان هذا الإغراء بالقتل آخر المجموعة. ومن آواخر ما قاله في هجائه ما جاء في رثائه يحيى بن عمر العلوي، الذي خرج على الخلافة بقرب الكوفة عام ٢٥٠، وقتله جند محمد بن عبدالله. إذ يقول ابن الرومي للطاهريين في هذه القصيدة، بعد سب الخلفاء العباسيين كما ذكرت سابقاً[٣٣]:

لعمري لقد أغرى القلوبَ ابنُ طاهر
بِبَغْضائكم مـــا دامتِ الريحُ تَنْأَج

ولا يسب فيها محمد بن عبدالله وحده بل آل طاهر جميعاً.

وغيّر ابن الرومي مسلكه تجاه الخليفة المستعين والطاهريين بعد سنة. وكان

المستعين قد هرب من سامرا إلى بغداد . فأقام الترك المعتز مقامه وحاصروه في تلك المدينة . وعهد بالدفاع عنه إلى محمد بن عبدالله . فظهر ابن الرومي حينئذ متحمساً لنصرة المدافعين . وأخذ يذكر المستعين في احترام ، وعلى أنه كائن مقدس، في مقابل ما كان يصبه عليه من قبلُ من ازدراء واحتقار. وتوقع مجيء جماعة من الطاهريين من خراسان لإنقاذ الخليفة وافتخر بقوتهم واستعدادهم لاستخدامها في الاغراض الشريفة[٣٤]. وبالرغم من ذلك، كانت نتيجة الحصار إظهار ضعف الطاهريين . إذ لم تقدم خراسان أي عون ، واضطر محمد بن عبدالله إلى التسليم . ويبدو أن ابن الرومي أحد الذين اتهموه بخيانة المستعين في شروط الصلح[٣٥]، ومهما يكن الأمر ، فإن ابن الرومي رثى محمد بن عبدالله حين توفي في آواخر عام ٢٥٢ بمرثيتين . قال في إحداهما إن محمداً بكاه الناس الذين استظلوا بظل العدل في عهده[٣٦] .

ويجدر بي أن اذكر هنا صلة ابن الرومي بابن مارمّة ، وإن لم يوجد ما يدلنا على تاريخ القصيدة التي خاطبه فيها يطلب عونه، ويظهر احترامه . ولا شك ان هذا الرجل من أسرة ابن مارمة الذي عرف في التاريخ بأنه السبب المباشر لخلع المستعين. وهو من منطقة تبعد حوالي ٣٠ ميلاً إلى شمال الحلة ومات عام ٢٥١[٣٧].

ومن المستطاع أن نرى ان ابن الرومي وأخاه محمداً كانا على صلة وثيقة في الوقت نفسه على وجه التقريب بأسرة أخرى ، هي أهل أبي شيخ، من واسط. وكانت هذه الأسرة صديقة لمرّبي المؤيد ، أخي الخليفة الذي قتل عام ٢٥٢[٣٨]. وتجدر التفرقة بينهم وبين آل شيخ الذين ظهروا في العام المشار إليه نفسه ، وصاروا حكام آمد بعد ثورتهم في سورية وطردهم منها . ويمدح ابن الرومي عيسى بن الشيخ وابنه أحمد ، حينما كانت أزمة الأمور في أيديهم هناك طبعا[٣٩] .

وخلف محمد بن عبدالله بن طاهر أخوه عبيدالله بن عبدالله ، الذي كان قائد جنده ، وأشهر الطاهريين جميعاً ثقافة وأدباً . وقد ألف بعض الكتب ، كما كان

شاعراً ذا موهبة معترف بها . وعلى حين ولد في الوقت الذي ولد فيه ابن الرومي تقريباً ، عاش بعده عدة أعوام(٤٠) .

ويحتوي ديوان ابن الرومي على قصائد موجهة إليه أكثر ممـــا وجه إلى أي شخص آخر عدا واحداً أو اثنين . وينيف مجموعها الكلي على ألفي بيت . ومن اليسير من هـــذه المجموعة الكبيرة أن نرى موقف ابن الرومي من عبيدالله بن عبدالله، ولكن القصائد المستطاع تأريخها من القلة بحيث لا تفيدنا في تتبع تقدم صداقتهما في خلال المدة التي اتصلا فيها وتبلغ ثلاثين سنة أو أكثر . وكان ابن الرومي يحب عبيدالله ويحترمه. وقلما شكا منه، وإن فعل استخدم لهجة معتدلة دائماً على وجه التقريب . وقد مدحه بالشجاعة ، والكرم ، والعلم ، والذكاء ، وتقوية الخلافة، وتنظيم أمور الطاهريين، وتطهير بغداد(٤١) . وقرظ شعره، قال(٤٢) :

ولو شِئْتَ ساجلتَ البحورَ غزارةً
وبادَهْتَ قَرْضَ الشعرِ جنَّةَ عَبْقَرا

وأقر بدَيْنه له(٤٣) :

تَعبَّدني بالعُرْف حتى استذلَّني … على أنّ في نفسي على غيره طَغْوَى

وأعلن(٤٤) :

رُبَّ نُعْمَى له عليَّ ونُعْمَى … وأيادٍ له لَدَيَّ جِسامِ

وعبر عن ثقته ورأيه(٤٥) :

ومستيقنٌ أنيِّ لديكَ برَبْوَةٍ … لها شَرَفٌ مما تُجِنّ الأضالعُ
فلستُ غنياً عنك ما ذرَّ شارقٌ … ولو سال بالرِّزْقِ التّلاعُ الدوافع

وربما كانت قصيدته التي يهنىء فيها عبيد الله بالمهرجان، ويصف استقباله

باعتباره حاكم بغداد في تلك المناسبة ، من أوائل مـــا خاطبه به من قصائد .
ويصف ابن الرومي في تضاعيفها ظهور عبيد الله للمجتمعين على النحو التالي[٤٦] :

وتَجلَّى على السّريرِ جَبينٌ ذو شُعاعٍ يحولُ دون العِيان
يُمكِنُ العينَ لمحة ثم يَنْهَى طَرْفَها عن إدامةِ اللَّحَظان
فلَهُ منه حاجبٌ قـــد حَماه كلَّ عينٍ تَرومُه بامتهان

ومثل هذه المبالغة الزائفة يبدو سخيفاً بعد أن أخذت قوة الطاهريين في التدهور بشكل ملحوظ. وكانت علامات تدهور إمارة الطاهريين لم تبرز حين تولى عبيد الله ، على الرغم من أن ضعفها كان آخذاً في الازدياد منذ زمن .

ومن أول مظاهر تدهور الطاهريين خروج ولاية طبرستان من أيديهم إلى يد الحسن بن زيد بعد حروب متلاحقة انتهت حوالي عام ٢٥٥هـ .

وفي تلك السنة عين سليمان بن عبدالله، المطرود من طبرستان التي كان والياً عليها ، في منصب أخيه عبيد الله حاكماً لبغداد . فغضب الأخير واستولى على ما في الخزانة من أموال وانسحب ، فوقع سليمان عند حضوره في أزمـة شديدة . وانحاز ابن الرومي إلى عبيد الله في النزاع بينه وبين أخيه. وعجب كيف اختار الخليفة سليمان بعد انهزامه في طبرستان، وتساءل من من القادة يواجه الموت بعد أن كوفيء المنهزم الهارب أحسن الجزاء[٤٧]. ويصف بغداد، عند دخول سليمان، بالمرأة التي تضرب صدرها نائحة[٤٨]، ويذكر لصوصية محمد بن أوس ، أحد أتباع سليمان من خراسان، وقد أثار الاضطراب في بغداد والقلاقل بسوء سلوكه[٤٩]. وتشيد إحدى قصائد الديوان بانتهاء الحرب بين سليمان وعبيد الله، ولم يبين تاريخ ذلك وإن كان من المحتمل أنه لم يتأخر طويلا[٥٠] .

وعلى أية حال ، فقد حاول ابن الرومي أن يحصل على رضى سليمان في أثناء حكمه بغداد . ويحتوي ديوانه على ثلاث قصائد في مدحه .

تؤكد إحداها كرم سليمان المفرط[٥١] :

مَلِكٌ لا يَرَى اللهى ... تستحقُّ الوَسائــلا
حَسْبُ راجيهِ لَدَيْهِ ... أنّه جــاء سائــلاً

وتكاد الاخرى تضارعها حماسة في وصف جوده[٥٢] . وتعنى الثالثة اولاً برجاء لابن الرومي ، يعرض فيه أنه كان يملك في بغداد منزلاً ، كان يقيم فيه وأقسم ألا يبيعه أو يرى آخر يملكه ابداً . فقد عرفه في مستهل شبابه ، وكان له بمثــابة الجسد للروح . ولكن جاراً شريراً احتال عليه وخدعه . فقد تسبب في افساده وتهدمه ، رغبــة منه في قسر ابن الرومي على بيعه له ، ويرجو ابن الرومي سليمان ليصلحه[٥٣] . ويروى في موضع آخر ان خصم ابن الرومي في هذه القضية تاجر يسمى اباكامل ، وان سليمان ابى ان يساعد الشاعر . ويقال ان ابن الرومي هجا سليمان لهذا السبب[٥٤] ، ولكن يبدو ان سليمان رفض مدح ابن الرومي ايضاً[٥٥] . واستمر ابن الرومي يسخر منه في عدة مقطوعات قصيرة ، تدور كلهـــا تقريباً حول انهزامه في الحرب . ويسخر منه بأنه اسد وَرْدٌ في بيته ، ولكنه ثعلب في القتال[٥٦] ، ويدعي ان له شِمالين[٥٧] بخلاف جده طاهر ذي اليمينين؛ وكل هذه النقــائض كانت بسبب ان حلة الشرف التي اسبغها ابن الرومي عليه كانت غير ملائمة له[٥٨] . وتحتوي بعض الاشعار على لوم عنيف وهجاء فاحش[٥٩] .

ويدعي ابن الرومي ان سليمان[٦٠] بن عبدالله دمر المعتز . ولايتضح لنا سبب هذا الاتهام . بل يبدو لنا الامر على النقيض من ذلك ، فمن المستحيل ان يكون لسليمان يد في موت ذلك الخليفة ، الذي قتله الجند الاتراك ، كما قتــلوا خلفه المهتدي بعد ذلك بمـا يقل عن سنة . وهددت الفوضى والثورات في ذلك العهد الخلافة . وكان افدح الاخطار واعظمها شأناً الصفّاريون في المشرق وثورة الزنج الوحشية في جنوبي الجزيرة . وتصور لنا قصيدة نظمها ابن الرومي عند استيلاء الزنج على البصرة عام ٢٥٧[٦١] المشاعر التي اثارها في العالم الاسلامي تخريب مدينة من اشهر المدن الاسلامية واكثرها ازدهاراً ، وتقتيل عدد كبير من سكانها .

وليس من الواضح الوقت الذي قضاه سليمان بن عبدالله حاكماً لبغداد ، ولكن عيّن عبيدالله بن عبدالله في مركزه حوالي عام ٢٥٩ ، لأن الخليفة نصب عبيدالله حاكماً ، حين دخل يعقوب بن الليث الصفّاري نيسابور في ذلك العـام ، واسر عاملها الطاهري ، وانهى حكم آل طاهر فيها . وبقي عبيدالله في منصبه الى عام ٢٦٢ ، إذ عُيّن في محله ابن اخيه محمد بن طاهر ، وهو العامل المذكور الذي اسره الصفاريون واستطـــاع ان يهرب عند انهزامهم في هجومهم على بغداد في تلك السنة . ثم تولى عبيدالله الحكم للمرة الثالثة عام ٢٦٦ ، ولكنه في هذه المرة كان يحكم ، ولو بالاسم فحسب ، باعتبـاره نائباً عن الحاكم الصفاري ، الذي عين لتهدئته للشك في ولائه(٦٢) . ويبدو انه كان لا يزال حاكماً في عام ٢٦٩، ولكنه اعتزل منصبه عام ٢٧١(٦٣) .

٨ ومن قصائد ابن الرومي التي نستطيع تأريخها ، قصيدة يهنىء فيها عبيدالله بن عبدالله بمهرجان سنة ٢٦٠ وعيدها الأضحى(٦٤) ؛ واخرى بعيد ميلاده الاربعين عام ٢٦٣، حين كان في قدرته ان يقول انه لديه اربعون ابنا(٦٥) ؛ وثالثة في نيروز ٢٦٦(٦٦) ؛ ورابعة بتعيين عمرو الصفاري اياه نائباً عنه في السنة نفسها(٦٧) ؛ وخامسة بفطر سنة ٢٧١(٦٨) .

سنين ان ابن الرومي كان يعيش في سامرا قبل السنة الاخيرة المذكورة ، ومن المحتمل انه كان قضى فيها عدة سنوات ، بالرغم انه لم ينفصل عن بغداد كل الانفصال ، كما تدل التواريخ المذكورة سابقاً .

وكانت سامرا ، بما يوجد فيها من بلاط الخلفاء وجمهرة الأعيان ، احب الى الشاعر من بغداد . ولعله امل ان يجد بين كبار الموظفين ، وخاصة الوزراء ورؤساء الدواوين الحكومية ، من يغدق عليه العطاء ، لأن معظمهم كان يعجب بالأدب ويفتخر بمعرفة اللغة العربية ، وكان كثير منهم فاحش الثراء . ولم يكن يتوقع شيئاً كثيراً من الجند ، الذين كان بعض ضباطهم اقوياء واغنياء ، لأنهم كانوا عادة اجانب . ولأبين مقدار اعتداد ابن الرومي بالجند الاتراك وغيرهم ، اشير الى ان ديوانه لا يضم اية قصيدة يخاطب فيها احد عظماء القواد العسكريين والى انه لا يشير الى اي منهم الا في قدر ضئيل من الإشارات الطفيفة الهزيلة . وبرغم ذلك كان ابن الرومي معجباً بالترك ، لشجاعتهم ومزاياهم العسكرية ، وخصص قصيدة قصيرة لمدحهم لهذه الصفات(٦٩) .

ومن المستطاع ان نتبين ان ابن الرومي التفت الى سامرا في مرحلة مبكرة من حياته ، بالرغم من انه ربما لم يذهب اليها الا بعد ذلك بوقت طويل . ومن اول قصائده التي يمكن تأريخها مقطوعة قصيرة في مدح احمد بن الخصيب ، عندما كان وزيراً ، اما للمنتصر عام ٢٤٧ او للمستعين في العام التالي ، ولعل ذلك كان وهو مقيم بالعاصمة(٧٠) .

ولا يبدو على هذه المقطوعة التي تضم سبعة ابيات مظاهر التمام ، ولعلها كل

ما تبقى من قصيدة كانت اصلا طويلة في المدح . وحصل ابن الرومي على منحة من احمد بن اسرائيل، في اثنــاء اقامته في سامرا وزيراً للمعتز من سنة ٢٥٣ الى ٢٥٥ ولا شك ، ولعل ذلك كان لمدحه اياه بقصيدة ، ربما كان منهــا الابيات الثلاثة الموجودة في ديوانه[٧١] ، ويقول للوزير بشأن هذه المنحة[٧٢] :

أتانيَ عن جـــــاريك أنْ قد قطعتَه

وفي لؤمِك المشهورِ ما شئتَ من عذر

وربما كانت المنحة هي المشار اليها ايضاً في قصيدة اخرى يخاطب فيها الوزير ويذكر مَطْله في العطاء[٧٣] .

ويبدو ان ابن الرومي كان يحـــاول في الوقت نفسه تقريباً الاتصال (بأبي العباس احمد) بن ثوابة في سامرا . وقد تقلد هذا الرجل مناصب متنوعة ، اهمها الكتابة للقــائد التركي بايكباك الذي قتل في سامرا عام ٢٦٥ في عهد المهتدي . وحين هجاه المسمى بالكوكبي « دافع ابن الرومي عن شرفه » بقصيدة مدحه فيها وعائلته ، وسب هاجيه . وسمى ابن الرومي ابن ثوابة في تضاعيفها «الملك»، وقال انه روّى الرماح دماً بكيده[٧٤] ، ولذلك فمن المحتمل انه كان حينئذ في اوج قوته . ولعــل الكوكبي المهجو ثائراً يحمل ذلك الاسم الذي سمعنا به للمرة الاخيرة سنة ٢٥٣[٧٥]، ويهنىء ابن الرومي ايضاً (ابا الصقر اسماعيــل) ابن بُلْبُل لتعيينه رئيساً لديوان الضياع في سامرا ، ذلك المنصب الذي يبدو انه حصل عليه سنة ٢٥٥[٧٦]، ويهنىء ابراهيم بن المدبر بمناسبة هروبه من سجن الزنج عام ٢٥٧[٧٧]. وكان ابراهيم احد عظماء طبقة الموظفين، وقد تقلد منــاصب كبيرة متنوعة في اوقات مختلفة ، وكان شاعراً وكاتباً ممتازاً ، كما كان صديقاً لمحمد ابن عبدالله بن طاهر الذي حصل بواسطته على حريته من السجن في عهد المتوكل ، وكان صديقاً لابن بلبل ايضاً[٧٨]. ولا شك ان سامرا كانت موطنه، وانه رحل اليها حين فر من الزنج .

وكانت ثمرة دفـــاع ابن الرومي عن ابن ثوابة دعوته لزيارته في سامرا ، كما يتضح من قصيدة طويلة يعتذر فيها ابن الرومي عن الذهاب براً او بحراً ، متعللاً – على سبيل الفكاهة ولا شك – بمخاطر الرحلة في كلا الطريقين ، ويلتمس ان ترسل اليه مكافأته[٧٩]. ويبدو انه استجاب لالتماسه، اذ تذكر قصيدة اخرى ان ابن ثوابة ارسل له مكافأة ، وانهـا لم تبلغ ما كان يتوقع ، ويلتمس ان يمنح مثل هذه المكافأة بانتظام[٨٠]. ولم يوجه ابن الرومي الا قصائد قليلة اخرى لابن ثوابة، وواحدة او اثنتين لأخيه محمد ، وواحدة او اثنتين اخريين في الانتقـــاص من الأسرة[٨١] ، واذن فمن المحتمل ان ابن الرومي لم يبق على اتصاله بهم طويلاً .

ولا بد ان تهـــاني ابن الرومي لابن بلبل اثمرت دعوة منه الى سامرا ايضاً . ويجيب ابن الرومي في قصيدة على مثل هذه الدعوة ، معتذراً وقائلاً[٨٢] :

أزِرْني نوالَك آنَسْ به وأعتِدْ عَتادِي لِلُقْيانِكا

فلستُ بأولِ من زاره من الأَبْعَدِين وجيرانكا

وسنرى ان ابن بلبل كان على صلة وثيقة بابن الرومي بعد ذلك . اما ابراهيم ابن المدبر ، فالمرجح ان قصيدة المدح الرسمي الطويلة التي خاطبه بها ابن الرومي نظمت بعد هروبه . وتوجد حتى في هذه القصيدة ملاحظة توضح توضيحاً كافياً ان ابراهيم لم يكن جواداً ، يقول[٨٣] :

أتُراكَ بعد النفسِ تبخلُ باللُّهى اللهُ جارُكَ أن تكون بخيلاً

ويشير الى الامر نفسه في قصيدة اخرى لإبراهيم، يقول له فيها ابن الرومي[٨٤]:

ولستَ بمَجْبُولٍ على ذلك النَّدَى فتُلْفَى جواداً جودُه جودُ مُجبَرِ

ومن الواضح ان ابراهيم لم يكافىء ابن الرومي مكافأة مرضية . فوجه اليه ابن الرومي عدة اهـاج لحقارته ونقائصه ، التي يبدو انه كان يتصف بها فعلاً ، كما

كان يتصف بهـــا كثير من رفاقه . ومن امثلة مـــا صبه عليه ابن الرومي من شتائم ، قوله[٨٥] :

قُـــلْ لي بأيّةِ حيلةٍ أعملتَها — هتَفوا بأنك ـ لا حُفِظتَ ـ جوادُ

فَلَتِلْكَ أحسنُ من نوالك مَوْقِعاً — والعلمُ أفضلُ مـــا أراه يُفاد

وقوله[٨٦] :

تبحَّثْتُ عن أفكاره فكأنّما — نبشتُ صَداه بعد مَرِّ ثلاث

والمحتمل أن صداقة ابن الرومي لإبن المدبر لم تدم طويلاً ، والمرجح انها لم تبق الى ان صار وزيراً للمعتمد ، ذلك المنصب الذي كان يتقلده عام ٢٦٩[٨٧] .

وأشهر من قابله ابن الرومي في ذلك العهد الذي نتكلم عنه من حاشية الخليفة في سامرا ، علي بن يحيى المنجم ، من رجـال البلاط الممتازين . فقد كان الرفيق الدائم لجميع الخلفـاء من المتوكل الى المعتمد عدا المهتدي ، وكان شاعراً ، عالماً ، مؤرخاً ، محباً لجميع فنون المعرفة ، راعياً للعلماء ، يمتلك مكتبة في كركر بقرب بغداد مفتوحة للدارسين ويؤمها الناس من الجهات النائية . وقد بلغ مجموع جوائزه من المتوكل زهاء ٣٠٠،٠٠٠ دينار ، وما يضارع ذلك من الخلفاء الآخرين ، وشغل مناصب متنوعة[٨٨] . ويخاطبه ابن الرومي في قريب من ثلاثين قصيدة ، معظمها قصير . وبعضها نظمها في المناسبات كالمهرجان ، والنيروز ، والإفطار ، والإبلال من مرض ، ووفـــاة ابنة . ولعل اول هذه المجموعة قصيدة طويلة جيدة[٨٩] ، ليس فيها ما يؤرخها ، ولكن يبدو انها قيلت قبل رمضان ٢٦٠ ، لأننا نستطيع أن نُرجع إحدى القصائد الاخرى إلى ذلك التـاريخ[٩٠] . ومن المحتمل أنه قال احدى القصائد الاخرى في بغداد ثم أرسلها الى علي بن يحيى في سامرا . ويذكر ابن الرومي فيها رسالة وصلت اليه من علي بن المنجم مع مكافأة ، يصفها الشاعر بأنهـا صغيرة ، قطرة من المساعدة ، التي هو على يقين أن سيتبعها مطر منتظم ، ويلح ان يحقق هذا الوعد ، اما بجائزة اخرى من علي نفسه ، او من بعض رفاقه

الكرام ، ويشير الى انه ليس بدعة ان يكافأ بمئة دينار منه او من ابن بلبل[٩١]. ويمدح ابن الرومي علي بن المنجم في قصائد اخرى بفضائل مثل التقوى، والجود، والظرف ، والحكمة في تصريف شئون الدولة . ويبدو انه عقد معه صلة وثيقة . وكان من حين لآخر يلومه ، ولكن في احترام ودون مرارة دائماً . ولعل ابن الرومي بقي على صلته بعلي بن يحيى الى آخر حياته . وقد توفي عام ٢٧٥ في سامرا[٩٢] .

وقابل ابن الرومي في جحظة رجل بلاط من صنف آخر ، فهو رجل ماهر فصيح سيء السمعة ، قبله البلاط لمواهبه وفنه ، ولكنه لم يحترمه . وكان جحظة واسع العلم بالنحو ، واللغة ، والفلك ، وغيرها من فروع المعرفة ، واشتهر بالضرب على الطبل ، ولكنه كان حقيراً قذراً . وكان ملازماً لبلاط الخليفة المعتمد، وربما بعض من خلفه ايضاً[٩٣] . وقد اتصلت اسباب الصداقة بينه وبين ابن الرومي، الذي كان يتفكه معه من قبحه الذي كان يقول عنه انه لا يعوضه غيرُ جمال موسيقاه[٩٤] . وطلب الى جحظة ذات مرة الا يدع مجلساً دون ان يذكره احسن الذكر ، وان يكسو شعره بالنشيد ، اي يلحنه[٩٥] . وطلب اليه في مرة اخرى ان يحمل رجاء له الى ابن بلبل[٩٦] . ويبدو ان جحظة خيب ظنه[٩٧] .

وبالرغم من ان ابن الرومي خاطب المعتمد في قصيدتين له ، لا يوجد ما يشير الى انه حضر مجلس ذلك الخليفة او اي خليفة آخر في سامرا . واحدى قصيدتيه تهنئة قصيرة بعيد المهرجان (الاعتدال الخريفي) ، وقد نظمها عام ٢٦٠ امام مغن يسمى بنان ، فقدمها هذا الى الخليفة ، وربما كان ذلك لأن ابن الرومي لم يكن في سامرا في ذلك الوقت[٩٨] . والاخرى تهنئة قصيرة ايضاً بنصر حازه احد قواده ، في الوقت الذي كان خطر الزنج آخذاً في الاستفحال، والصفار متقدماً للهجوم على بغداد ، حين خرج المعتمد من سامرا الى المدائن لمواجهة المأزق . وكان ذلك عام ٢٦٢[٩٩] .

الموفق

لم يكن المعتمد طوال عهده شيئاً ذا بال ، أما الحاكم الحقيقي فكان أخـاه الموفق . فهو الذي أنقذ الخلافة من الهاوية التي كانت توشك أن تتردى فيها ، وأخضع الجند الأتراك وغيرهم للنظام، وهزم الصفار ، وأخمد فتنة الزنج بعد ان استمرت أربع عشرة سنة ، وتغلب على الطولونيين وغيرهم من الولاة العنيدين . ولم يستول الموفق على السلطة دون كفاح. فلا بد أن الأمور كانت في يديه تماماً حين استطاع أن يقلد الوزارة لأحد خواصه. فرفع صاعد بن مخلد إلى ذلك المنصب عام ٢٦٥ ، ولكنه لم يلقب إلا بالكاتب . وكان صاعد قد تقلد منصباً كبيراً من قبل. وكان مسيحياً أسلم عند الترقية الأخيرة . وتقلد أحد إخوته، وهو الحسن ابن مخلد ، الوزارة للمعتمد عهوداً قصيرة ، كما تقلد مناصب حكومية أخرى . وكان أخ ثالث له ، يسمى عبدون بن مخلد ، وقد ثبت عـلى نصرانيته ، ذا نفوذ كبير وتقلد منصباً رسمياً . كذلك تقلد العلاء بن صاعد وظيفة عامة لهـا أهميتها .

وعزل صاعد عام ٢٧٢ ، بعد أن أشتهر في خدمة الموفق. وقبض عليه وعلى كثير من أفراد عائلته ، وصودرت ممتلكاتهم . وكان قد صار شديد الكبرياء ، ولكن المرجح أن عزله يرجع إلى ثروته رجوعه إلى عجرفته المفرطة . وتوفي في السجن عام ٢٧٦ . ولم يرو مصير عبدون والعـلاء ، اللذين كانا مسجونين في الوقت نفسه .

ولا يذكر ابن الرومي الحسن بن مخلد ، الذي فر إلى مصر عام ٢٦٦، أبداً. ويبدو أن العلاء أول من اتصل به من آل صاعد . ويوجد في الديوان قصيدة

طويلة في مدحه ، يبدو أنه قالها قريباً من السنة المذكورة في مكان ما ، إذ يشير فيها إلى مشاعر رجل تعدى الأربعين[١٠٠]. ويصف هذه القصيدة بأنها من خير الشعر[١٠١]، ولكنه أحس بحاجته إلى من يزكيها ، والتمس ذلـــك من النحوي والمؤلف المشهور المبرد . وصاغ التماسه في قصيدة مدح فيها المبرد وأبان أنه كان دائماً من انصاره المدافعين عنه[١٠٢]. وربما لم يفعل المبرد ما التمسه ابن الرومي، ويفسر ذلك القصيدة الأخرى الوحيدة في الديوان الموجهة إليه، وهي هجاء عنيف يضم أقذع الشتائم[١٠٣] .

واتصل ابن الرومي — كما يخبرنا — بصاعد عن طريق ابنه العلاء[١٠٤]. وكان قد اغدق على صاعد في قصيدته الأولى إلى العلاء المدائح المبالغة، حتى لقد تطرف إلى ان قال[١٠٥] :

وكلُّ مديحٍ لم يكن في ابن صاعدٍ
ولا في أبيه صاعدٍ فهـــوَ حابِطُ

ويبدو ان اول ما وجهه إلى صاعد بانتظام قصيدة مشهورة شديدة الطول ، من الممكن ان نتبين انه قالها بعد اوائل سنة ٢٧٠[١٠٦] .

ولعل بعض قصائد ابن الرومي في العلاء قـــد ضاع . فالموجود في الديوان قليل قلة ملحوظة ، عندمـــا نعتبر ان ابن الرومي فيما هو ظاهر بقي على صلة وثيقة بالعلاء بضع سنوات. ونستطيع مما يلي حالاً ان نجمع عن العلاء شيئاً نضيفه إلى القليل الذي نستطيع ان نعثر عليه في المواضع الأخرى . ومن العسير ان نفترض انه كان في العاشرة حين اهتم به ابن الرومي لأول مرة ، ولكن من الواضح انه كان غاية في الصغر بالنسبة لمنصب ذي سلطة[١٠٧] . وكانت بغداد في منطقة العلاء ، وكان عبيد الله بن عبدالله حاكمها خاضعاً له[١٠٨] . ولم يعد عبيد الله الطاهري الكائن المدهش الذي لا تستطيع العينان تديم النظر إلى عينه اكثر من برهة ، كما وصفه ابن الرومي منذ اثنتي عشرة سنة[١٠٩] . بل نراه يقدم

إلى العلاء كتاباً يضم ما قاله فيه من قصائد المدح ، فيكلف الشاعر بالرد عليها ، وتبين لهجة التنازل والتعطف في قصائد الرد المحفوظة ان العلاء كان لا ينظر إليه إلا على انه مداح متواضع(١١٠) . وشغل العلاء نفسه بالعلم والفلسفة(١١١) . وليس من الواضح كنه المنصب الذي كان يتقلده ، ولكن يبدو ان واجباته اجبرته على السفر مرات إلى واسط(١١٢)، التي يحتمل انها كانت مركز حكومة الموفق منذ طرد الزنج منها عام ٢٦٧ إلى ما بعد عزل صاعد .

ويستخدم ابن الرومي في مدح العلاءاوصافاً متواضعة وعموميات تصلح لأن تطلق على أي شخص ، ولذلك لا توحي بإخلاصه . ويشير إلى أن جائزته لم ترتفع إلى ما يتوقعه ، وإن كان ذلك ولا شك ، كما يقول ، ثمرة تدبير منه وفي النهاية سيجمع له الغنى(١١٣) . وقصيدته في مدح صاعد من أطول وأجود قصائده، ولكن يبدو أن صاعداً لم يعرها كثيراً من انتباهه(١١٤) . فيلتمس ابن الرومي في قصيدة أخرى من صاعد أن يقرأها(١١٥) ، مبينا كيف أهملها . ويمدح بني مذحج فيها بأنها قبيلة صاعد، لأن هذا يدعي ادعاء سخيفاً بأن له أصلاً عربيا، على الرغم من اشتهار كونه مما بين النهرين . ويذكر ابن الرومي كرم صاعد وحزمه، وحسن سياسته ، وبعد نظره ، ويستعيد ذكرى بعض أعماله في حرب الزنج واخضاع غيرهم من العصاة، الذين لم يذكر المؤرخون أحدهم، وهو بَجّار قُنّسّا .

ولم يخف ابن الرومي كراهيته لصاعد وابنه بعد سقوطها. وأسف لقصيدته الطويلة التي مدح بها صاعدا ونقض ما مدحه به فيها . وأعلن أنه كان دعيا ، ينتحل لنفسه أصلاً عربيا، وأنه أسرف في الأموال العامة ليهدد الدولة بالإفلاس، وأن سياسته كانت سبب الثورات في الشرق والغرب . وشمل باتهامه العلاء ، فوصفه بالسفيه المشغول بأساطير أرسطو، وأنه اهتم بالفلك «ليمنع القضاء(١١٦)» . وانتهز الفرصة للانتقاص من صاعـــد في قصيدة متأخرة(١١٧) . ولم يشر الى عبدون وأبنائه الا مرتين، كلتاهما تضم أقذع الهجاء(١١٨) .

ومدح ابن الرومي أحـد بني فياض ، الأسرة الفارسية الواسعة النفوذ التي

كانت تمتلك الضياع بقرب دير العاقول ، الذي يستقي من ترعة النهروان[119]، وصاعد لا يزال في سطوته . ويبدو أن رأس الأسرة كان يدعى محمداً ، وقد وصفه ابن الرومي بأنه « سيد الكتاب طراً » ، وهنأه عند اتمام بناء منزله الذي يصفه الشاعر وصفاً مفصلاً بعض التفصيل[120] . كذلك مدح ابن الرومي علياً وأخاه الحسن ، من أبناء محمد بن الفياض[121] ، بقصيدة يبدو أن مفتتحها يدل على أن الشاعر حينئذ لم يكن قد تجاوز الأربعين بكثير[122] . والقصيدة التي نستطيع أن نؤرخها يقيناً في عهد وزارة صاعد ، موجهة الى علي، وذات صورة خاصة . اذ يروي الشاعر فيها كيف فكر فيه ، في أثناء رحلة له هابطاً النهر الى نهر أبي خصيب بقرب البحر عند مبدئه، ويتتبع عودته من هناك الى سامرا حيث غلبه الفرح برؤيته ثانية . ومن الواضح ، من اشارتــه الى الموتى غير المدفونين المطروحين في جميع ارجاء احدى البقاع بين الأبلة والبطائح ، ان الوقت المشار اليه لا بد ان يكون في اثناء حرب الزنج ، وان نهر ابي خصيب لم يخضع للحكومة الا بعد انتهاء القتال او قريباً من انتهائه . واذن فمن المستطاع تاريخ القصيدة بما يقارب مطلع عام ٢٧٠[123] . وقد يتساءل المرء أكان ابن الرومي من اتباع العلاء ام صاعد في هذه الرحلة ، وقد اضطلع الأخير منهما بنصيب بارز في حملات الزنج الاخيرة .

واتصل ابن الرومي باسرة فارسية اخرى ذات خطر في ذلك العهد ، ربما للمرة الاولى ، هي بنو نوبخت . وكانت تقيم في النُّعمانية ، التي اقطعهم الخليفة العباسي الثاني قطعة ارض بجوارها مكافأة لهم للنبوءة المشجعة التي تنبأوا بها له في اثناء محنته[124] . وكان رأس الاسرة في اواخر القرن الثالث الهجري ، ابو سهل (اسماعيل بن علي) رجل علم ، ممتازاً في علم الكلام والكتابة . ويقال انه تقلد منصباً في ديوان الخلافة لا يلي في الدرجة الا منصب الوزارة ، ولكن ربما ينطبق ذلك على اواخر حياته اكثر من انطباقه على اوائلها حين تعرف به ابن الرومي . وكان ابو سهل مشهوراً بين رؤساء الشيعة ، والمحتمل انه كان يعتبر مؤسس الفرقة الاثني عشرية بما ذهب اليه من ان الإمام الثاني عشر بقي مختفياً الى

الوقت الذي يظهر فيه ثانية ويكشف نفسه للناس[١٢٥] . وكان مولده عام ٢٣٥ او ٢٣٧ ، فهو اذن معاصر للإمام الحادي عشر (٢٣١ – ٢٦٠) . وقد نفترض ان اطول قصائد ابن الرومي الموجهة الى ابي سهل تبين مبدأ صلته به . ويقول ابن الرومي عن بني نوبخت فيها ان صاعداً حين اختارهم لخدمته سرّ بهم ويبدو انه يشير الى هزيمة الزنج في قوله عن صاعد :

رمى الخائنَ المشئومَ يُمْنُ جُدودِهِم
بداهيةٍ تمحو سوادَ المَقادِمِ

ومن الواضح انه يشير الى اتباع « الشرير » السود بقوله « سواد المقادم » . واذن فقد قيلت هذه القصيدة بين عامي ٢٧٠ و٢٧٢ . ويعلن ابن الرومي في اثنائها انه سيلقى في النعمانية في ابي سهل جواداً ، يعيش منعماً في ظله ، واخا له ودوداً ، وسيداً حقاً ، يعقد معه صلات الصداقة نتيجة لحبهما كليهما الأئمة الحقيقيين من آل هاشم ، واخلاصهما التوحيد لله ، ودفاعهما عن الدين الحق في المعارك . ويقول ايضاً انه سأل ابا سهل المال والعلم فوجده مصدراً غزيراً لهما ، وحين استعاذ به في شدته ، اجاب دعاءه بحيث لا يحفل بعد ذلك بمن يهمله . وجمع ابو سهل آثار قدماء الملوك ليرجعهم الى الحياة ثانية[١٢٦] . ويتكلم في قصيدة اخرى عن رسالة اخبره ابو سهل فيها بحبه اياه ، ويعبر عما يبادله من حب مخلص . ويخبرنا ان ابا سهل اغناه بمنحه مكافأة مالية دائمة ، ويعجب بذكائه ومهارته في الجدل . وتذكر هذه القصيدة ان الموفق عهد الى ابي سهل بسدّ بعض الثغرات في النيل ، وهي ترعة بقرب النعمانية ، وبحفر «اسناية النيل» التي من الواضح انها ترعة جديدة متصلة بالاخرى[١٢٧] . ولذلك لا يمكن أن تتأخر عن سنة ٢٧٨ .

وليس من الواضح لنا اذا ما كان ابو سهل استمر على صداقته لابن الرومي بقية حياته او لا ، ولكن من المستطاع أن نرى ان ابن الرومي كان يغضب منه

احيانا ، وان لم يبلغ بهم الامر مبلغ القطيعة والخصومة . فهناك قصيدة يعلن ابن الرومي فيها ان ابا سهل لن يساعده الا في وقت الرخاء[١٢٨] . ويشكو في قصيدة اخرى ان ابا سهل لا يراه اهلاً للطيبات التي يتمتع بهـا العامة والتافهون[١٢٩] . ويلوم ابا سهل ذات مرة بأنه اهمل رسالة له ، رآها ملوثة مطروحة بجوار منزل ابي سهل تذروها الرياح[١٣٠] . ويتهمه في قصيدة اخرى بأن مشاعره قبله قد تغيرت ، ويقول انه قد قطع منحته[١٣١] . ويشكو ايضاً من مطـل أبي سهل ، ويوجه اليه ألواناً من اللوم ، منها أنه أعطاه فرساً معيباً[١٣٢] . ويشير في قطعة اخرى الى دينارين حجزهما عنه ابو سهل من عطائه[١٣٣] . ويذكر منصب ولاية احدى القرى ، ويبدو مما قاله انه اقترح ان يُعطى له فعارض ابو سهل — وربما كان شغل هذا المنصب معناه تكليفه بجمع الضرائب[١٣٤] .

ويوجه ابن الرومي ايضاً بضع قصائد قليلة الى محمد بن عـلي اخي ابي سهل . وتلتمس منه احداها جائزة ، حينما كان عامل النعمانية[١٣٥] ، وربما كان ذلك في اول عهد ابن الرومي بأبي سهل ، لأنه يذكر في قصيدة اخرى انـه رأى محمد بن علي مقيداً بالأغلال بأمر من صاعد بعد ان كان رآه والياً مستعلياً[١٣٦] . ويلوم ابن الرومي محمد بن عـــلي ايضاً في قصيدتين او ثلاث قصار[١٣٧] ، ويوجه بعض المقطوعات القليلة الساخرة او الشاكية في لطف الى اثنين من ابناء عم ابي سهل ، هما محمد بن عباس واخوه علي[١٣٨] . وكان ابن الرومي صديقاً لعبدالله الناشي ، الذي كان تلميذاً لأبي سهـــل وتاجر عطور . والقصيدة الوحيدة في ديوان ابن الرومي الموجهة للنـاشي قصيدة هجاء قصيرة ، ولكن يروى ان ابن الرومي لم يكن يفارق حانوت الناشي في اواخر حياته[١٣٩] .

والمحتمل ان ابن بلبـــل بقي في سامرا اكثر من عشر سنوات بعد تقليده منصبه للإشراف على ديوان الضياع . وبالرغم من ان المؤرخين لا يخبروننا بشيء عنه في تلك الحقبة ، غير انه وزر للمعتمد مدة قصيرة عـام ٢٦٥ ، ويبدو مما يقول ابن الرومي انه اضطلع بدور هـــام في اجلاس المعتمد على العرش ، حتى لقد

اشترك بنفسه في القتال الذي نشب عقب موت المهتدي . و كذلك لا يذكر هذا القتال في موضع آخر . يقول لابن بلبل[١٤٠] :

لِيُهْنِيءُ المُلْكَ أنْ أصلحتَ فاسدَه
وأنْ حرستَ من الإفسادِ ما صَلُحا
رددتَه جَعفريَّ الرأي بعدَ هوىً
في الواثِقيَّةِ لو لم تَثْنِه جَمَحـــا
بِبارَشُوحٍ وفتيانٍ لهم قـــدمٌ
فيمن وَفىَ لمواليهِ ومن نَصَحـــا
يا رُبَّ رأيٍ صوابٍ قد فتحتَ لهم
لولاك يا فاتحَ الأبوابِ مــا انفتحا
ولم تزلْ معهم في يومِ وَقْعَتهم
بالحائنين ونابُ الحربِ قـــد كَلَحا

ويؤكد ما قام به ابن بلبل في القتال في قول آخر[١٤١] :

كم ضربةٍ رَعْلاءَ بلْ كم طعنةٍ نَجْلاءَ بل كم رميةٍ إذْبيحِ
خطرَتْ بها كفّاهُ دونَ إمامِهِ في ظلِّ يومٍ للأَكُفِّ مُصِيح
سائِلْ بذلكَ عنه حربَ المُهتدي وكِباشَهـا من ناطحٍ ونَطيح

ولعل اشارته التـالية الى الجائزة الكبيرة التي منحها من ابن بلبل ذات صلة بهذا الحادث ، وأنها في مقابل الاشعار التي استشهدنا بها ، يقول[١٤٢] :

ملأتَ يدي جَدْوَى وقلبي مودةً
تَدفَّقَتا في (المُجْتَدين) وفي الصدرِ

أنلتَ نـــوالاً لو سِواكَ أنالَهُ
لآيَسَني من عودةٍ آخـــرَ الدهر

لأنك أعطيتَ الَجزيلَ وإنمـــا
يُرَجِّي المُرَجِّي عودةَ النائلِ النَّزْرِ

ولعله من المستطاع ايضاً ان نرجع الى الحقبة نفسها ابيـات ابن الرومي التي تعلن ان ابن بلبل الخيّر الوحيد في سامرا[١٤٣] وكذلك اشارته الى ابن بلبل على أنه جواد في رسالته الى علي بن يحيى المذكورة آنفاً .

وقد نفترض ان ابن بلبل انضم الى اتبـاع صاعد بن مخلد حالما وزر للموفق عام ٢٦٥ ، وغادر سامرا . والأمر المؤكد ان صاعداً كان عدواً لابن بلبل الذي كان عظيم الخوف منه ، وأن صاعداً حين عزل وسجن عام ٢٧٢ وكل به ابن بلبل وحل محله كاتباً او وزيراً للموفق[١٤٤] .

وتتصل اطول قصائد ابن الرومي الموجهة لابن بلبل بترقيته في تلك السنة ، لأنهـــا تعلن ابتهاجها بذلك الاختيار ، الذي حصل الموفق بواسطته على وزير منـاصح[١٤٥] . وتوجد قصيدة مشابهة قصيرة[١٤٦] ، واخرى ، وهي مدحة لا طعم خاص لها ، يبدو أنها ترجع الى نفس التاريخ ، لانها تحتوي على اشارة الى ان الشاعر قد مضى من عمره خمسون سنة[١٤٧] . ولا بد انه قـال القصيدة التي تظهر ابن بلبل وزيراً في واسط قبـــل ذلك حين كان يتقلد ذلك المنصب هنـــاك[١٤٨] . والمحتمل ان ابن الرومي كان يعيش في واسط في ذلك العهد باعتباره احد اتباع ابن بلبل : وهناك قصيدة يعلن فيها ان له روحين : واحدة

في واسط واخرى في سامرا بكف حبيب ، يريد أنه دائم التفكير في حبيب هناك على حين يقيم في واسط(١٤٩) . ولا يتضح التاريخ الدقيق لرجوع الحكومة الى بغداد ، ولكن المحتمل ان ذلك كان عام ٢٧٣ . ولدى ابن الرومي قصيدة تذكر عودة الحياة الى بغداد حين رجع(١٥٠) ابن بلبل اليها .

ومدائح ابن الرومي في ابن بلبل التي ترجع الى تلك الحقبة ذات خاصة ملحوظة : فهي قلما تقلع عن السؤال ، في قحة وشكوى احياناً . مثال ذلك يقول ابن الرومي لابن بلبل في احداها(١٥١) :

أشكو إليك خَصاصةً وتَجمُّلاً قد بَرَّحا بي أيَّما تَبْريح

وفي اخرى(١٥٢) :

ولستُ أرى ثوابَ الشعرِ دَيْناً عليك ولا أرى نفسي غَريما
ولكنّي أراكَ تراه حقاً لَمجْدِك ، والوَسيمُ يَرَى وَسيما
وإنْ عاقَ القضاءُ نَداكَ عني فلستُ أراكَ في مَنْعِي مُليما

ويعترض(١٥٣) مرة :

ما بالُ شِعْرِيَ لم تُوزَنْ مثُوبتُه
وقد مَضتْ منه أوزانٌ وأوزان

واخرى(١٥٤) :

مالي حُرِمتُ وحُظَّ الناسَ كلُّهمُ مِمَّن ذنوبي خيرٌ من وسائلِهِ

وثالثة[١٥٥] :

لي لسانٌ ما زالِ يُطريك في النَّثْـــرِ وفي النظمِ غيرَ ما مستريحِ
وارتكابُ الديون إيّاي في ظِلّـــكَ يهجوك باللسان الفصيح

ورابعة[١٥٦] :

كريمٌ كَثُرَتْ قِدْماً وطابتْ فيهِ اقوالي
فمـــا قَلّلَ غُرّامِي ولا كَثَّر اموالي
إذا عاينتُ مَدْحِيهِ اراهُ ذاكَ إغفالي

ولعل ابن الرومي غالى فيما توقع من ابن بلبل عند ارتقائه الى المركز الأعلى بعد الخليفة وخاب فأله لأن صلته السابقة به لم تجلب له ما كان يؤمل ، ولعل ابن بلبل ، من جهة أخرى ، ضجر من الحـاح ابن الرومي وشكاويه . ومن الممكن ان نرى انه اخيراً احتفظ بالشاعر على بعد . اذ يقول لابن بلبل[١٥٧] :

كم نُسامُ الأذى كأنّا كلابٌ كم إلى كم يكونُ هذا العتابُ
كلما جئتُ قاصِداً لسَلامٍ ردَّني عن لقائك البوّاب

ويقول[١٥٨] :

ورب هُونٍ لقيتُ منك ومن حاجبِك الدُّونِ لم يكنْ دُونا

ويتضح من اقوال ابن الرومي لابن بلبل ان قد انقطعت الاسباب بينهما[١٥٩] :

قد عُجِّلتْ لي عقوبةُ الخَوَرِ وانت فاحذرْ عقوبةَ البَطَرِ

خُرْتُ فأمَّلتُ مـــا لديك فعُو ... قبتُ بفَوْتِ النجاحِ والظفر

. . . . . .

أسلمتَني من يديك في يَدَي اللـــهِ ... وحَسْبِي بـــه من البَشَر

رِزْقِيَ لستَ الذي تسبِّبُه ... مُسبِّبُ الرزقِ مُنْشِيءُ الصُّوَر

ونعتقد ان جميع القصائد الكثيرة التي يسخر فيها ابن الرومي من ابن بلبل قالها بعد القطيعة ، غير واحدة يضحك فيها منه عند توليته الديوان(١٦٠) على حين انه مدحه حينذاك ايضاً ، كما هو مذكور آنفاً ، واذن فابن الرومي كان يمدحه ويسخر منه في الوقت نفسه .

ويعير ابن بلبل بأصله الوضيع(١٦١) :

وكانت أمُّه كَمّا ... خةً وأبوه كَمّاخا

ويسخف زعمه بانتمائه الى بني شيبان ، ذلك الزعم الواضح البطلان ، مثل ادعاء صاعد انه سليل بني مذحج . ويسخر ابن الرومي من ادعاء ابن بلبل بأنه عربي عدة مرات ، بلهجة يصورها المثال التالي(١٦٢) :

تَشَيْبَنَ حين هَمَّ بأن يَشِيبا ... لقد غلط الفتى غلطاً عجيباً

وكان ابن بلبل مرهف الاحساس من هذه الناحية ، حتى انه عندما قال ابن الرومي عنه في احدى مدائحه(١٦٣) :

قالوا : أبو الصَّقْرِ من شَيْبانَ ، قلتُ لهم :

كلا . . . .

قاصداً ان يبالغ في مدحه بالعبارة التالية ، ظن ابن بلبل انه يهينه وأبى ان يستمع لاحتجاج ابن الرومي وتفسيره وسماع بقية الكلام :

. . . .

كلا لَعَمْري ولكنْ منه شيبانُ

وكم أبٍ قـــد علا بابنٍ ذُرَى شَرَفٍ

كما علا برسولِ الله عَدْنانُ

ونستطيع ان نتبين ، مما يقوله ابن الرومي في قصائده ، ان ابن بلبل كان حسن المنظر ، ولكنه قصير البنية ، وانه كان على شيء من العلم . ويشير ابن الرومي الى جاذبية ابن بلبل عدة مرات ، ويقول عنه ذات مرة(١٦٤) :

أصبحتَ حُزْتَ النَّقيصتين معاً   تقصيرُ سَعْيٍ ضَوَى إلى قِصَرِ

. . . . . .

يا أيُّها الفيلسوفُ ذو الحِكَمِ الـــجمّةِ مما رَوَى ذَوُو الفِكَرِ

ويشير ابن الرومي في قصيدتين الى بعض الفضائح او المعارك التي اشترك فيها ابن بلبل . فتشير احداهما الى زواج فتاة يقول عنه(١٦٥) :

تَغْصِبه أهلَه وتمنعُه حقوقَه

ويخاطب في الاخرى ابا العباس بن الفرات قائلاً(١٦٦) :

---

(١٦٦) أساء المؤلف فهم هذه الأبيات، اذ التبست عليه كلمة «قافية»، فظنها علماً على امرأة، على حين يريد ابن الرومي بها «قصيدة»، فيقول لابن الفرات: ان قصيدتي هذه اتت اليك تشكو ابا الصقر، لأنه أعطى غيري من الشعراء على قصائدهم التي نافستها ولم يعطني شيئاً عليها، وهي احق بالعطاء من غيرها — المترجم .

جاءتك تَستعِديك قافيةٌ يا بْنَ الفُراتِ على أبي الصَّقْرِ

مُهِرتْ ضَرائرُها وما مُهِرتْ بِقِرًى ولَهْيَ أحقُّ بالمَهْرِ

ويقول ابن الرومي لابن بلبل في مقطوعة اخرى[١٦٧] :

زُوِّجت نُعْمَى لم تكن كُفْأَها فصانَهـــا الله بتَطْليقِ

ولعله يشير هنا الى حادثة زواج اخرى ، او الى مجرد فقد ابن بلبل املاكه عند عزله ، ويفهم من نعمى حينئذ معنى النعمة ، لا العَلَمية .

وحبس الموفق ابنه ابا العباس ووكل بحراسته ابن بلبل . وليس من الواضح ما اذا كان ابو العباس مجـافياً لابن بلبل من قبل ، ولكنه كان خائفاً ان يقتله ابن بلبل في اثناء سجنه . وعندما توفي الموفق عام ٢٧٨ ، انتقلت سلطته الى ابي العباس ، الذي كان قد اطلق سراحه قبل أن يلفظ الموفق انفـــاسه الاخيرة مباشرة ، اما المعتمد فلم يكن شيئاً مذكوراً . وكان من اول اعمال ابي العباس الانتقام من ابن بلبل . فزج به في السجن وصب عليه من الوان العذاب مـــا اماته في خلال شهرين او ثلاثة او قتله قتلة شنيعة كما يروي بعضهم[١٦٨] .

وشمت ابن الرومي بسقوط ابن بلبل . فقال ، وهو لا يزال حياً[١٦٩] :

كأنّي به في مَحْبِسٍ وثيابُه من العُمْر والنَّعماء والعز أسمال

غلائلُه الأَمساحُ يأكلْنَ جلده وحِلْيَتُه أَقيادُ سُخْطٍ وأَغلالُ

ويستطرد :

أضاعَ وخانَ الفَيْءَ واستضعفَ الوَرَى

وأصبح يغتالُ الملوكَ ويحتـــــال

ولعله يشير بقوله الاخير الى مؤامرة لابن بلبل ضد ابي العباس . ويقول عنه بعد موته[١٧٠] :

فرماهُ بكوكبٍ هاشميٍّ كان أدْهَى له من السِّجِّيلِ
ولقد كاد ما استطاع ولكنْ جُعِل الكيد منه في تَضْليل
سال ذاكَ النَّجيعُ من ذلك العَبْـــدِ مع الباكيات كلَّ مَسيلِ
وليُطِلْ مُعْوِلٌ عليهِ عَويلاً إنّه في لَظًى طويلُ العَويل

واستمر حقده لابن بلبل ينهش قلبه بقية حيـــاته . فينتقص منه ويأسف لمدحه ويذكره محقراً في مقطوعات لا بد انه قـــال بعضها قبل وفاته بوقت قصير[١٧١] .

ويشكو ابن الرومي ان ابن بلبل فضل شعراء اقل إجادة منه[١٧٢] :

ما حقُّ ميدانِ مجدٍ أنتَ صاحبُهُ إجراءُ ناهقهِ قُــدّامَ صاهِلِه

ويبدو من اقواله ان ابن بلبل جعله من الافراد الدائمين في حلقة اتبـــاعه وحاشيته ، ولكن لم يتخذ منه شاعره الرسمي ، لأن ذلك المركز كان يشغله من يسمى ابا الحسن الخزاعي[١٧٣] .

ونستطيع ان نتبين ان ابن الرومي مدح (إسحاق بن محمد) بن كعب البقر المنصوري ، وهو أحد العباسيين الذين كانوا على شيء من الامتياز ، وقد عينه ابن بلبل محتسباً ، وكان ذلك المدح ايام وزارة ابن بلبل للموفق . ويخـــاطب ابن الرومي ذلك الرجل بعدة قصائد في الديوان . ويحـــاول ابن الرومي في احداها أن يكتسب له صداقة احمد بن اسماعيل بن سُمَيع ، الذي لا نعرف عنه شيئاً[١٧٤] .

ويوجد في ديوان ابن الرومي قصيدتان : احداهما في الاعتذار والاخرى في الاعتراض ، قـــالهما على لسان (أبي عبدالله الحسين بن علي) الباقُطائي لابن

بلبل. وكان الباقطاني هذا كاتباً لابن ثوابة في عهد المهتدي ثم تولى ديوان المشرق. وكان ناقداً مشهوراً. وكان ابن الرومي يعرفه من قبل، لأنه مدح العلاء بن صاعد لتقليده اياه منصباً ما(١٧٥).

ويخاطب ابن الرومي الموفق نفسه في قليل من قصائده، ولكن لا يبدو أنه كان على صلة وثيقة بذلك الامير في أي وقت. وعنوان أقدم قصيدة يمكن تأريخها «الى علي بن يحيى». وتمجد ذكرى هزيمة الصفار عام ٢٦٢ وتشكر الرجل الذي نال شرف الفوز بهذا الانتصار للخليفة ببثه الشجاعة في جنده حين غلب عليهم اليأس، ذلك العمل الذي من المؤكد انه كان ينسب للموفق اكثر من نسبته لعلي(١٧٦):

أنت الذي نَعَشَ الموا لي رأيُه حتى اسْتقلُّوا
من بعدِ ما كَبَتِ الجدو دُ بهم فأشْفَوا أو أطَلُّوا
لو لم تكن أنت الطبيـبَ لهم هنالك ما أبَلوا

واخرى مدحة رسمية قالها بعد هزيمة الموفق للزنج عام ٢٧٠، ولا تميز أية مأثرة من مآثر الموفق بميزة خاصة(١٧٧). وثالثة تشير الى حادثة يبدو أن المؤرخين لم يذكروها. اذ تحث الموفق ألا يخذل واليه والا أفسد اتباع الخلفاء الآخرين أبد الدهر(١٧٨).

وتكثر الاشارات التافهة للموفق في قصائد اخرى. وتذكر احداها بعض التفاصيل النافعة عن مساعيه في حرب الزنج(١٧٩). وتشير الاخرى الى ما قام به من بعض تعييناته، مثل اختياره ابراهيم بن النديم ليحضر مجلس البلاط(١٨٠)، وبعث اسحاق بن ابراهيم رسولاً في مهمة نجح فيها(١٨١)، وتقليد من يسمى أبا الفوارس منصباً غير معين(١٨٢).

المعتضد

بعد وفاة الموفق بما يقل عن سنة ، أعلن ابنه وخليفته خلع ابن المعتمد وتنصيب نفسه ولياً للعهد . ومات المعتمد بعد ذلك بشهور قلائل ، مسموماً كما يقول بعضهم على يد أبي العباس ، الذي صار خليفة ولقب المعتضد . وخلف عبيدالله بن سليمان بن وهب ابن بلبل في الوزارة .

ومن الذين كان ابن الرومي على صلة بهم في ذلك الوقت (أحمد بن محمد) الطائي . وقد عين هذا الرجل والياً على الكوفة عام ٢٦٩ ، وبقي في هذا المنصب، بالاضافة الى اعمال اخرى متنوعة ، الى ان قبض عليه عام ٢٧٥[١٨٣]. ولا بد ان الطائي استعاد الرضى سريعاً ، لأنه كان في اوائل عهد المعتضد يفلح عدة مقاطعات بجوار بغداد في مقابل اتاوة يومية كبيرة يدفعها للخزانة[١٨٤] . وقد خدم الحركة القرمطية خدمة غير أمينة ، اذ كان يأخذ الاموال من معتنقي المذهب القرمطي في مقابل عدم التعرض لهم[١٨٥] . والمدحة الاولى لابن الرومي في ديوانه الموجهة للطائي قصيدة طويلة يمكن تأريخها بسنة ٢٧٥[١٨٦] . اما قبل ذلك فقد هجاه بقصيدة لقبضه على ابن احد الكتاب واتخاذه رهينة حين خاف القتل في اثناء وزارة ابن بلبل في واسط – اي في عام ٢٧٣ او ما يقاربها[١٨٧] . ولا بد ان الطائي وعد ابن الرومي فيما بعد ، ربما في عهد المعتضد ، ان يجري عليه عطاء ، اذ نرى الشاعر ملحاً في تحقيق مثل هذا الوعد[١٨٨] . ومات الطائي عام ٢٨١ .

وفي الوقت نفسه تمكن ابن الرومي أن يعين أحد الأصدقاء . فقد نحل بعض قصائده (لأحمد بن محمد بن عبيدالله) بن عمار ، الذي لقبه ابن الرومي العُزَيْر

(عِزْرا) ، وكان شاعراً مجيداً ، ولكنه كان يعيش في شظف وضنك على الرغم من مواهبه ، وزكاه أمام أصدقائه . وفي ذات يوم ، قبل أن يُعزَل ابن بلبل بوقت غير طويل ، أتى أحد الكتاب لزيارة ابن الرومي ، وهو محمد بن داود بن الجراح ، فانتهز هذا الفرصة وقدم ابن عمار إليه . وتوثقت الصلة بينهما كليهما . وكان محمد بن داود مبعداً عن منصبه حينئذ ، ولكن حين استقرت السلطة في يد آل وهب تقلد منصباً كبيراً ، فحسنت أحوال ابن عمـــار بترقي صديقه . وتنكر ابن عمار لابن الرومي ؛ فذمه ونقد شعره(١٨٩) . ولم ينجح فيه الاحتجاج فتقدم ابن الرومي لهجائه(١٩٠) . ولكن يبدو أنه اصطلح معه قبل أن يموت ، اذ تتوسل احدى قصائده الأخيرة لمحمد بن داود من أجله(١٩١) .

وكان محمد بن داود من أنصار بني الفرات ، الذين غضب ابن بلبل عليهم ، ولكنهم حظوا بالرضى بعـــد ذلك بقليل في أيام آل وهب ، وقلدوا المناصب العالية . ومن الواضح أن ابن الرومي كان على صلة طيبة بأحمد بن الفرات وأخيه الأصغر علي ، الوزير المشهور في عهد المقتدر فيما بعد . ونستطيع أن نتبين أن ابن الرومي كان يعرف أحمد في حياة ابن بلبل ، وأنه كان يحس أنه أسير معروفه ، وان الصلة بينهما كانت وثيقة واستمرت حقبة طويلة . ويزكي ابن الرومي أحمد ابن الفرات أمام أحد الوزراء : عبيدالله بن سليمان فيما إخال ، ويفضله عـلى من يسمى ابن عبدون .

أما صلة ابن الرومي بعلي بن الفرات فالمحتمل أنها كانت أقل توثقاً(١٩٢) .

وتوفي محمد أخو ابن الرومي قريباً من الوقت الذي ارتقى فيـــه المعتضد الخلافة عام ٢٧٩ ، وربما قبله بقليل . أما أمه فقد توفيت قبل ذلك ببعض الوقت . فيذكر هذين المصابين في احتجاجه على ابن عمار بصفتهما مصابين حديثين(١٩٣) .

ويتكلم أيضاً عن مصابه في أخيه باعتباره أمراً حديثاً ، في قصيدة أرسلها لأحمد بن محمد الواثقي ، الذي كان في ذلك الوقت على شرطة بغداد ، وبعث اليه يأمره بالانتقال من منزل له كان مثاراً للنزاع(١٩٤) .

كذلك يتكلم عنه كلاماً مشابهاً في قصيدة الى عبيدالله بن عبدالله ، الذي كان تولى حكم بغداد للمرة الرابعة عام ٢٧٦ ، ولعله تقلد المنصب عامين الى أن توفي الموفق ، فعُيّن حاكم جديد ، ويبدو أن الحكومة صادرت قصر عبيدالله متعللة بأنه مقر منصبه . وبيّن ابن الرومي أن أخـــاه كان في خدمة عبيدالله والتمس أن يسمح له بالحلول محله(١٩٥) ، ويبدو أن التماسه قد رُفض. ويرجو ابن الرومي في قصيدة أخرى عبيدالله أن يكتب رسالة يحث فيها سميّه (الوزير عبيدالله بن سليمان بن وهب) ليمنح ابن الرومي ألف (درهم) ويقترح أن يضيف هو أيضــاً جائزة مماثلة(١٩٦) . ومن ثم نستطيع أن نتبين أن عبيدالله لم يستول عليه الفقر بعد موت الموفق مباشرة ، وإن كنا نعرف أنه صار في آخر حياته معوزاً بسبب عزله ومصادرة أملاكه(١٩٧) . ولعلنا نستطيع أن نرجع معظم شكاوى ابن الرومي من عبيدالله بن عبدالله الى الحقبة التي ساءت فيها حاله ؛ فهي تذكر عدم قدرته على الإعطاء ومطله وتفضيله للآخرين(١٩٨). أما منازعات ابن الرومي مع البيهقي ، شاعر عبيدالله الرسمي ، فربما كانت من زمن مبكر بعض الشيء(١٩٩) .

وذكر ابن الرومي المعتضد نفسه في قريب من عشرين قصيدة في ديوانه ، ليس فيها واحدة طويلة ، وإنما معظمها واضح القصر ، وليس فيها أيضاً ما يدل على أن الشاعر أنشدها امام الخليفة. وكثير منها في تهنئة الخليفة المعتضد بزواجه من الأميرة الطولونية قطر الندى سنة ٢٨٢ ، بعضها قاله قبل الزواج وبعضها الآخر بعده(٢٠٠) . وغيرهـا يهنئه بارتقائه الخلافة(٢٠١) ، وبعيد الفطر(٢٠٢) ، وبعودته من الحرب منتصراً(٢٠٣) ، وبمناسبات اخرى مختلفة ؛ ومواساة له في موت امه(٢٠٤) ؛ وابيات عن صيده الأسد(٢٠٥) ؛ وحـداء نظمه ابن الرومي إجابة لطلب حادٍ يسكن بجواره(٢٠٦). وتوجد مقطوعة تمجد مثالاً مشهوراً لعدالة المعتضد الحازمة(٢٠٧) .

ويوجد كثير من الاشارات التافهة الى المعتضد . تشير احداها الى اشتراكه

في حرب الزنج ، دون ان تتعرض لهم[٢٠٨] ، وتزكي اخرى بني وهب لديه بعد عزل ابن بلبل مباشرة[٢٠٩] ؛ وتذكر واحدة حملته الى « بَلَد » التي بدأها في صفر ٢٨٠[٢١٠] ؛ وواحدة عن حملته على احمد بن عيسى بن الشيخ التي بدأها في العام نفسه او ربما بعده بسنة[٢١١] ؛ وتذكر اخرى تغييره النيروز سنة ٢٨٢[٢١٢] . ويذكر ابن الرومي ايضاً تقليد المعتضد من يسمى سالم بن عبدالله المنصب المسمى بالزمام[٢١٣] .

وكان ابن الرومي صديقاً لاثنين آخرين من العباسيين يجدر بنا ان نذكرهما هنا . وليس هناك اي شيء نستدل منه على تاريخ هذه الصداقة . واحدهما هو عبد الملك بن صالح ، الذي يبدو انه كان من انصاره الاقوياء . ويعلن ابن الرومي حبه الخالص له ، ويقول ان نتيجة ذلك انه يستطيع ان يسأله ما يريد دون خجل . ويخبرنا في موضع آخر انه يعده للنوائب ، اي يتخذه سلاحاً لحمايته من الفقر . ويعلن ايضاً انه اذا ما جفاه الوزير ، وأعانه عبد الملك ، فلا يهمه شيء[٢١٤] . وربما كان الوزير الذي يذكره هنا هو ابن بلبل . ويصف حفلة في بيت عبد الملك ، وتتضمن وصفاً لجارية جميلة سوداء كان عبد الملك يهواها ، وقد وضعت في خدمة الشاعر[٢١٥] . اما الرجل الآخر فأحمد اخو عبد الملك . وكان قد وعد ابن الرومي كساء فيلح الشاعر في طلبه ، ويدعى انه مشوق لأحمد[٢١٦] .

ويسخر ابن الرومي في ثلاثة ابيات او اربعة من عباسي آخر ، هو عيسى بن موسى بن المتوكل ، لبخله[٢١٧] .

ويمدح ابن الرومي بني حماد بقصيدة يبدو أنه قالها في اواخر حياته . وقد ضم بنو حماد فقهاء على مذهب مالك أجيالاً عديدة . وعُيِّن بعضهم قضاة لبغداد[٢١٨] . وقد عرف ابن الرومي اشياء عنهم في خلال حياته كلها . واقدم اشارة عنده يمكن تأريخها لأحدهم مرثية لأحمد بن اسحاق الذي توفى ٢٦٧ . وكان قاضي بغداد حقبة ما[٢١٩] . ويبدو أن ابن الرومي كان وثيق الصلة بإبراهيم بن حماد ، الذي يمدح كرمه في قصيدتين ، يسأله في كل منهما شيئاً من قطنه . ويواسيه

في ثالثة مواساة مخلصة في وفاة ابن اخيه[٢٢٠] . ويمدح ايضاً اسماعيل أخا حماد ، ولعله كان اشهر الاسرة ، فقد ألف بعض الكتب ، وبُعث في سفارة او اثنتين مهمتين، الى جانب توليه قضاء بغداد عدة اعوام. وتوفي اسماعيل في ٢٨٢[٢٢١] . وقال ابن الرومي قصيدة يواسي الحسن بن اسماعيل حين مرض ابوه مرة[٢٢٢] .

وبعد وفاة اسماعيل بن حماد بعام ، عُيِّن ابن عمه يوسف بن يعقوب قاضياً للجانب الشرقي من بغداد ، ومن الواضح ان ذلك المركز اضيف الى مركزه الذي كان يتقلده من قبل قاضياً للبصرة وواسط[٢٢٣] . ويبدو ان ابن الرومي اُتُّهم لديه بالزندقة. ولذلك يسرع بنفي التهمة ويقول ان ابنَيْ يوسف يشهدان له[٢٢٤] . ويشير ابن الرومي، في القصيدة المتعلقة بذلك الموضوع، الى ثورة قامت للارتفاع المفاجيء في الاسعار ، الذي يبدو ان العامة اعتقدوا ان القاضي مسئول عنه ولذلك رموه بالأحجار في منزله[٢٢٥] . ولا تُذكَر الثورة في المراجع التاريخية الموجودة .

وكان علي بن عبدالله بن المُسيَّب الكاتب من اصدقاء ابن الرومي المقربين في اواخر حياته . ويمدحه الشاعر لكرمه الذي لا يصد احداً . ويذكر في قصيدة اخرى شهود خلصاءِ ابن المسيب حفلة حُلـِّيت بالخمر والموسيقى . ويلقبه شاعر الفرس كما يلقب امرأ القيس شاعر العرب . ومن المحتمل ان ابن المسيب كان في خفض من العيش . والقصائد التي تبين صداقته لابن الرومي قصيدتان ، يذكر فيهما وفاة بنت لابن المسيب ويحضه أن يحترم النذر . وثالثة تضم سباً فظاً ، يجدر أن نحمله محمل الفكاهة اكثر من كونه علامة على النزاع . وقد توفيت البنت المذكورة عام ٢٧٨ . وعاش ابن المسيب بعد ابن الرومي وترجم لحياته، ولا زالت توجد فقرة واحدة على الاقل من هذه الترجمة[٢٢٦] .

ويظهر صديق آخر عدة مرات في ديوان ابن الرومي ، وهو احمد بن بِشْر المَرْثَدي. وكان كاتباً في ديوان الخاصة في عهد الموفق، ولا بد انه كان عالماً . فقد ألف عدة كتب في موضوعات ادبية[٢٢٧] . ويسأله ابن الرومي في جميع

القصائد التي وجهها اليه تقريباً . فيسأله في واحدة خمراً ، ولكن الشيء الذي يسأله في اغلب الاحيان هو السمك . ويبدو ان ابن بشر وعد ابن الرومي أن يمده بالسمك بانتظام . ولم يرسله الا مرة واحدة . فصار السمك موضوع فكاهة بينهما . وتمادى ابن الرومي في تلك الفكاهات حتى ابلاها . فلا تهمل السمك غير قصيدة واحدة من عشر ارسلها لابن بشر . وتتضمن أطول القصائد ، التي يهنئه فيها بمولود ، توصية بابن عمار ولذلك يمكن تأريخها بما يقرب من سنة ٢٧٨[٢٢٨] .

ويبدو ان قصيدته الاخرى القصيرة ، التي ارسلها الى اسد بن جَهْور من الكتاب ، يسأله معونة في ضائقة ألمت به ، ترجع الى الحقبة نفسها[٢٢٩] .

وصديق آخر لابن الرومي يظهر للمرة الاولى في وقت خلع ابن بلبل تقريباً ، هو ابو عثمان الناجم . وكان مثقفاً واديباً وشاعراً ، بل كان قادراً على ان يجيب على معظم اشعار ابن الرومي . ويظهر لنا في صحبة ابن الرومي ، غير قادر على قبول دعوة للذهاب الى بيت محمد بن داود بن الجراح ، لأنه كان مضطراً للذهاب الى ابن بلبـل . ويظهر مع ابن الرومي ثانية حين يغيب الداعي بعد دعوة ، ثم يظهر في زيارته في يوم موته . ولا توجد قصائد موجهة لأبي عثمان ، ما عدا بيتين من الهجاء ، ولكن هناك قليلاً من الأبيات والاشارات التي تشير الى الصلة الوثيقة بينهما . ويُدعى ابن الرومي باستاذ أبي عثمان في فقرة في ذيل زهر الآداب . ولا بد انه كان اكبر منه كثيراً حتى يكون ابو عثمان تلميذاً له[٢٣٠] .

ونظم ابن الرومي ، في عهد صداقته لأبي عثمان النـــاجم ، قصيدة ساخرة طويلة على لسان من يسمى ابا بكر الطالقـاني ، اي كما لو قالها هو ، على سبيل الفكاهة . وقصيدته الوحيدة الاخرى لهذا الرجل اعتراض قصير على تأخره في العطاء ، ولذلك ربمـا كانت علاقتهما سطحية . وبرغم ذلك ، توحي القصيدة الساخرة بالالفة . ويبدو ان ابن الرومي تكلم في موضع آخر عن ثقافته الفريدة ، ومن المعروف ان الطالقـاني كان يقول الشعر . ويبدو أنه كان في خدمة الحكومة[٢٣١] .

ويروى ان سلامة بن سعيد الحاجب ، الذي يقـــال عنه احياناً الحاجب وحسب ، دعـا ابن الرومي وأبا عثمان ذات مرة ليقضيا يوماً رضياً في بيته ، ووعدهما خمراً وغيرهـا من المنعشات ، ولكنهما حين ذهبـا وجدا الباب مغلقاً امـــامهما . فكتب ابن الرومي احتجاجاً جيداً ، محفوظاً في ديوانه مع اشعار اخرى قليلة لسلامة . ومن العسير ان نستنبط لون العلاقة بينه وبين سلامة .

وتمدح احدى قصائده سلامة دون تحفظ ، واصفاً كرمه وملقبا اياه امير الكرام . اما الاحتجاج المذكور فلا بد انـه نتيجة سوء تفاهم ما او غلطة يبدو انه اريد بهـــا الفكاهة . ولكن القصائد الاخرى تتألف من هجاء من القسوة بحيث لا يمكن ان تكون على سبيل الفكاهة . ونفترض ان سلامة كان في البداية كريما معه ثم دب بينهما النزاع . وبرغم ذلك ، يبدو ان سلامة كان « غلام » ابن الرومي ، وهو تعبير يوحي بأنه كان تابعا او تلميذاً له . وقد كتب سلامة «مئة ورقة» من الشعر[٢٣٢] .

ووصف شخص آخر بأنه «غلام ابن الرومي» وقيل انه كتب قدراً مماثلاً لما كتبه سلامة من الشعر ، وهو مثقال (محمد بن يعقوب الواسطي) . وقد وفد على بغداد ، واعتـــاد ابن الرومي حينئذ ان ينسب اليه بعض اهاجيه . وفي ديوان ابن الرومي مثال لما كتبه من هجاء لمثقال . وتتألف القصيدة الوحيدة الموجهة له في الديوان من بضعة ابيـات قليلة في لومه لوما خفيفا . ومات مثقال قبل ابن الرومي[٢٣٣] .

ويذكر ابن الرومي في احدى القصائد حفلة في منزل سليمان بن الحسن بن مَخْلَد ، حضرهـــا هو والبحتري الشاعر . ولا يمكن ان يكون تاريخ الحفلة بعيداً عن سنة ٢٨٠ قبلها او بعدها ، وكان سليمان في تلك السنة في التـاسعة عشرة من عمره . ولا يروى غير لقـاء واحد آخر بين ابن الرومي والبحتري ، وان كان من المحتمل ان كل واحد منهما عرف الآخر احسن المعرفة[٢٣٤] .

آل وهب

أهم من شجّع ابن الرومي بعد سقوط ابن بلبل آلُ وهب . وأصل هذه الأسرة من واسط . وقد تقلدوا المناصب الحكومية منذ عهد الأمويين، واستطاعوا أن يفتخروا بالخدمة المستمرة لما ينيف على قرن ونصف[٢٣٥] . ويذكر ابن الرومي في شعره من أعضاء هذه الأسرة سليمان بن وهب ، وأبناءه الثلاثة أحمد ووهبا وعبيدالله ، وابني عبيدالله : الحسن والقاسم .

وبدأ سليمان بن وهب ، رأس الاسرة في منتصف القرن الثالث ، حياته في الخدمة كاتباً للمأمون في الرابعة عشرة من عمره . ثم تقلد مناصب متنوعة ، ووزر للمهتدي ، وللمعتمد أيضاً لمدة قصيرة . واستخدمه الموفق مدة صغيرة ، ثم قبض عليه عام ٢٦٥ ، وبقي في السجن الى ان توفي عام ٢٧٢[٢٣٦] .

وكان أحمد بن سليمان شاعراً ومؤلفاً ؛ وتقلد بعض المناصب العالية في خدمة الحكومة ومات سنة ٢٨٥[٢٣٧] . واشتغل ابنه وهب بخدمة الحكومة قبل عام ٢٦٠ ويبدو أنه كان لا يزال في خدمتها قريباً من سنة ٢٨٠[٢٣٨] .

وتولى ابن سليمان الآخر : عبيدالله ، منصباً حكومياً هاماً في وقت مبكر . فقد كان كاتباً للقائد التركي موسى بن بغا (٢٦١ - ٤) ثم أضاف الى واجباته الكتابة للمفوض ولي العهد ، والموفق . ولم يستخدمه الموفق وأباه الا للكشف عن ثروة موسى بن بغا ثم قبض عليه مع أبيه ولكنه لم يبق في السجن طول حياته كأبيه ، لانه عندما صار وزيراً للمعتمد عام ٢٧٨ ، لم يكن محبوساً وانما كان يعيش مختبئاً فقيراً في المدينة . واحتفظ بالوزارة الى ان توفي عام ٢٨٨ في الثانية والستين[٢٣٩] .

وقلّد الحسن بن عبيدالله عدة مناصب حكومية ، ولكن أباه جعله يُنيب عنه في بعضها من حل محله فعلا فيها . وكان عالماً ، وألف شرحاً على اقليدس . وتوفي عام ٢٨٤[٢٤٠] .

أما القاسم بن عبيدالله فالمحتمل أنه انخرط في الخدمة منذ وزارة أبيه . وكان مرتبه الشهري في عهد الطائي (أي قبل سنة ٢٨١) ٥٠٠ دينار من منصب ذي صلة بالجيش . ويذكره الطبري لاول مرة عام ٢٨٣ ، حين ذهب أبوه الى اقليم الجبل (وربما في أثناء زيارة قصيرة قام بها أبوه الى الاقليم نفسه في العام السابق أيضاً) ، وجعله نائباً عنه في الوزارة . وكان عنيفا قاسيا اتهم بعدة جرائم بشعة، مثل قتل أحمدبن الطيب بإقحام اسمه زوراً في قائمة جماعة من المجرمين حكم عليهم المعتضد بالموت ، وقتل عمرو بن ليث وبدر المُعتضِدي . وكان مولعاً بالخمر شربا ورشا على الارض . ومات عام ٢٩١ وقد تجاوز الثلاثين[٢٤١] .

ويوجه ابن الرومي عدة قصائد الى آل وهب مجتمعين ، في مدحهم عامة ، ولكنه كان يشكو منهم ويهاجمهم بين حين وآخر . والامر العجيب أنه لا يبدو على أي قصيدة من قصائده أنها قيلت قبل عودتهم الى السلطة في عام ٢٧٨، برغم أنه يظهر من أقواله أنه كان على صلة بهم قبل ذلك بزمن طويل . ويعلن في قصيدة من أواخر قصائده الهامة أنه كان يرقب بزوغ نجم وهب حقبة طويلة ، معتبراً اياه نصيبه من الثروة ، فإن غاب حظهم بكى أسفا وان ارتفع ثانية رقص طربا . . . حتى اذا آتاهم الله السعد خص بالعطلة الطولى[٢٤٢] . ويخبر صاعداً والعلاء ابان محنتها عام ٢٧٢ أن دولتها ستُطرَد بدولة صدق - يريد آل وهب ، مما يدل على أنه كان من أنصارهم منذ السنة المذكورة على الاقل[٢٤٣] . ويشكو ابن الرومي بني وهب ، والمحتمل أن هجومه عليهم نتيجة شعوره بالإهمال وخيبة الامل ويرجع الى السنوات الاخيرة من حياته ، كالمثال الذي ذكرناه . ويتهمهم ذات مرة بأنهم أحيوا دين الصليب وشغلوا ببناء الكنائس وهدم المساجد وأبطلوا ما اختاره الخليفة جعفر (المتوكل) زيا لغير المؤمنين[٢٤٤] .

ويذكر ابن الرومي سليمان بن وهب وابنه أحمد ، كلا منهما مرة واحدة لا قيمة لها[٢٤٥] .

أما وهب بن سليمان فيختصه بأكثر من اثنتي عشرة قصيدة . وجميعها تسخر منه لخطأ في السلوك وقع منه مرة . فقد شان نفسه بعمل اضطراري يخجل له العرب كل الخجل ، ولما كان الخطأ قد حدث في مجلس أمام الوزير فقد شاعت الفضيحة . وقـد حدثت « هفوة وهب » هذه ، التي انتشرت في الآفاق ، عام ٢٥٨[٢٤٦] . ويلقب ابن الرومي وهبا مرة او اثنتين « صاحب البريد » او « بريدنا »[٢٤٧] ، واذن فقد تقلد وهب هذا المنصب ، في الخلافة كلها او في اقليم خاص ، وان كان لا يظهر لنا اكان ذلك وقت الحادث المذكور ام لا . ويُمدح وهب في قصيدة ويُسأل ان يهب لابن الرومي خراجه[٢٤٨] ، ويُستنبط من ذلك ان وهبا كان على الخراج حينئذ .

ويمدح ابن الرومي عبيدالله بن سليمان بن وهب في عدة قصائد . ويعلن في احداها ان عبيدالله تلافى دين محمد بعد ان وصل الى حالة موئسة[٢٤٩] . ولا يتردد في توجيه النصح الى عبيدالله في اخرى ، ربما قالها عام ٢٨١ ، لانه يذكر فيها انه تخطى الستين . فيحضه ان يتعرف مطالب ابنه الحسن في الترقية والا يبعده عن الخليفة ، لان جعله مع اخيه القاسم يقوي مركزه اكثر مما يضعفه[٢٥٠] .

وقصائد ابن الرومي للحسن بن عبيدالله قليلة بمقارنتها بما وجهه لأخيه القاسم ، ولكن يبدو أن ابن الرومي والحسن كانا صديقين وثيقي الصلة كل الوثوق حقبة ما . وقد حصل ابن الرومي ، بفضل الحسن ، على منحة جارية كبيرة من الطائي ، لا ندري أدفعت أم لم تدفع . ويقول مرة ، إن الحسن كان يرحب به حين يعبس له الحظ . وقد أشرت آنفاً الى طلبه الذي قدمه للوزير من أجل الحسن . ومن الواضح أنه أغضب الحسن بأمر ما . فسأله الصفح في قصيدتين . وسأله في إحداهما أن يتذكر أنه كان سروره في احزانه ونديمه على الشراب . ويلقب الحسن مرة « الملك »[٢٥١] .

وكان القاسم أصغر أبناء عبيدالله راعي ابن الرومي الأول . ويوجه اليه ابن الرومي من الشعر اكثر مما وجه لأي انسان . ويقال إن القاسم تقلد مناصب هامة منذ ان صار في الرابعة عشرة(٢٥٢) . ويروى ايضاً انــه اجرى على ابن الرومي منحة قبل ان يرجع بنو وهب الى السلطة (اي عام ٢٧٨)(٢٥٣) . وكان عبيدالله يعيش فقيراً حين ولي الوزارة ، واذن فلا بد ان القـاسم كان يتولى منصباً ما او كان له مورد خاص قبل ان يحظى ابوه بالرضى .

وبقي ابن الرومي حقبة مقرباً الى القاسم ، ولكنه ابعده عنه اخيراً . ويبدو ان الابعاد كان تدريجياً ، ولكن صداقتهما كانت معرضة للمد والجزر حتى في ايام مودتهما .

فمثلا ، اهمل القـاسم المنحة التي كان يجريها على ابن الرومي ، بعد عودة بني وهب الى السلطة(٢٥٤) ، ويروى ان القاسم عامل ابن الرومي معاملة فظة في خريف ٢٧٨(٢٥٥) ، وكان لم يمض على عودة الاسرة الى السلطة الا بضعة اشهر قلائل .

وبرغم ذلك ، نجد ابن الرومي يبالغ في مدح القاسم في العام التالي .

يقول(٢٥٦) :

أَجزَلَ البَذْءَ لي فَـأَغْنَى عن العَوْ
دِ فمـــا بي إلّا اَخْتِلالُ الوَدُودِ

غَنَّني سَيْبُهُ فجـــــاءَ مَجيءَ ا
لقَطْرِ وَالسَّيـــلِ مُقْبِلا مِن صَعودِ

لَستُ أشكوه غيرَ أَنَّ لُهـــاه
كلَّفَتْنيَ إحصَـــاءَ رمل زَرُودِ

ويبدو انه كان لا يزال صديقاً للقاسم في اوائل عام ٢٨٠ . ولعل الابعاد لم يبدأ يأخذ الصبغة الجدية الا في اواخر سنة ٢٨١ او اوائل ٢٨٢ .

وتبعاً لذلك نستطيع ان ننسب عدداً من القصائد التي تشكر له جوائزه الى المدة بين ٢٧٨ – ٢٨١ . وهي تعطينا فكرة عما اخذه ابن الرومي من جوائزه .
فتقول احداها ، ويبدو انه قالها في حياة المعتمد(٢٥٧) :

قالوا : أتأملُ مأمولا فقلتُ لهم
يُؤَمِّل المرءُ مـا لم يبلغ الأَمَلا
مثلَ المسافرِ لا ينفكُّ من سَفَرٍ
حتى إذا هو وافَى رَحْلَهُ نزَلا
وقد بلغتُ الذي أمّلتُ من أملٍ
بابنِ الوزيرِ وما أعطى وما بَذَلا

واخرى(٢٥٨) :

حَبَاني بمـا يَعْيا به كلُّ رافدٍ
وحَبَّرتُ مـا يَعْيا به كلُّ حائك

يريد انه مدحه بما يعجز عنه اي انسان آخر . ويقول ايضا(٢٥٩) :

أرَانَا عِيانا كلَّ عفوٍ ونَائِـلٍ
سمعنـا بمذكورَيْهما في البرَامكِ

ويقول عن القاسم في قصائد اخرى(٢٦٠) :

كم زارني معروفُهُ من قبل وعدٍ بالتمـاءِ

مـــا انفكَّ يرفعُني وينفعُني حتى أَضرَّ بحاسدي حَسدُهُ[٢٦١]

فأيُّ أموالكَ لم تُعْطِنَـــا وأيُّ أنوارِكَ لم تُقْبس[٢٦٢]

حديثُ سِنٍّ كبيرُ معرفة مُحْتَنِكٌ قَبْلَ حـين مُحْتَنَكِهْ

صيَّرْني جَوْدُه إلى فُسَحِ الـ عَيْشِ فأَعْنَيتُ طالبي مُسَكَهْ

أُقَـــاتِلُ الحرَّ في غَلائِلِهِ والقُرَّ في خَزِّه وفي فَنَكِهِ[٢٦٣]

ويوجد قليل من القصائد الاخرى التي تضم مدحاً مماثلاً لا خاصة معينة له . ويشيد بعضها بمناسبات خاصة ، كمولد اطفال[٢٦٤] ، او عيد[٢٦٥] ، او تعزية في وفاة ابن[٢٦٦] ، او رسالة في مرض[٢٦٧] .

ويحتوي كثير من قصائده الى القـــاسم على مطالب ، وان اختلفت درجة الالحاح فيها ، او شكاوى ، منها الخفيف والعنيف المرير . ولا غرو ان اضجره ابن الرومي وضايقه بإلحاحه وشكاواه المتكررة . ولعله شرع يزعجه بمحاولة استغلال مركزه . وعلى اية حال ، فإن ديوانه يحتوي على بعض العتاب والنصح الذي من المرجح ان يثير ثائرة الانسان السريع الغضب .

وعلى هذه الصورة يعرّف ابن الرومي القـاسم حق الأديب – وواضح انه يريد نفسه[٢٦٨] . ويلح في قصيدة اخرى على نتائج اقتراف الشر[٢٦٩] . ويأمر القـاسم في موضع آخر ان يبصر الطريق المستقيم لنفسه[٢٧٠] . ويطلب اليه ألا يسخط على مهندسه[٢٧١]، ويلقي عليه درساً عن سلوك كتابه[٢٧٢] .

ويطلب ابن الرومي إلى القاسم كثيراً أن يقلده منصباً أو يجري عليه مرتباً منتظماً. ومن اليسير أن نتبين أن الشاعر كان يفضل أن يأخذ دخلاً ثابتاً على ان يترك أمره للفرصة التي قد تتيح له جوائز كبيرة. أضف إلى ذلك، أن ابن الرومي يوضح موقفه بنفسه . يقول للقاسم[٢٧٣] :

عهْدُ كَفّي بفضْلِ كَفّيْكَ عهْدٌ   يمنعُ السائـلَ المُلِحَّ السؤالا
غيرَ أنّي أرى الجوائزَ وَبْلا   وأرى الرزقِ دِيمَةً وطِلالا

. . . . .

وقليلٌ يدوم أرْجَى وأحجَى

. . . . .

فارْتَهِنْ خدمَتي بإجْراء جارٍ   أرْتَضِيهِ كِفَايَةً وَاتصَالا
والذي أرتَضِيهِ جزءٌ صغيرٌ   ولك السُّودَدُ العَظِيمُ احتِالا

ويقدم ابن الرومي طلباً مماثلا في قصيدة أخرى على صورةِ سخريةٍ مرة . ويعلن ان القاسم(٢٧٤) :

همَّ بشغْلي بمَعْمَلٍ فرَأَى   أنَّ اَصْطِرَافي يُجِمُّ آثامي
وأنَّ دَأْبي يجرُّ لي تعبا   يُكثِرُ بَعْد الصَّحَاح أسقامي
فصان عمري عن أن يُقَسِّمهُ   بين ذنوبي وبين آلامي

ويبدو أن القاسم أجاب من مطالب ابن الرومي ما يتعلق بالمنحة، وان ظهر انه لم يواظب عليها مواظبة تامة ، لأن ابن الرومي يقول للقاسم، وهو على وشك مغادرة بغداد مع المعتضد في احدى الحملات(٢٧٥) :

سَيِّدي أنت شاخصٌ مصحوبُ   وَضَيـاعِي إليكُمُ منسوبُ
فأقِمْ لي بمـا رَزَقْتَ ضَمينا   فجميلٌ أن يُضْمَنَ الموهوب

وسواء قَبِل القاسم أو لا ، فإن المنحة يبدو انها لم تبن على اساس مرض أبداً . فما يزال ابن الرومي يشير اليها في واحدة من أواخر قصائده ، يقول فيها للقاسم(٢٧٦) :

أأحييتَني بالأمسِ ثم تُميتُني
برفْضِي وإقْصائي وحَقِّيَ أن أُدْنَى

أدو آلةٍ فاستخدِمُوني لآلِتي
بقُوتِي ، أو لا فارزُقوني مع الزَّمْنَى

ومن شكاوى ابن الرومي ما جاء به حين سُمح له بسماع جُلنار بدلاً من دُنْسِيَة(٢٧٧) . ويعتب في موضوع آخر لأنه لم يعامَل المعاملة الجديرة به ، فلم يُعلَن حضوره وانما طُرِح مع العامة ، ويقول ان أسوأ من هذه المعاملة علمه ان القاسم لم يعتبر ذلك اساءة له(٢٧٨) . ويقول في اخرى، بعد ان يعاتب القاسم على بروده(٢٧٩) :

أشكو إلى الله ظُلماً لا انكشافَ له
ما زلتُ أُرزَقُ منه شرَّ أرزاقِ

ويقول ايضاً يلومه(٢٨٠) :

خان الزمانُ فأعددتُ الكِرَامَ له
فمن أُعِدُّ إذا ما خانت العُدَد

وهو لا يريد الا القليل(٢٨١) :

نَبَتِ البقَاعُ بجَنْبِ عَبْدِكَ ضَاحِيا
فامْهَد لعَبْدَك في ذَرَاك مَقيلا

وهو على يقين ان القاسم معاونه . يقول لزوجته[٢٨٢] :

أقولُ لما رأيتُ عِرْسِي تَسْتَرْزِقُ اللهَ باليَدَيْنِ :

سيجعل اللهُ بعد عُسْرٍ يُسْرا بجَدْوَى أبي الحسين

ويرفض اصدقاؤه ان يعينوه ، وهو يستطيع ان يستعين بالقاسم[٢٨٣] :

عـليَّ دينٌ ثقيلٌ أنت قاضيهِ يا من يحمِّلني دَيْني رَجَائِيهِ

وقد حمانيَ إخوَاني مواردَهم ووكَّلتني إلى بحرٍ سَوَاقِيهِ

قالوا: أنسقِي مَن الطوفان مَوْرِدُه كما يُقالُ لمولًى أنتَ واليه

ويبدو ان ابن الرومي أغضب القاسم بعمل ما . ويعترض بأنه لن يشكو او ينكر الجميل ما دارت الأفلاك . بل انه على النقيض من ذلك حاول دائماً ان يوثق الصلة بينهما ، ولم ير ان بينهما جفاء ما دام يستطيع ان يراه ... ولكنه سمع ان القاسم عاتب عليه فأحزنه ذلك كل الحزن[٢٨٤] . ولعل غلطته الاولى هي رفضه ان يفصم عرى احدى صداقاته التي اراد القاسم منه ان يفصمها . وكل ما عثرنا عليه بصدد ذلك اشارة في احدى قصائده[٢٨٥] . وبرغم ما يقوله عن قسوة القاسم وظلمه ، يتوسل اليه قائلاً[٢٨٦] :

فلا زلتَ غَيْثا على سائلٍ ولا زلتَ غَيْظا على راغمٍ

وإن كنتَ أعقبتَني جَفْوَةً وما أنا واللهِ بالجارمِ

وراعيتَ غيري وأغفلتني خِلافا لميزانك القائمِ

ويأسف ان القاسم يسيء الظن فيه[٢٨٧] :

أصبحتُ في مأتمٍ من سوءِ رأيِـكم

والناسُ في عُرْسٍ منكُم وَفي عيدِ

ويسأل القاسم[٢٨٨] :

هل من سبيلٍ إلى تجديدِ وُدِّكمُ   وهل يُجَدَّد شيءٌ بعد إخلاق

ويشكو ابن الرومي الى المسمى الحسين بن بدر ان القاسم الذي كان امله ، قد انقلب عليه ويسأله ان يكلم القاسم وان يغريه ليعفيه من خدمته[٢٨٩] . ويبدو من قصيدة اخرى ان ابن الرومي كان قد طلب الى القاسم ان يسمح له بالتغيب عنه ليعالج مرضاً (ربما مرضاً في عينيه) ويعتذر له ويطلب صفحه، وان القاسم رفض ذلك، ربما لأنه لم يقتنع بصحة العذر . وقد نفترض ان ابن الرومي تغيب دون اذنه[٢٩٠] . ونراه يقول للقاسم في قصيدة اخرى[٢٩١] :

حلفتُ بمن يَرُدُّك لي مَرَدّا   كريمـاً إنَّهُ بالأَمْرِ أَمْلَكْ

لئن أَخْفَى حِذَاري عنك شَخْصِي   لَمَا أَرْسَلتُ مِنْ كَفِّيَّ حبْلَكْ

ولم أهرب عـلى ثقةٍ وعلمٍ   بأَنِّي إنْ رَمَيْتَ أَفوت نَبْلَكْ

ولكني هربتُ عَلى يقـينٍ   بأنك مُغْمِدٌ في الحلم نَصْلَكْ

ويقول ابن الرومي ان القاسم الذي اغرقه بعطاياه فكر مرة في معاقبته ، ولكن منعته سماحته . وقد ذهب الى ذلك ، لأن ابن الرومي عزم على ارتكاب جريمة ، لا يرتكبها مثله - تلك هي شتمه[٢٩٢] . ويشير في قصيدة اخرى الى حكايات الوشاة ويحتج مؤكداً انه لم يقل بعض مـا ابدءوا فيه واعادوا[٢٩٣] . ويؤكد ابن الرومي للقاسم ثانية ، انه ليس في حاجة لأن يخاف هجاءه . فإن فمه مسدود عن ذكره بالقبيح ، وان كان فم حاله غير مسدود (ويتهم القاسم بالظلم)[٢٩٤] . ويخبره في موضع آخر انه سيحميه من صرامة لسانه تذكُّر قلبه صرامة سيف القاسم[٢٩٥] . ولم يمتنع ابن الرومي طول الوقت عن مهاجمة القاسم ، ان كانت بعض القصائد المثبتة في ديوانه حقاً له . يقول في احداها ان

معاملته رخصت على القاسم وانه يترقب شغوفاً الفرصة للقطيعة والابتعاد(٢٩٦).
ويعلن في اخرى ان القاسم(٢٩٧) :

هاضَ حُرّيتي وأوثق بالمنـ ـزُورِ من نَيْلِهِ لساني عَقْدا

ويعبر في ثالثة عن كراهيته للقاسم تعبيراً قوياً(٢٩٨) . ولكن الهجاء المقذع الذي يصبه على القاسم ليس موجهاً الى هذا الرجل ، وانما الى رجل آخر وافق اسمه اسمه(٢٩٩) .

ولا شك ان الغيرة كانت سبب العداء بين ابن الرومي وبعض انصار القاسم. واحدهم مسيحي يسمى عمرا ، وواضح انه كان ذا ثروة وجاه ، ويبدو انه كان كاتباً للقاسم . وكان بينه وبين ابن الرومي نزاع عنيف . فطلب الى القاسم عدة مرات ان يعينه عليه ، قائلاً ان عمرا قد سبه وشتمه ، معلناً انه مثل الكلب ، ولكنه لا يتحلى الا بصفات الكلب السيئة(٣٠٠) . ويظهر ان شعر ابن الرومي في عمرو كان يعجب القاسم ، ولكن ليس من شيء يدل على انه فعل ما يرضي ابن الرومي — حقاً انه منع عمراً من شهود مجلسه حين شكاه ابن الرومي(٣٠١) .

ويصور ابن الرومي المقربين الى القاسم في احدى اشعاره في عمرو . يقول انه لا يستطيع ان يفهم كيف يصادق عمرا على حين ان لديه اصدقاء عظماء كثيرين ، ثم يعدد أشهر اعضاء حلقته ، وان لم يذكرهم كلهم بوضوح يمكننا من معرفتهم لسوء الحظ(٣٠٢) . وكان منهم الطبيب ، ابو اسحاق ؛ وابو اسحاق الآخر هو الزجاج ؛ والنحوي، صاحب الفرامي، ولعله الأخفش ، والفراسي او ابن فراس .

اما ابو اسحاق الطبيب ، الذي لا يذكر الا مرة واحدة في الديوان ، فيبدو انه غير معروف في المراجع الاخرى .

اما الزجاج ، وهو من ابرع تلاميذ المبرد ، الذي زكاه لدى عبيدالله بن سليمان ورشحه معلماً لأبنائه ثم علم ابناء المعتضد ، فكان من فقهاء عصره المقدمين . ولا

يذكره ابن الرومي الا في قصيدة اخرى، ويتكلم عنه باعتباره احد افراد حلقة القاسم ايضاً . فيذكر في المقطوعة الأولى فكاهاته اللطيفة ، وافكاره الغزيرة ، وعلمه باللغة الفصحى . ويروي المسعودي انه كانت توجد عدة قصص طيبة عن الزجاج وابن الرومي[٣٠٣] .

ودرس الاخفش، ابو الحسن على بن سليمان ، المعروف بالأخفش الصغير تفرقة بينه وبين ثلاثة اخافش آخرين ، على المبرد وغيره . وهو راوي كامل المبرد . ورشحه المبرد لتعليم ابنـــاء ابراهيم بن المدبر ، الذي صار من اصدقائه ايضاً . والف الأخفش ان يعبث بابن الرومي لتطيره ، فخلق ذلك النزاع بينهما[٣٠٤] ، ولكنه اتهم ابن الرومي ايضاً بسرقة اهاجي غيره ونقد بعض شعره ، فأضيف ذلك الى اسباب النزاع بين الاثنين . فهجا ابن الرومي الأخفش. ويوجد من هذا الهجاء ثلاث قصائد . يقول في احداها[٣٠٥] :

قِلْتُ لمن قال لي عَرَضْتَ على الْـ ... أَخفَشِ ما قلته فما حَمِدَهْ

قَصَّرْتَ بالشّعْرِ حين تَعْرِضُهُ ... على مُبِينِ الْعَمى إذا انْتَقَدَهْ

مـــا قال شعرا ولا رواه فلا ... ثَعْلَبُهُ كَانَ ولا أَسَدَهْ

فإنْ يَقُلْ إنني رَوَيْتُ فكالـــدفْتَرِ جَهْلاً بكلِّ ما اعْتَقَدَهْ

أرُمْتَ زَيني بأن تُعَرِّضني ... لمدحـــه فالذليل من عَضَدَهْ

أم رُمْتَ شيْني بأن تعرضني ... لثَلْبِهِ فـــالسَّليمُ مَنْ قَصَدَهْ

وتعنف القصيدة حتى تنتهي بسب مقذع مفحش . وتتألف القصيدتان الأخريان من سب مقذع ايضاً . ثم اصطلح ابن الرومي مع الأخفش ، ومدحه في لهجة مشرقة ، قائلاً[٣٠٦] :

وتَراه تَدِينُهُ كلُّ عَوْصا ... ءِ كما دَانتِ الحَليلَةُ بَعْلا

يَا ظِمَاءً إلى الصوابِ رِدُوه   يَسْقِكُم بالصوابِ عَلًّا ونَهْلا
هو بحرٌ منَ البُحُورِ فُراتٌ   ليس مِلْحاً وليس حَاشَاه ضَحْلا

وحدثت جفوة بينهما ثانية بعد الصلح وحذر ابن الرومي الأخفش مما يفعله لو ثار غضبه ثانية ، ولكن يبدو انه لم يقع بينهما نزاع آخر .

ومن الواضح ان ابن فراس ، او ابا الحسن الفراسي كما يسمى في التعداد ، هو محمد بن فراس ، الذي يظهر بين انصار القاسم في زمن متأخر ، ويشتهر بغيرته[٣٠٧] . ونعلم من ابن الرومي جميع ما يمكن ان يقال عنه تقريباً . وتطلب اطول قصائد الرومي لابن فراس ، وتتألف مما ينيف على مئة بيت ، صداقته ومودته في قوة . ويشير ابن الرومي ، في اثنائها ، الى المركز السامي الذي بلغه ابن فراس – ربما كأحد اتباع القاسم ، ويذكر ان جماعة استفادوا من حسن حظه ، مثل عمرو كاتب القاسم ، وغيره من امثاله . ويتكلم عن نقصه (في الميزان مع القاسم) بعد ان كان راجحاً ويتهم ابن فراس بأنه سبب هذا النقص ، ويخبره انه احبه قبل ان يراه ، ويقترح عليه ان يمدحه ، فإن لم يقبل المدح يهدده بالهجاء[٣٠٨] .

ويسأل ابن الرومي في قصيدة اخرى ابن فراس ان يشفع له عند القاسم[٣٠٩] . ويبدو ان ابن فراس لم يستجب لسؤال ابن الرومي ، فدبت بينهما الجفوة . ويشار الى رفض ابن فراس ان يساعد ابن الرومي في مقطوعة ربما تبين ان ابن الرومي كان واضعاً في اعتباره انه محتاج له ، ربما لأنه كان قد مدحه ويتوقع ان يعينه . فيقول عنه[٣١٠] :

ووَغْدٍ وهبْتُ له حِكْمَه   وَأَمَّلْتُ منكودَ مَوْهُوبِهِ
فكنتُ كعابدِ مَنْحُوتِهِ   ومسترزِقٍ رزقَ مَنْصُوبِهِ
ولو قد ألحَّ عليه الهجَا   ءُ جَرْجَرَ من عَضِّ كَلُّوبِهِ

والمرجح ان النزاع ادى الى تشاجرهما امام القاسم . ومن امثلة هذا الشجار ما حدث عندما سأل ابن فراس عن معنى كلمة غريبة فسخر منه ابن الرومي(٣١١) .
وربما نفسر المجموعة الكاملة من قصائد الهجاء التي قالها ابن الرومي في ابن فراس بازدياد العداء بينهما تدريجياً . وهي تمتد من مرحلة العتاب الخفيف الى الشتيمة المقذعة ، التي تتهم فيها ام ابن فراس ونساؤه بالفجور . ويسخر من ابن فراس لبخله ، ويصوره بأنه منقصة مشهورة فيه(٣١٢) .

ولم يتضح لنا ، اذا ما كان نفطويه ابراهيم بن محمد من حلقة محمد او لا ، ولكنه كان تلميذاً للمبرد مثل الزجاج والأخفش . وكان نحوياً ومؤرخاً ممتازاً مدحه المسعودي . ويبدو ان ابن الرومي كان يكرهه ، وقد هجاه بشعر مليء بالسب الفاحش . وكان نفطويه مع الشاعر في يوم وفاته(٣١٣) .

ويذكر ابن الرومي مرة مكانه الذي اخلاه في حلقة القاسم ، ويتساءل في عجب اذا ما كان الفراس والزجاج سيرعيان الصداقة ، ويقول :

ليت شعري عن الفِرَاسِيِّ وَالزجّـــاجِ هل يَرْعيان مني الإخاءَ
فيقولان : إنَّ مَوضع مولا كَ عَميرا أَشَفَّ منه ، خلاءَ
أذنِ شَخْصي إذا شَدَتْ لكَ بُسْتا ن . . . . . .

وكان ذلك وبستان المغنية لا تزال حية ، لأنه يطلب ان يقرب من غنائها . ويذكر في قصيدة اشار فيها الى مرض بستان ، عدم الاذن بإدخاله . ولعله كان يؤذن له ان يشهد مجلس القاسم بين وقت وآخر كصغار الاتباع ، بعد ان فقد المركز الخاص الذي كان يشغله كأحد افراد الحلقة(٣١٤) .

وفاتـه

[وفاة ابن الرومي، كيف قتل ، الرواية الاولى – الرواية الثانية ، غير صحيحة ايضاً – الشك في تاريخ وفاته – الشعراء الذين اتصل بهم ابن الرومي – النساء اللائي يبين شعر ابن الرومي انه عرفهن – معظمهن قيـــان ؛ وصف قينة – اسرة ابن الرومي : الام ، الخالة ، الاخ ، الزوجات ، الاطفال – وصف ابن الرومي : البنية ، اللباس ، الخلق ، الخ – تطيره ، إيمانه ، تشيعه – اتهـامه بالزندقة – يشرب الخمر ، ويولع بسماع الغناء – اكول – ظروفه المالية .

الشعر -- المخطوطات الموجودة -- الطبعـــات – وصف شعره – الرثاء ، العتـــاب ، الهجاء – الغزل – الوصف – شعر الخصومات ، الشعر التعليمي – آراء النقاد العرب في آثاره – ملاحظات على مزاياه] .

مات ابن الرومي عام ٢٨٣ او ٢٨٤ ، مسموماً بأمر القاسم . وكان قد اخذ يزعج القـــاسم ، ولم يكن هذا ليتردد في القتل ليخلص نفسه من اية عقبة . واستخدم ابن فراس ليقوم بسمّه . وتتفق الروايتـــان الواردتان عن موت ابن الرومي في ذلك ، ثم تفترقـــان في نواح اخرى ، ولا يمكن ان تصح احداهما . تذهب اقدمها ، وهي رواية الحصري ، الى ان القـــاسم عندما قرب اليه ابن الرومي ، رغب ابوه عبيدالله بن سليمان في ان يراه ، ولما تم له ذلك ألح على ابنه في التخلص من الشاعر . فقد وجده خطراً ، قد يجلب العـــار الابدي على بني وهب بكلمة او اثنتين في وقت ما . وألبس عبيدالله هذا التحذير ثوب الالغاز . ففسره ابن فراس للقاسم ، وتعهد بتنفيذه . فدبر ان يتناول ابن الرومي السم في لوزينج ، وهو نوع من الحلوى المتخذ من اللوز يقدم في كأس . وحين شربه ابن الرومي ، شعر بأنه قد سم فنهض للرحيل . فسأله القاسم ، الذي كان الشاعر في حضرته ، الى اين هو ذاهب . فأجاب : «الى حيث ارسلتني»[٣١٥] .

والأمر المستحيل في هذه القصة أنها تذهب إلى أن عبيدالله لم ير الشاعر إلا قبيل وفاته ، على حين توضح قصائده أنه كان على صلة وثيقة به بضع سنوات .

ولا تخص الرواية الثانية ، التي ذكرها ابن خلكان ، عبيدالله بأي نصيب منهـــا . وإنما تخبرنا ان القاسم ، وزير المعتضد ، كان يخاف هجاء ابن الرومي وتهوره في استخدام المقــذع من السب ، فأرسل الى ابن فراس الذي اعطى ابن الرومي خشكنانجه مسمومة ليأكلها ، وهو في دار الوزير . وبعد ان تناول ابن الرومي السم وأجابه بأنه ذاهب الى حيث أرسله ، قال القاسم : «سلم على والدي» . فقال له : « ما طريقي على النـــار »[316] . وواضح ان العبارتين الأخيرتين كاذبتان ، بالنظر الى ان ابا القاسم عاش بعد ابن الرومي بأربع سنوات او اكثر ومن الغريب ألا يلاحظ ابن خلكان وغيره ممن رددوا هذا الخبر ذلك الاعتراض الحاسم عليهـــا[317] . وقد نظن أن وصف القاسم في هذه الرواية بالوزير غلطة أخرى ، ولكن يبدو انه ليس كذلك . فمن المؤكد ان ابا القاسم كان وزيراً حينئذ ، ولكن القــاسم لقّب بالوزير ايضاً في حياة ابيه . ويلقب ابن الرومي القــاسم بالوزير في اكثر من قصيدة[318] . ولا زالت الرواية غير مرجحة ، حتى بحذف الإضافة الكاذبة . وانهـــا لتقال عن اشخاص آخرين في التاريخ ، ولكنها دائماً تنذر بالشك[319] .

ولانعرف يقيناً سنة وفاة ابن الرومي . ويرجح المؤرخون له سنة ٨٩٦/٢٨٣[320] ، ولم يعثر في شعره على ما يبين أنه عاش بعدها . ولكن ياقوتا يروي ان المقطوعة المشهورة التي قالها ابن بسّام الشاعر عند وفاة الحسن بن عبيدالله ، نسبها قائلهـــا لابن الرومي ، الذي لا بد اذن انه عـــاش الى سنة ٢٨٤ ، اذ ان الحسن توفي في تلك السنة[321] . وبرغم ذلك ، يوجد ما يشككنا في رواية ياقوت[322] .

ويمـــاثل ذلك عدم معرفة سنة وفاة البحتري ، الذي مات في العهد نفسه تقريباً ، على وجه اليقين . فيذكر المؤلفون المختلفون أنها كانت في ٢٨٣ أو ٢٨٤ او ٢٨٥ او ٢٨٦[323] .

ووجه ابن الرومي قسطاً كبيراً من نشاطه للخصومات الدائمة بينه وبين منافسيه من الشعراء، الذين يجدر أن يعنى بهم في تاريخ حياته لذلك السبب، وان لم يكن لدينا الا قليل من الاخبار عنهم. اما الذين لا نعرف عنهم غير ذكرهم في ديوان ابن الرومي فهم خالد القَحْطَبي[٣٢٤]، والشَّوكي، وابو حفص الورّاق، واحمد بن حُرَيث[٣٢٥]، وابن خَنْساء، أحد أنصار الطائي، وأبو يوسف الدقّاق[٣٢٦]، وابن ابي الجهم، وابن بُوران[٣٢٧]، وابن ابي قُرَّة البصري، وابو الحسن الخُزاعي، وابو المُستهِلّ، شاعر سائل مخبول من الكرخ، وابو سُوَيد بن أبي العتاهية، وواضح انه ابن الشاعر المشهور الذي توفي عام ٢١٣. واما الذين ذكروا في مراجع اخرى، وان لم يكونوا شعراء مشهورين فيما يظهر، فهم صاعد بن حُميد[٣٢٨]، وفُضَيل الاعرج الكوفي[٣٢٩]، وسَوّار بن أبي شراعة البصري، الذي كان ابوه من المقربين الى ابراهيم بن المدبر ابان ولايته على البصرة[٣٣٠]، والبَيْهقي المذكور سابقاً وكان من اتباع عبيدالله بن عبدالله[٣٣١]. واما الشعراء المعروفون فاثنان فقط: أحمد ابن أبي طاهر، وهو مؤلف عدة كتب، وان لم يشتهر بمزاياه[٣٣٢]، والبحتري الذي يعد اعظم شاعر عربي في عصره[٣٣٣].

وكان خالد القحطبي الهدف الرئيسي لابن الرومي، هجاه في اكثر من ستين قصيدة، ربط بينه وبين الشوكي في قليل منها. وكان ابو حفص الوراق هدفاً مفضلاً آخر لسخرية ابن الرومي وشتائمه؛ فأهاجيه تبلغ نصف اهاجي خالد. وسخر من كل واحد من الشعراء الآخرين المذكورين تقريباً او سبه في عدة قصائد من اللون نفسه. وكان غرض الأهاجي تحقير المهجوين او تسخيفهم. والخطة المعتادة فيها تقوم على رميهم بالتهم الشائنة والمُحِطّة، بغض النظر عن صحتها، فيما يبدو. ولذلك لا نخرج بشيء من هذه الأهاجي. ويذكر ابن الرومي في احداها - فيما يحتمل - رأيه الحقيقي في شعر احمد بن أبي طاهر اذ يعلن انه متوسط، فلا هو بارد ولا هو حار[٣٣٤]، ولكنه هو نفسه يناقض ما اتهم به شعر البحتري. اذ يشهد في قصيدة لا يمكن ان تكون قيلت قبل ٢٧٨

بروعة شعره ، في اثناء اعتراضه على ناقد فضل البحتري عليه[٣٣٥] . ويقال ان البحتري لم يغضب لهجائه ، وأنه أرسل اليه جـــائزة شفقة عليه ، لا اغراء له بالسكوت[٣٣٦] . ويبـــدو ان معرفة ابن الرومي بالبحتري استمرت وقتاً غير قصير[٣٣٧] .

وليس من شيء يدلنـــا على ان ابن الرومي رأى ابن المعتز ، الذي كان في بغداد في ذلك العهد ، وان كان اصغر منه بمـا يزيد على عشرين عاماً . وبرغم ذلك ، يقـــال ان تشبيهاته زُكّيت امامه ، ففسر لماذا لا يستطيع ان يماثله في بعضها[٣٣٨] .

وتذكر قصائد ابن الرومي جماعة من النساء عرفهن . ويبدو من عنوان مقطوعة قصيرة يتفكه فيهـا في حرية مع قُسْطَنْطِينة ، أنها جارية لمن تدعى ام حبيب[٣٣٩] . ومن الواضح انها قسطنطينة التي يذكر الجاحظ انها وظَلُوم أَمَتان لأم حبيب ومثّل بها لنساء الأعيـان اللائي اعتدن أن يذهبن ويجئن في المهات وان يبرزن للناس[٣٤٠] . وربما كانت ظلوم هذه هي ظلوم التي يرد اسمها في مقدمة احدى قصائد ابن الرومي[٣٤١] . وربمـــا كانت قسطنطينة هي قسطنطينة التي توصف بزوجة الخلّال في عنوان احدى قصائد ابن الرومي[٣٤٢] .

ويبدو ان ام علي زوجة القاسم بن عبيدالله[٣٤٣] . اما جاريتها بستان فكانت مغنية وعازفة على العود . اما نساء القاسم الاخريات اللائي كن مغنيات وعازفات فعجائب ، جـــارية تركية ؛ وجُلَّنار ، وهي راقصة عـــلى الطبل والصنج ايضاً[٣٤٤] ؛ وغَنّاء[٣٤٥] ؛ ودُبَيسيّة ، التي كان يفضل ابن الرومي غناءها على غناء جلنار[٣٤٦] ؛ وبِدْعَة ، محظية القـاسم[٣٤٧] . وحين ماتت بستان بكاها ابن الرومي في مرثية طويلة مسئمة شيئاً ما[٣٤٨] .

ويمدح ابن الرومي دُرَيرة ، وهي جـــارية مغنية عازفة ، كان ابن بشر المَرْثَدي متصلاً بها ، في ثلاث قصائد . ويقال ان احداها ، وهي ذات لطف خاص ، ألّفها اجـــابة لطلب ابن بشر . والأمر العجيب ان ابن الرومي يسب

دريرة في قصيدة اخرى سباً مقذعاً كل الاقذاع[٣٤٩] . ولم يُذكر اسم الجارية السوداء الجميلة التي مدحهـا ابن الرومي بقصيدة من اجل حبيبها عبد الملك بن صالح[٣٥٠] .

وكانت شاجي التي مدحها ابن الرومي جارية لعبيدالله بن عبدالله وموسيقية بارعة . وألِف سيدها ، الذي كان يخجل ان يُعرَف بقول الأغاني ، ان ينسب اليها ما يؤلفه من هذا اللون . وكانت لا تزال تعيش في ايام المعتضد[٣٥١] .

وكانت وحيد، «جارية عَنهَمة»، ومظلومة اللتان ظهرتا في ايام بني وهب، مغنيتين وعازفتين ، مدحها ابن الرومي[٣٥٢] . وودّان ومُظفَّر فتاتان ذكرهما عرضاً . وكان نُجح الخادم متعلقاً بأولاهما ، وبدر المُعْتَضِدي بالثانية[٣٥٣] . ويبدو ان مرامِي الكوفية كانت صديقة لابن الرومي[٣٥٤] . وكانت قـافية احدى زوجات ابن بلبل[٣٥٥] .

ويوجد بعض نسوة كـان ابن الرومي يكرههن . فكانت شنطف القرّاءة الهدف الدائم لسخريته العنيفة . وكانت مغنية رديئة[٣٥٦] . وسب ايضاً كنوز ومغنية تدعى شاغل ، من نساء سلامة بن صاعد[٣٥٧] ، وكذلك كنيزة في اربع قصائد فظة[٣٥٨] . وافحش كل الافحـاش في هجاء محب زوجة المسمى احمد بن صاعد[٣٥٩] . وسخر من فَهْم التي غنت في حضرة عيسى بن هـارون[٣٦٠] ، ومن نزهة ، التي يقارنها بدريرة[٣٦١] .

وقليل من النساء اللائي ذكرهن ابن الرومي يمكن ان يكون اتصل بهن قبل السنوات الأخيرة من حياته . وكن قياناً ماهرات في الموسيقى ، باستثناء واحدة او اثنتين . ويبدو ان معظم هؤلاء القيان كن يعشن حياة عائلية خاصة ، مثل اتباع القاسم. ويوجد وصف آخر لقيان يجب ان يُفهم مركزهن لنقدر اشاراته

---

(٣٥٤) سبقت الاشارة الى سوء فهم المؤلف كلمة «قـافية» ، فهي اذن ليست زوجة لابن بلبل ، ولا امرأة على الاطلاق - المترجم .

بهن. هؤلاء من الجواري اللاتي يحتسب سادتهن من عزفهن وغنائهن. والزوار قد يذهبون الى منازل سادتهن (المُغَنّين) للاستماع الى الموسيقى او قد تُؤَجر القينة لحفلة مـا ويرافقها رقيب او حافظة . وقد لعبت هؤلاء القيان دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية في بغداد وغيرها من المدن الاسلامية في العصور العباسية[٣٦٢]. وليس هنـاك بالضرورة ما يعيب عملهن ، ولكنهن لما كن مضطرات الى اغراء الرجال ، كان من المرجح ان يحيد ذلك بهن عن الطريق السوي ، ويبدو فعلاً ان الفـاضلات منهن كن قليلات[٣٦٣] . ومن ثم صار لفظ «قينة» يطلق مرادفاً للفظ فاجرة ، والفعل (تَقَايَنَ) الذي يعني زيارة القيـــان للانغماس في الفجور[٣٦٤] . وحين يتكلم ابن الرومي عن جاذبية القينة ويخبرنا انه لا لوم على من تأسره ، يكون نظره موجهاً الى واحدة من هذه الطبقة والى السحر الذي تحتفظ به في فتنتها (الرَّبيط)[٣٦٥] . ومن الواضح ان ابياته التي يسخر فيها من طريقة تهدئة القينة العاصية تشير الى امرأة سيئة الخلق[٣٦٦]].

وكثير من الذين ذكرهم ابن الرومي في شعره غـــير مذكورين في المراجع التـاريخية الموجودة ولا نعرف عنهم اكثر من اسمائهم . ويبدو ان بعض الذين مدحهم اشخاص مغمورون خاملون[٣٦٧] .

اما عن اسرة ابن الرومي، فقد اشرت سابقاً الى ابيه . وذكرت وفاة امه ، وهو بين الخمسين والستين من عمره . ويبكي امه في قصيدة طويلة ، يبدو عليهـا شيء من الزيف والرثاء العام ، برغم انه يعلن حبه اياهـا ويقول انه يفضل موته هو على فقدها[٣٦٨] . وكان له اخت عزيزة عليه توفيت قبلهـــا[٣٦٩] . وبدأ أخوه محمد حياته كاتباً «ورجل طرده بعد مدة»[٣٧٠] . وقد ذكرت سابقاً انه مات وهو في خدمة عبيدالله بن عبدالله بعد وفاة امه بوقت غير طويل . ولم يبين المنصب الذي كان محمد يشغله لدى عبيدالله بن عبدالله . وتوجد قصيدتان قصيرتان يدافع فيهما ابن الرومي عنه امام مستخدميه[٣٧١] ، ولكن ليس هناك ما يبين من هم المخـاطبون فيهما او الى اي تاريخ ترجعان يقيناً . وفي ديوان ابن الرومي

بيتان يبكيان هذا الاخ ، ولعلهما مـا تبقى من قصيدة طويلة[٣٧٢] . ويشير الى مصابه في قصيدة اخرى قد تفيد أن اخاه كان توأماً له[٣٧٣] .

ويتكلم ابن الرومي كثيراً عن كونـــه متزوجاً . فهو يسأل صديقاً يسمى ابراهيم ذات مرة أن يمنحه هبة ، وهو على أهبة الزواج[٣٧٤] . ويبدو انه كان بلا زوجة حقبة ما في اواخر حياته ، حيث يقول للقاسم في احدى قصائده انه بلا ضجيع[٣٧٥] ، ولعـــل الاقتراح الذي قـُدّم له ليتزوج امرأة كان في ذلك الوقت[٣٧٦] . ولكنه كان ذا زوجة ابان خدمته القـــاسم ، اما قبل الوقت السابق او بعده ، اذ يتكلم عن قولـــه ان الله سيعينه بواسطته ، حين رفعت زوجته يديهـــا الى السماء داعية[٣٧٧] . وترثي قصيدة ، من المحتمل انها مقطوعة منها ، احدى زوجـــاته[٣٧٨] . ولا نعرف يقيناً أكان له ثلاثة ابناء ام اكثر ، وما اذا كان بعض ابنـــائه عاش بعده او توفوا جميعا في حياته . ويرثي احد ابنائه ، ويسمى محمداً ، في مرثية تبين انه مـــات صغيراً جداً ، تاركا اخوين صغيرين احدهمـــا يكبره والآخر يصغره[٣٧٩] . ويضم شعره مرثيتين اخريين لأبنـــاء له ، لا يذكر اسم احدهما[٣٨٠] ، ويسمى الآخر هبة الله[٣٨١] ، ولكن ليس من الواضح ما اذا كان هذان الاثنان موجودين عند وفاة محمد او ولداً بعده .

وكان ابن الرومي ، وفقا لما يقوله هو نفسه[٣٨٢] ، دقيق البنية ، لكنه نحيف وصلب[٣٨٣] ، وكان قبيح الوجه[٣٨٤] . واشتهر بارتدائـــه الملابس القذرة[٣٨٥] ويبدو ان هيئته كانت توحي بأنه شخص خـــامل[٣٨٦] . وكان يلبس عمامة[٣٨٧] ، ودُرّاعة ، وهي أشبه بالجبة ، غير ان طرفيهـــا الاماميين مخيطـــان الى منتصف الصدر تقريبا[٣٨٨] . ولم تكن العمامة زي اهل طبقته في عصره ، وكثيراً ما اضطر الى الرد على منتقديه بسببها متعللاً بأسباب ، احدها خفاء صلعه[٣٨٩] .

ويعلن ابن الرومي عن نفسه انه ليث نفسا[٣٩٠] ، وحية رقشاء جسما[٣٩١]

– أي انه ضئيل ولكنه سريع مميت – وصبر مادوم بالبيس[٣٩٢] . ويفتخر برأيه وقدرته . يقول[٣٩٣] :

ولستُ مُقارِعاً جيشاً ولكنْ برأيي يَستَضِيءُ ذَوُو القِراعَ

ويقول ايضاً[٣٩٤] :

نظرتُ بعينِ إنصافٍ وعدلٍ فلم أرَ قطُّ ميزاني خفيفا

ويقول[٣٩٥] :

شُكري عَتِيدٌ وكذاك حِقْدي للخير والشرّ بقاءٌ عندي

ويقول أحد من عرفوه إنه كان شديد التغير ، سريع الانقلاب ، ضيق الصدر ، قليل الصبر ، مفرط الطّيرة غالياً فيها ، وكان عظيم التخوف ، كثير التجسس، يراه من يلقاه كالمتوجس المذعور[٣٩٦] . وأخذت طيرته صورة الإيمان بالنُّذُر . وتُروَى الاخبار المتنوعة عن الطريقة المضحكة التي كان يتأثر بها بهذه النذر . وترجع خصومته للأخفش إلى سخرية هذا منه باتخاذ الاسماء التي يعتبرها ابن الرومي مجلبة للشؤم . فكان يطرق الباب على ابن الرومي مثلاً ، فيقول : من بالباب ؟ فيقول الأخفش : حرب بن مقاتل[٣٩٧] ، وهي عبارة تعطي أشد النذر . وكان أحياناً يلبس ثيابه ، ويصير الى الباب ، فيضع عينه على خلل منه ، فيرجع مذعوراً ، لأنه رأى جاراً أعور ، ولا يفتح الباب يومه هذا ، وقد أغلق بيته ذات مرة على هذا النحو ثلاثة ايام[٣٩٨] . وزاره صديق في مرضه الأخير فوجده مقتنعاً أنه سيموت نتيجة خطأ في الفأل . وأخبره أنه بعد ان عبر قنطرة بغداد ، خالف لشؤمه واقتراب أجله، فأخذ يسرة – وهو مشتق(*) من العسر – وسأل عن سكة العباس – وهو مشتق من العبوس – وما

(*) كذا في الاصل ، والصواب : وهو مقلوب من العسر – المترجم .

اشبه[٣٩٩] . وفي شعره امثلة هذا التمسك غير العادي بالتطير . ويبين في إحدى قصائده بتلاعبه في الاسماء ان انكسار سكان السفينة في دجلة فأل بالنجاة[٤٠٠]. ويعلن في اخرى أن تسمية الابن الاول عباساً تجلب للعائلة سبعة ابناء ، لأن الحروف الاصول مشتركة بين الكلمتين[٤٠١] .

ويعتذر ابن الرومي عن قبول دعوة بالسفر الى سامرا في قصيدة بالأخطار التي يتعرض لها المسافر ، سواء بالبر أو بالبحر ، وقد استدل بعضهم من ذلك على جبنه . ولكن يبدو أنها كانت للتفكه[٤٠٢] . ويبدو مما يقوله أنه حج إلى مكة[٤٠٣] . ولا يوجد شيء آخر يبين أنه غادر الجزيرة ، أو أنه رأى منها اكثر من سامرا والبصرة والبحر .

ويخبرنا ابن الرومي عن ديانته إنه عبد الاوثان حقبة ، وكان ذلك من عظيم آثامه[٤٠٤] . ولا يمكن أن نفهم قوله فهماً حرفياً ، فلعل « الوثن الذي أشركه بالله » نسكاً ما كان يقوم به أو عقيدة كان يتمسك بها[*] . وترجع القصيدة التي وردت فيها هذه الاقوال إلى أوائل حياته ، لأنه يعلن فيها أنه متوّج بالولاء لأبي العباس (صحتها ابن العباس)[٤٠٥] ، وقد بينت انه شرع يهجو العباسيين قبل أن يبلغ الثلاثين[٤٠٦] . وتضم مرثية يحي بن عمر التي قالها ابن الرومي قبل أن يصل إلى تلك السن مباشرة مدحاً عظيماً في آل علي . ومن ثم وصف ابن الرومي بالشيعي . ويقول المعري عندما لاحظ ذلك إنه لا يراه إلا على مذهب غيره من الشعراء[٤٠٧] . وبرغم ذلك توجد قصيدة اخرى يظهر فيها تشيع ابن الرومي واضحاً ، فيمدح علياً الذي يقول عنه إن النبي اسند اليه زعامة المسلمين ويلوم نفسه إذ لم يسفح دمه من أجل العلويين[٤٠٨] . أضف الى ذلك اننا نستدل على هوى ابن الرومي من اتصاله بالشيعيين البارزين ، وخاصة أبا سهل ، الذي

(*) لا يذكر الشاعر شيئا من ذلك ، وانما يريد بالاوثان التي عبدها وصلى لها ، الرجال الذين مدحهم ، فأثابوه حرمانه من مالهم - المترجم .

يخبره أن روابط العقيــدة تجمعهما ، كما بينت آنفاً[٤٠٩] . حقاً برغم ذلك – لا يتردد ابن الرومي في إخبار المعتضد أنه حاز ميراث النبي[٤١٠] ، ولا يتفق هذا القول مع آراء الشيعة . وربما أمكن تفسير ذلك بأنه غير آراءه الدينية في اواخر حياته . ويعلن ابن الرومي ايضاً أنه معتزلي قوي الاعتزال[٤١١] . وليس لدينـا عما اتهم به امام القاضي يوسف من زندقة غير دفاعه ، ولا شيء عن تفـاصيل الاتهام . وقد احتج لدى القاضي بقوله[٤١٢] :

يشهدُ اللهُ أنَّ ديني دِينٌ يَرْتَضيهِ شهادةً ومَغيبـــا
لم أعانِدْ به الطريقَ ولا أضـ ـحى لدين المُعانـدين نسيبا

ومن المؤكد ان ابن الرومي كان مستهتراً بالشعائر الدينية . فكان يشرب الخمر . ويخبرنا أن كبار فقهــاء الإسلام اختلفوا فيها . فحلل ابو حنيفة النبيذ وحرم المدامة والسكر ، وسوّى مــالك بين الاثنين وحرّمها . فابن الرومي قادر عــلى شرب المدام دون حرج ، بالأخذ بمــا ورد في صدر كلام كل من الفقيهين[٤١٣] . ويسأل ابن الرومي خمراً مرة او اثنتين في قصائده ، ولا شك أنه ألف شربها والاكثار منها كما يقول ، وإن كان غيّر رأيه فيهــا في ساعة ندم عندما كبرت سنه وامتنع من شربها[٤١٤] . ويصف الخمر ، ويزكّيها ، ويمدحها قريبٌ من اربع عشرة قصيدة من شعره ، معظمها قصير[٤١٥] .

ويعترض الاتقياء على اعتذار ابن الرومي من شرب الخمر اعتراضاً شديداً ، لأنه يسخر من كبار فقهاء الإسلام . ولا تقلّ إساءة ملاحظاته عن رمضان . إذ يصفه بالطول ، وسرعة المجيء ، والتأخر في الرحيل ، وإبطال جميع المسرات ، وليس من شيء مبــارك فيه غير طوله ، ولا يرحب به[٤١٦] . وأشنع من ذلك إن لم يدل على الزندقة الصريحة بيت يخبر فيه ممدوحاً إنه لو عاش في عصر النبي لأوحى الله بمدحه في القرآن[٤١٧] .

ومن الواضح أن ابن الرومي كان مولعاً بالنساء ، وإن صدقناه قلنــا بأنه

اتصل بأكثر من واحدة صلة فجور[٤١٨] . ونستطيع أن نتهمه مما تفوه به برذيلة شائنة لا يصح التصريح بهـا[٤١٩] . ومما أغرم به الى أواخر حياته الاستماع الى الغناء[٤٢٠] . وقد عزم على الصلاح وإلقاء عبء الآثام عن كاهله، في زمن مبكر أو متأخر من حياته[٤٢١] . فيفتخر في قصيدة بأنه أصلح أحواله ورفض زيارة الحبيب[٤٢٢] .

وأحد نواحي الضعف عنـد ابن الرومي نَهَمه في الأكل[٤٢٣] . ويبين شعره أنه حقاً كان شرهاً فيه . وقد نقده رجل في أكله ، واعترف ابن الرومي في رده الشعري أنه خرق آداب المائدة[٤٢٤] . ويقدم اعترافاً مماثلاً في رده عـلى لوم وجهته اليه امرأة تسمى قسطنطينة[٤٢٥] . ويروى أنه كان مولعاً بالسمك خاصة ووعـده ابن بشر المرثدي بأن يعده بأكلة منه كل اسبوع ، ولكنه كف بعد اسبوع[٤٢٦] . ويعنى كثير من قصائده بالطعام ، فيتكلم – بالاضافة الى السمك الذي وعده بـه ابن بشر – عن خبز الحوّاري[٤٢٧] ، والقطـائف[٤٢٨]، واللوزينج[٤٢٩] ، والموز[٤٣٠]، والدجاج المقدم بالثّرائد[٤٣١]، وهو طعام جيد من ابتكار ابن الرومي[٤٣٢] .

والأمر الذي يثير بعض الدهشة أن نجد ابن الرومي من المعجبين بالزهد ، ولكن ربمـا كانت تجذبه الاعمال التي وراء قدرته . فيذكر الزهاد كثيراً في إعجاب ، مؤكداً إخلاصهم ومخاوفهم في صـلواتهم طلباً للمغفرة والخلاص . ويصف مرة او اثنتين ملاكاً رائعاً ، عدَنِيّة – حورية كانوا يعتبرونها من ثواب المحسنين[٤٣٣] .

وأخيراً ، يخبرنا ابن الرومي بشيء عن أحواله المالية . وكان يعتمد اكبر الاعتماد في معيشته على شعره . وقد رأينا أنه كان يحصل من آن لآخر على جوائز كبيرة من ممدوحين أغنياء ، وإن لم يوجد ما يدل على أنها كانت بقدر ما حصل عليه ابو تمـام وغيره من الشعراء[٤٣٣] . وفي قصائد اخرى إشارات الى جوائز نوعية او وعود بجوائز من هذا الصنف، تدل على أن جوائزه من مدحه أو غيره

من الأعمال كانت صغيرة أحيانا ؛ وتشتمل هذه الجوائز على الخمر(٤٣٤) ، والقمح(٤٣٥) ، والقطن(٤٣٦) ، والسمك(٤٣٧) ، والعطر(٤٣٨) ، واللباس (ربما كان هذا امراً غاليا)(٤٣٩) ، وبغل(٤٤٠) . ويمكن أن نتبين أن أملاك ابن الرومي كانت تضم الدار التي كان يقيم فيها في بغداد الى ان تجاوز الثلاثين ، والتي كانت موضوع التماسه الى سليمان بن عبدالله(٤٤١) ، وداراً اخرى هناك ، من الواضح أنها ليست الاولى ، وأشار اليها في طلب قدمه الى الواثقي بعد مرور قريب من عشرين عاما من التماسه السابق(٤٤٢) ، وبقعة أو أرض لعلها كانت في بغداد ، ذكرها في قصيدة من أواخر ما قاله الى الوزير عبيدالله بن سليمان(٤٤٣) ؛ وضيعة كان يشرف عليها حين احترقت دار له ، سواء كانت إحدى المذكورتين أو غيرهما، عندما ضاع معظم ثروته كما يقول(٤٤٤) . ويشير الى الخراج المفروض على ضيعته مرتين(٤٤٥) ويتكلم مرة عن الجراد الذي أتى على محصولاته(٤٤٦) .

ويبدو أن أملاكه كانت في أوائل حياته أكبر منها في أواخر حياته . ولكنه لم يكن طائل الثراء حتى في بداية حياته ، لأنه يتكلم ، في قصيدة من أوائل قصائده التي يمكن تأريخها، والتي لا بد أنه قالها وهو في الحادية والعشرين أو قبلها ، يتكلم عن أولئك الذين يحسدونه بالرغم من أن بيته وضيع ، وأن الفقر عشّش فيه(٤٤٧) . ولكنه يخبر عبيدالله بن عبدالله أنه كان ذات يوم ذا مال وافر أصابته خسائر شديدة(٤٤٨) . ويعزز ذلك طلبه الذي ربما قاله قبل ذلك الزمن ويسأل فيه عبيدالله بن عبدالله أحَرَمه لأنه مستقل وليس من «الرُّزْحَى السَّغاب»(٤٤٩) . ويتكلم في أعوامه الأخيرة عن الفقر(٤٥٠) . ومن المرجح أنه كان يبالغ في إبانة عَوَزه ، وخاصة حين كان يطلب الجوائز ، ولكن يبدو أنه كان في أزمات حقة في بعض الأوقات . يقول عندما جافاه القاسم وأقصاه إنه حكم عليه بالموت جوعا(٤٥١)، ويذكر في مقطوعة حصوله على ما يعيش به من جماعة من أصدقائه متعاونين، كأنما لم يبق له شيء من أملاكه(٤٥٢) . وقد كان ابن الرومي مسرفا متلافا لما يملك . ويعترف بذلك للقاسم نفسه(٤٥٣) .

يقول الفهرست عن شعر ابن الرومي : «كان شعره على غير الحروف ، رواه عنه المسيّبي ، ثم عمله الصّولي على الحروف ، وجمعه أبو الطيب ، ورّاق ابن عَبْدوس ، من جميع النسخ ، فزاد على كل نسخة ، مما هو على الحروف وغيرها ، نحو ألف بيت»(٤٥٤) .

ولا شك أن المسيبي هو علي بن المسيّب صديق ابن الرومي؛ أما الصولي فهو المؤلف المشهور وجامع الشعر ، الذي توفي عام ٣٣٥ ؛ ولعل ابن عبدوس هو الجهشياري ، مؤلف كتاب الوزراء ، الذي توفي عام ٣٣١ ؛ أما أبو الطيب فلم أجده في المراجع الأخرى .

والأمر المرجح أن المسيبي يروي عن ابن الرومي مباشرة ، وأن نسخته لا تحتوي على أي شعر منحول. ويبدو أن نسخة الصولي لم تختلف عن رواية المسيبي إلا في الترتيب ، ما دام أبو الطيب زاد إلى كل منها القدر نفسه من الشعر* . وليس من شيء يبين لنا مدى صحة زيادات أبي الطيب . فالملاحظ أنها قد جُمعت بعد موت ابن الرومي بستين سنة أو أكثر ، وأن ابن الرومي نُحلت له قصائد زائفة حتى في حياته(٤٥٥) .

ولا يخبر الفهرست بالمقدار الكلي لشعر ابن الرومي المجموع . وربما كانت

(*) لا تدل عبارة ابن النديم على ان قدر الشعر واحد في نسختي المسيبي والصولي . وانما تدل على ان نسخة ابي الطيب تحتوي على قدر من الشعر يزيد على ما في اية نسخة اخرى نحو الف بيت، اي ان نسخته تتفوق بهذا القدر على اكبر نسخة اخرى من شعر ابن الرومي – المترجم .

الأوراق المئة التي يقال إن سلامة ومشقالا ملآها بشعر ابن الرومي، تضم نحو ١٥٠٠٠ بيت[٤٥٦] .

ويوجد ثلاث مخطوطات من القرن الثالث عشر ، تضم شعر ابن الرومي :

١ - «مخطوطة القاهرة»، القاهرة، دار الكتب المصرية، رقم ١٣٩ [أدب] . القصائد مرتبة وفقـاً للألف باء . بخط نسخي رائع ، وضبط كامل ، في ٢٩٨ ورقة ، وتضم كل صفحة ٢٥ بيتاً . كاملة إلى قريب من النهاية ، وتنتهي بقصيدة هائية . وربما لم يكن الناقص منها أكثر من ورقة أو اثنتين في آخرها[٤٥٧] .

٢ - «مخطوطة القسطنطينية» ، القسطنطينية ، نوري عثمانية ٣٨٥٩/٦٠ . القصائد مرتبة وفقاً للألف باء . تضم المجلدين الثاني والثالث من نسخة من أربعة مجلدات ، وتحتوي على القصائد الدالية إلى الضادية (٢٦١ ورقة) والضادية إلى الكافية (٢٥٢ ورقة)[٤٥٨] . وهي بخط نسخي واضح جميـل ، وذات ضبط كامل ، وتضم الصفحة منها ١٥ بيتاً . ونسخت عام ٦٥٢ .

٣ - «مخطوطة الاسكوريال» ، مكتبة الاسكوريال ٢٧٧/٢ . القصائـد مرتبة وفقاً للموضوعات. بخط نسخي واضح، وضبط كامل، وتضم ٢٩٠ ورقة، و ١٥ بيتاً في كل صفحة . ونسخت عام ٦٥٢[٤٥٩] .

وقد نسخت هذه النسخة وسابقتها كلتاهمـا لمكتبة أحمد بن الأمير الكبير داود بن الأمير الكبير يوسف الهَذَباني الرَّوَادي[٤٦٠] .

ويوجد بالإضافة إلى هذه المخطوطات الثلاث المنسوخة في القرن الثالث عشر، ثلاث أخرى يبدو أنها قليلة القيمة، وهي (أ) القاهرة، دار الكتب، ٥٩٢،تضم القصائد الدالية إلى الضادية ، نسخت ١٢٨٢ . ولا شك أنها منسوخة من المجـلد الثاني من المخطوطة رقم (٢) ؛ (ب) القاهرة ، دار الكتب ، رقم ١٣٧ . منسوخة من مخطوطة القاهرة ؛ (ج) ليدن رقم ٦١٠ . تضم من قصائده إلى التاء . ربمـا كانت نافعة ، إن كانت منسوخة من مخطوطة القسطنطينية .

واستخدمت في هذا الكتاب نسخة عن مخطوطة القاهرة وصور البعض قطع قليلة من مخطوطتي القسطنطينية والاسكوريال .

ويحتوي السطر الواحد من مخطوطة القاهرة على بيتين ، ولكن العناوين تملأ مساحة كبيرة . ولعل عدد الأبيات التي تضمها، حين تتم، يقرب من ٢٦،٠٠٠ . أما مخطوطة القسطنطينية فلا يحتوي السطر منها إلا على بيت واحد . ولعل عدد الأبيات فيها ، حين تتم أيضاً ، يماثل ما في مخطوطة القاهرة ، ولكن المادة الموجودة لا تكفي للتقدير القاطع ، وربما كان المجموع الكلي أكبر من ذلك كثيراً . وتختلف في ترتيب القصائد وصياغة العناوين عما في مخطوطة القاهرة وفيها قصائد ربما كانت كثيرة غير موجودة في مخطوطة القاهرة[٤٦١] . وكذلك يشتمل السطر من مخطوطة الاسكوريال على بيت واحد. وربما يقل مجموع أبياتها الكلي عن ثلث مجموع مخطوطة القاهرة، فهي إذن مختارات من شعر ابن الرومي. وبرغم ذلك ، يوجد فيها قصائد ليست في مخطوطة القاهرة[٤٦٢] .

يتضح مما سبق أن مخطوطتي القاهرة والقسطنطينية تأخذان من مصدرين مختلفين . والمرجح أن مخطوطة الاسكوريال تأخذ من المصدر الذي أخذت عنه مخطوطة القسطنطينية[٤٦٣] .

والمخطوطات الثلاث كلها مكتوبة ومضبوطة بعناية . وبرغم ذلك لا تخلو واحدة منها من الأخطاء خلواً تاماً . ويعطينا محمد سليم صورة عن التصحيفات المكررة في مخطوطة القاهرة . ومن الممكن إصلاح هذه المخطوطة أحياناً عن طريق مخطوطة القسطنطينية . وفي الوقت نفسه، تصلح هي أخطاء متكررة في نسخة القسطنطينية . انظر[٤٥٦]. ويحدث قدر من الأخطاء الغريبة في مخطوطة القاهرة من الخلط بين الظاء والضاد والخلط مرة أو اثنتين بين غيرهما من الحروف[٤٦٤] .

طبعات شعر ابن الرومي

لم يُنشَر من شعر ابن الرومي إلا قدر منه . وتضم النسخ المطبوعة :

(أ) ابن الرومي . ديوان . النص العربي مضبوطاً ضبطاً كاملاً . حققه الشيخ محمد شريف سليم وضم إليه شرحاً عربياً كاملاً على صورة تعليقات في أسفل الصفحات . المجلد الأول يحتوي على القصائد التي تنتهي بالهمزة أو الألف والباء في ٥٧٧ صفحة* . القاهرة ١٩١٧ . نشر كله .

(ب) ابن الرومي. ديوان . مختارات من قصائده. النص العربي. حققه كامل كيلاني ، مع مقدمة لعباس محمود العقاد . في ٥٠٣ صفحة . القاهرة ١٩٢٤ .

(ج) ابن الرومي . مختارات من قصائده. في «حياة ابن الرومي من شعره» . النص العربي لعباس محمود العقاد . في ٣٩٢ صفحة . القاهرة . غير مؤرخ (حوالي ١٩٣٠) .

لا يصرح أي واحد من هذه الكتب الثلاثة بالمصدر الذي أخذ عنه ، ولكن يبدو أنها جميعاً أخذت من مخطوطة القاهرة ؛ يبدو أن (ب) أخذ بعض الشعر من المروج أيضاً .

(أ) مطبوع بعناية ، وأصلحت الأخطاء المطبعية القليلة جميعها تقريباً في التصويب . والشرح واف ويدل على القدرة والذكاء . ويبدو أن المحقق أشار

---

* نشر الشيخ محمد شريف سليم مجلداً آخر من شعر ابن الرومي ، بلغ فيه الى حرف الحاء ، والحق بآخره كثيراً من المعلومات التاريخية والقرآنية والعربية المشار اليها في الديوان . وطبع هذا المجلد على نفقة صادق لبيب - المترجم .

دائماً إلى كل تصرف منه في النص. وموطن الضعف فيه الأمور التاريخية، ولكن كتابه جيد جداً، ولا يسع المرء إلا أن يشكره له ويشكر أحمد حشمت باشا الذي طبع المجلد على نفقته. والأمر الذي يؤسف له ألا توجد أية بادرة على أنه سيكمل الديوان * .

(ب) ينثر الفواصل والنقط هنا وهناك ويورد بين حين وآخر تفسيراً لكلمة نادرة. والطبع في مظهره العام جيد، ولكنه لا يضارع العناية الواضحة في (أ) وفيه عدد كبير من الهفوات والأخطاء. مثال ذلك أننا نجد في صفحة واحدة تسعة مواضع يخالف فيها مخطوطة القاهرة، ويبدو أنها جميعاً أخطاء(٤٦٥) . وكان المحقق يرمي إلى جعل كتابه شعبياً. فأعطى الاختيارات عناوين صحفية، وحذف أبيات دون أية دلالة على المحذوف. والترتيب مختلف أحياناً. وحذف العناوين الأصلية، التي تعطي معلومات قيمة، بل لم يبين الأشخاص الموجهة إليهم القصائد في جميع الحالات.

واختار العقاد في (ج) من قصائد ابن الرومي ما يشبه اختيارات كامل كيلاني وعالجها على النحو نفسه، وإن عني بطبعها. ولم يحاول في ترجمته لابن الرومي في هذا المجلد أن يتتبع أطوار حياة ابن الرومي وإنما قصر جهده على بعض ظروفه وأحواله وآثاره. فقرأ الديوان لهذا الغرض بعناية تامة، وقلما فاته شيء.

وقد نقدر أن (أ) يضم ما يزيد على ٣٦٠٠ بيت قليلاً، و (ب) يضم حوالي ٧٠٠٠ بيت. و (ج) يضم ١١٠٠ بيت، ولن قدراً كبيراً من الأبيات في (ب) وفي (ج) مطبوع في واحد من الكتابين الآخرين أو فيهما كليهما. وإذن فلم يطبع في الكتب الثلاثة ما يناهز نصف القصائد الموجودة في مخطوطة القاهرة (أ) من ديوان ابن الرومي.

ويوجد قدر كبير من شعر ابن الرومي في كتب مطبوعة، مثل نهاية

* انظر الملاحظة في الصفحة السابقة – المترجم.

الأرب للنويري ، والمروج للمسعودي، والعمدة لابن رشيق، وزهر الآداب وذيله للحصري(٤٦٦). ويوجد في هذه المقتطفات الموجودة في هذه الكتب وغيرها أبيات وقصائد غير واردة في مخطوطة القاهرة .

فإذا كانت مخطوطة القاهرة تمثل رواية الصولي ، فربما كانت الزيادات الموجودة في مخطوطة القسطنطينية ، والكتب المطبوعة المذكورة ، وغيرها ، مأخوذة جميعها أو معظمها من زيادات أبي الطيب .

ويبدو من المرجح ترجيحاً كافياً أن بعض الشعر المنسوب إلى ابن الرومي منحول ، ولكن من العسير تمييزه . ولعل إحدى المقطوعات التي على شيء من الأهمية ولم ترد في مخطوطة القاهرة صحيحة ، إذ أنها أنشدت أمام الخليفة المستكفي قبل أن يمر وقت طويل على وفاة ابن الرومي(٤٦٧) .

وحتى إذا آمنا بأن الشعر الموجود في مخطوطة القاهرة هو وحده الشعر الصحيح الذي وصل إلينا من ابن الرومي ، فإنه يكون قد بقي من شعره ما يفوق أي شاعر عربي آخر في عصره بقدر كبير . ونستطيع أن نقدره بما لا يقل كثيراً عن ضعف شعر البحتري وثلاثة أضعاف أو أربعة أضعاف شعر أبي تمام . وبرغم ذلك ، نستطيع أن نتبين من مخطوطة القاهرة نفسها ومن الدلالات الأخرى أن تلك المخطوطة لا تضم جميع ما قاله .

وربما لم يجمع جميع شعره أبداً . إذ يروي أحد رفاقه كيف كان قادراً على نظم القصيدة الطويلة في الساعات القليلة ، دون أن ينقحها بعد أي تنقيح(٤٦٨) . وربما كان شعره غزيراً جداً ، بمثل هذه السرعة في التأليف . ويظهر في مخطوطة القاهرة بأن كثيراً من قصائده إن هي إلا قطع أو جميع ما أمكن العثور عليه(٤٦٩) . وتوجد عدة قصائد أخرى لا توصف بأنها قطع ، ولكن يبدو من المحقق أنها ليست كاملة . وقد أشير آنفاً إلى بعضها . وتوجد قصائد أخرى نستطيع أن نستنبط منها وجود قصائد ليست في المخطوطة . ومن أمثلتها تلك

التي تختص بالمنحة التي وهبها إياه الوزير أحمد بن إسرائيل، والتي من الواضح أنها لا بد أن تكون جائزة على مديح غير مذكور في المخطوطة[470] . ويجدر بنا أن نلاحظ أن بعض قصائده الهامة القصيرة التي قالها في أوائل حياته ، وأن نسبة القصائد المنسوبة إلى السنوات الخمس أو الست الأخيرة من حياته ، ليست متناسبة حين نقارنها بما قاله قبل ذلك . ولقد أشرت إلى قلة قصائده إلى العلاء . ولعلنا نستطيع أن نستنبط من عدد ردوده على عبيد الله عن لسان العلاء مقدار الشعر الذي ضاع . فلا بد أنه قد وُجِد رد على كل حرف من الألف باء، ولكن الردود الباقية سبعة فقط[471]. ويدل هذا أن الضائع ربما كان ثلاثة أرباع الشعر كله .

وصف شعر ابن الرومي

يضم شعر ابن الرومي جميع فنون الشعر التي عرفهـا الشعراء العرب في عصره. ويتمثل فيه المديح، باعتباره الوسيلة الرئيسية لمعيشته، تمثلاً قوياً. وأحياناً تكون مدائحه المنتظمة غاية في الطول. وتحتوي اطولها على زهاء ثلاث مئة بيت. ومثل هذه القصائد ليس كثيراً جداً. فالقاعدة عنده أن يدخرها لأعظم الممدوحين قوة وثراء، الذين لم يوجه إلى أحد منهم كثيراً منها، وإنما وجه إليهم وإلى الممدوحين الأقل أهمية منهم الكثير من القصائد الأقصر والأقل رسمية منها[٤٧٢]. وتستهل المدائح عادة بمقدمة، تطول أحياناً، فتحتوي على مئة بيت أو أكثر. ويتنوع موضوع المقدمة. فأحياناً يكون نسيباً، مع اختلافه قرباً وبعداً من النسيب المتواضع عليه بين الشعراء، ويتألف من حب النساء والإشادة بمفاتنهن؛ والموضوع العام الآخر فيها بكاء الشباب الذي حرَمه فَقْدُه من صيد الظباء التي كانت من قبل تقدم أنفسها طائعة مختارة له. والموضوعات الأخرى الخمر، والحدائق، ورسوب اللؤلؤ وطفو الجيف. والموضوع غير العادي وصف الحفلة التي أقامهـا والي بغداد في يوم عيد، وحوار بين أشياء خيالية[٤٧٣]. وكانت المقدمة تحذف أحياناً حذفاً تاماً وتبتدىء القصيدة بغرضها الرئيسي مباشرة[٤٧٤]. وكان أحياناً يُدخل في القصيدة نفسها موضوعاً ممـا يتناول في المقدمات[٤٧٥].

ويتألف مدح ابن الرومي عادة من التملق والمبالغة في الثناء على ممدوحيه بأوصاف لا يتحلون بها عادة، وإن كان من الطبيعي أنه، حينما كانوا يتحلون بصفات طيبة أو يقومون بأعمال جليلة، كان يمجدها. وهو يجهر بعدم إخلاصه.

إذ يقول ذات مرة إن الله لام الشعراء لأنهم يقولون ما لا يفعلون ، ولكنهم لا يقولون ذلك فحسب بل يقولون أيضاً ما لا يفعله الأمراء[٤٧٦] ، وفي مرة أخرى إنه لولا عبيدالله (بن عبدالله ممدوحه وصديقه) لذكر نفسه كأنما يمدح القوم اللئام ويطلب النوال من البخلاء[٤٧٧] .

وتنتهي مدائح ابن الرومي غالباً بالسؤال ، يصاحبه كثيراً الشكوى من الإهمال والاحتجاج . وتقوم على مثل هذا اللوم قصائد مستقلة . ويرد مثل هذه القصائد تحت عنوان «العتاب». أما القصائد ذات اللهجة الأقسى فتُصنّف تحت عنوان « الذم » . وتقال عادة في الأشياء السخيفة وأحياناً في الأشخاص. وتضم قصائد الذم عند ابن الرومي مجموعة من القصائد في ذم شرور الزمان وأهل العصر[٤٧٨] .

ويعتبر الهجاء ميدان ابن الرومي، الميدان الذي برز فيه. ويوجد بين قصائده عدة قطع في الهجاء ، تشتمل على مئات الأبيات، فلا يفوقها في العدد إلا المدح. ويمكن أن نقسم أهاجي ابن الرومي إلى الأهاجي المعتدلة ، والمقذعة . ويجد المرء في القسم الأول قطعاً ، قصيرة عادة ، تسخر من أفراد بسبب بعض النقص أو الخطأ ، مثل العيون الجاحظة ، أو اللحية الطويلة ، او الحقارة ، أو البخل ، أو الجبن . والسخرية فيه لاذعة ، ولكنها لا تفقد روح الفكاهة ، مثل قوله إن أبا فراس بلغ من البخل ما جعله يُصوّم ضيوفه ، ولا يكافئهم على الصيام[٤٧٩] .

وتضم الأهاجي المقذعة عدة قصائد طويلة تشتمل على أفحش وأعنف ما يمكن من سب. وهي عادة تهاجم مهاجمي ابن الرومي، أي أولئك الذين سبوه ، أو نقدوه في ملبسه ، أو مسلكه أو شعره ، أو أولئك الذين أثاروا كراهيته بأمر ما ، ومعظمهم شعراء منافسون . وهو سريعاً ما يلقي بالوحل ، يريد أن يلصق بهم . فينسب الشخص المهاجم إلى أمور شائنة، ويتهمه بما يحقره، ويشهّر بأمه أو ابنته أو زوجته أو نسائه . ويفتخر بعنف هجاته العاصفة التي تؤدي الى دمار لا أمل في إصلاحه ، اي تؤدي إلى فقد الاسم والسمعة الطيبين[٤٨٠] .

ولا يختلف في إقذاعه عن غيره من الشعراء العرب في عصره إلا في الدرجة . ويبدو أنهم كانوا ينظرون الى سب الشعراء بعضهم بعضاً باعتباره صورة من صور التمرين الشعري . وعلى اية حال لم يكونوا ينظرون اليها نظرة جدية جداً . وهكذا يعجب بشار الذي هجاه حماد بقدرة خصمه على إيراد خمس شتائم منفصلة في بيت واحد على حين لم ينجح جرير في إيراد اكثر من ثلاث[٤٨١] . وغالباً ما يقدم ابن الرومي بين يدي أهاجيه الطويلة بمقدمة ، يرمي منها الى جعل القصيدة مغرية للقراءة . ويقول إنه يمتنع من هجاء ذوي المناصب العالية حتى بعد عزلهم منها ، خوفاً من العقاب ، لأنهم قد يستعيدون سلطتهم ، أو لأن من الحقارة هجاءهم إذا ما كان عزلهم نهائياً[٤٨٢] ، ولكنه لم يراع هذه القاعدة التي يقول إنه يتبعها . فأهاجيه في صاعد وابن بلبل بعد عزلهم مريرة وغير كريمة .

واشتهر ابن الرومي بغزله . وقصائده الغزلية ليست كثيرة ، فلا تبلغ ربع ما لابي نواس . ومعظمها في النساء ، وقدر كبير في الغلمان . ويخاطب المحب في كثير منها حبيبه مباشرة ، معلناً حبه ، مشيراً إلى او متذكراً الفراق او غيره من الحوادث . ويتصل الحوار بين المحب والحبيب بين آونة واخرى . واحياناً يصف المحب حالته او شعوره ، ويتكلم عن آلامه او إخلاصه ، وثباته على حبه أو خضوعه . ويشيد في بعضها بمفاتن المحبوب ، وحمرة خديه ، ونضارته ، وجمال أسنانه أو مفاتن النساء عامة — النحر العاجي وما أشبه . وقد يكون الموضوع احياناً حادثاً ما مثل اقتراف الآثام او الاستئذان ساعة الفراق . وترد اسماء ثلاث نسوة في الغزل ، ولكن لا يبدو من المرجح أنها تشير الى اشخاص حقيقيين .

واشتهر ابن الرومي ايضاً بأوصافه . وقصائده الوصفية الخالصة قليلة وقصيرة عادة . وتضم ثلاثاً او اربعاً تصف البساتين ، وواحدة او اثنتين في وصف السحب ، وواحدة في نبات الكتان ، وواحدة في الملابس الرازقية . وتأتي أشياء من احسن أوصافه في مقدمات قصائده .

وعنده قصائد مفاخرات قليلة ، تعنى بالمفاخرة بين النرجس والورد ، التي يفضل فيها النرجس .

وعنده عدد من القصائد التعليمية عن موضوعات مثل التجلد ، ومدح الحسنات ، والحض على إتمام الاعمال الحسنة ، وذم الحقد ، ومدحه ، وتزكية الحذر ، وتحريم الجبن . ويوجد ايضاً حكم وأمثال واردة في قصائد أخرى . ويمثل هذا الجانب من آثاره دراساته في الفلسفة التي قيل إنه كان مشتغلاً بها[٤٨٣] .

ومراثيه قليلة وغير ذات أهمية عادة ، نستثني من ذلك قصيدته التي يبكي فيها ابنه الاوسط . فهي مفعمة بالشعور وقد أفردت باعتبارها من احسن المراثي[٤٨٤] .

ولا نستطيع أن نمر بقصائده اللاهية دون أن نذكرها بكلمة. ويرد معظمها تحت عنوان «المجون» . وليست جميعها من صنف واحد ، ولكنها تتفق كلها في البذاءة التي لا تحس خجلا . وليس منها الطويل بل معظمها واضح القصر . كما أنها ليست كثيرة ولذلك لا تكوّن جانباً هاماً من آثار ابن الرومي . وإنما تقوم شهرته بالفحش على اهاجيه ، التي يماثل كثير منها مجونياته او يفوقها بذاءة .

ويبدو ان ابن الرومي اعتاد ان ينشد قصائده امام الشخص المعنيّ بها ثم يعطيه نسخة منها . ونستطيع ان نتبين انه كان احياناً يخاطر بإرسال نسخ من قصائده بدون استئذان إلى اشخاص ، رفضوا قبولها احياناً لانهم لم يريدوا إعطاءه[٤٨٥] .

وكان الورق قد أدخل في عهد الخلافة قبل عصر ابن الرومي ، ولكنه لم يكن قد صار مادة الكتابة الوحيدة ، ولذلك يجدر بنا ان نجمع ما يمكن جمعه عن المواد التي يشير اليها ويستعملها. وهو يسأل أن يعطى ثمن «الطِّرْس» الذي

كتب عليه قصيدة مردودة(٤٨٦) . ولا تعطينا الكلمة دلالة مـا على كُنْه المادة المستعملة ، ولكن يبدو انها كانت غالية بعض الشيء . ويذكر «القرطاس» عدة مرات(٤٨٧) ، ولكن لا يمكن ان تعني البردي حيث يسأل أن ترد له قراطيسه ليتخذ منها أغطية للجِرار (الدَّسْتيجة)(٤٨٨) ، أو حيث يتكلم عن القراطيس الخافقة في أيدي بني وهب(٤٨٩) . فلعلها في الفقرة الاولى تعني الرَّق (الجلد الذي يكتب عليه)، وفي الثانية الورق. كذلك ليس من المرجح ان يكون الطُّومار، الذي يقول إنه متعة بني مخلد(٤٩٠) ، البردي ايضاً، نظراً الى ان الدواوين كفت عن استعمال البردي قبل ان يولد(٤٩١) . ويقال عن إحدى قصائده إنهـا كانت مكتوبة على رق(٤٩٢) . وهو يشير الى الورق(٤٩٣) ، ويتكلم عن نفقـات ورقه وورّاقه ، ولكن ليس من المحقق أنه يعني الورق المعروف(٤٩٤) . امـا الوراق المذكور فهو الناسخ الذي كان ينسخ القصائد لإرسالها الى الممدوحين .

ولغة ابن الرومي موجزة محكمة وألفاظه كثيرة ، ولكن اسلوبه عامة سهل وعربيته كثيرة الشبه بالعربية الادبية في هذه الأيام ، ولذلك يستطيع المثقفون من النـاطقين بالعربية الآن فهم قدر كبير من شعره دون مشقة ، كما يتضح من المقتطفات الكثيرة التي نشرها من شعره كامل كيلاني والعقاد ، اللذان قلما شعرا بحاجتها إلى إضافة كلمة لشرحها للقـارىء . ولكن يتضح من إحساسه بأنه من المفيد إرسال الشروح على بعض القصائد إلى المتبحرين في العربية من امثـال عبيدالله بن عبدالله ، وعلي بن يحيى ، وابن بلبل ، أن بعض شعره لم يكن فهمه يسيراً حتى في حياته . حقاً قال ان الشروح ليست لهم ، وإنما لأولئك الذين لا يعرفون الغريب(٤٩٥) . فهو ، وإن لم تستعبده التعبيرات غير المألوفـة ، تحتوي قصائده على قدر كبير منهـا ، تضم ألفاظاً غير مذكورة في المعاجم : أسماء وأفعالاً . ويستعمل قليلاً من الألفـاظ الفارسية التي ربما كانت قد صارت جزءاً من العربية في بغداد إذ ذاك(٤٩٦) .

ومن الطبيعي أننا لا نفترض أن لغة ابن الرومي الشعرية تمثل اللغة اليومية

العامة في المدينة . فإنه كان يقول شعره بلهجة صناعية ، تختلف درجتها في ذلك ، ويوجهها النحويون . ولم تكن طبيعية لديه . يبدو ذلك من اعترافه بما ارتكبه في احدى رسائله إلى صديق من سقطات ولحن[٤٩٧] . كذلك نعتقد انه يشير الى ما يماثل ذلك من اخطاء في القصيدة الطويلة التي استعادها مرتين من عبيدالله بن عبدالله للمراجعة والإصلاح[٤٩٨] . وربما كان معظم النقد المذكور على شعر ابن الرومي منصباً على الاخطـــاء النحوية ، وإن كان النقد الوحيد الذي تذكر تفاصيله منصباً على الطريقة التي استهل بها قصيدته[٤٩٩] . وقد اشرت سابقاً إلى الخصومة بينه وبين الاخفش النحوي . وهو يدعوه «مُقَوِّمي»[٥٠٠] . والمرجح ان جامعي شعر ابن الرومي كانوا يصلحون اي خطأ باستخدام اللغة العامية .

آراء النقاد العرب في ابن الرومي

يقول المرزباني (ت ٣٨٤) عنه : « اشعر اهل زمانه بعد البحتري، واكثرهم شعراً ، واحسنهم اوصافاً ، وابلغهم هجاء ، واوسعهم افتناناً في سائر اجناس الشعر وضروبه وقوافيه ، يركب من ذلك ما هو صعب متناوله على غيره ، ويلزم نفسه ما لا يلزمه ، ويخلط كلامه بألفاظ منطقية يجمل لها المعاني ثم يفصلها بأحسن وصف واعذب لفظ . وهو في الهجاء مقدم، لا يلحقه فيه احد من اهل عصره غزارة قول، وخبث منطق. ولا اعلم انه مدح احداً من رئيس ومرءوس إلا وعاد عليه فهجاه ، ممن احسن اليه ام قصر في ثوابه . فلذلك قلت فائدته من قول الشعر ، وتحاماه الرؤساء ، وكان سبباً لوفاته . وكانت به علة سوداوية ، ربما تحركت عليه فغيرت منه »[٥٠١] .

ابن رشيق (ت٤٥١) : «واما ابن الرومي فأولى الناس باسم شاعر، لكثرة اختراعه وحسن افتنانه ، وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به فصار يقال : « اهجى من ابن الرومي» . ومن اكثر من شيء عرف به . وليس هجاء ابن الرومي بأجود من مدحه ولا اكثر ، ولكن قليل الشر كثير»[٥٠٢] .

لا يذكر الحصري (ت ٤١٣ او ٤٥٣) اي رأي عن قدرة ابن الرومي الشعرية ، سواء في زهر الآداب او في ذيله ، ولكنه يورد في الكتاب الاخير مثالاً للسهولة غير العادية التي ينظم بها الشعر ، والتي تمكنه من تأليف قصيدة طويلة جدا في إحدى الحوادث ، في يوم وقوعها ، دون تصحيح واحد فيها . ويعلن ابن الرومي في هذا الخبر أنه قلما يصلح أية قصيدة ينظمها[٥٠٣] .

ويقول الخطيب (ت ٤٠٣) عن ابن الرومي : « أحد الشعراء المكثرين ،

المجودين في الغزل ، والمديح ، والهجـــاء ، والاوصاف »[٥٠٤] . ويبدو ان السمعاني (ت ٥٠٦) نقل عبارة الخطيب في كلامه عن شعر ابن الرومي، ولكنه يضيف انه كان مجوداً في التشبيهات ، ولا ندري أإضافة هي الى عبارة الخطيب أم غلطة[٥٠٥] .

ويقول المعري (ت ٤٤٩) في «رسالة الغفران» عن ابن الرومي ، إن أدبه كان اكثر من عقله[٥٠٦] ، ولكنه يبدو أنه كان يعني تطيره برأيه هذا .

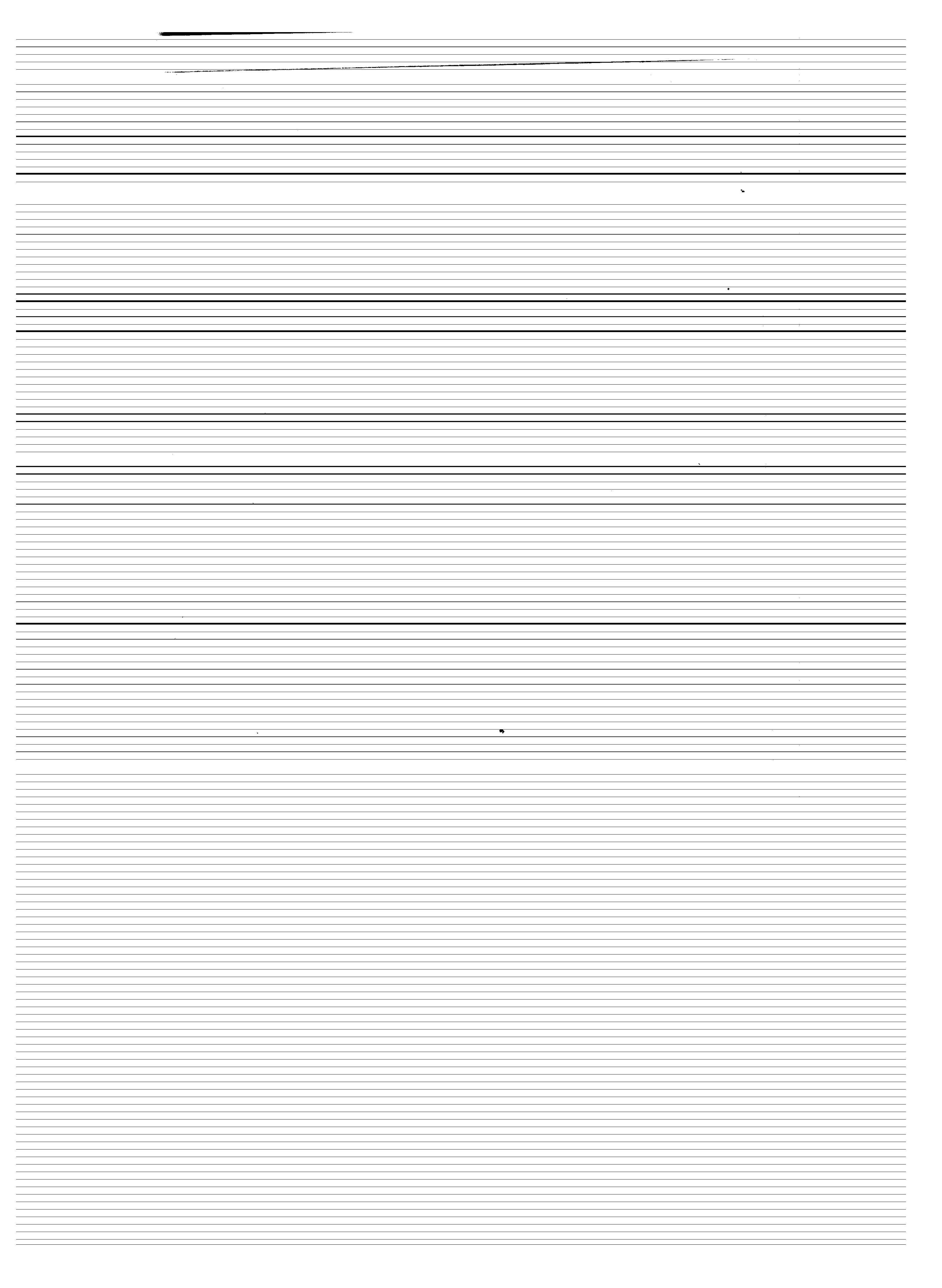
وذهب الصفدي (ت ٧٦٤) إلى ان ابن الرومي كان شاعراً فحلاً بعيد الغوص عن المعاني ، فاذا ما تناول معنى ما استقصاه حتى لا يترك منه شيئاً ممـا ادى به الى الإحـالة والسخف احياناً ، وقال ان تشبيهاته غير عادية وجيدة ، فإذا ما راقه احدها تتبعه وكرره في كثير من القصائد . وأورد قول الخالديين (ت ٣٥٠ و٣٨٠) إنهما لم يريا مثله حين ينفرد بمعنى ما ، ولكنه حين يأخذ معنى شاعر آخر يسقط فيه . وفسر ذلك القول بأنه شاعر فحل إذا ما ابتكر معنى لم يَحُم حوله شاعر قبله أجاد فيه وبلغ القمة ، وإذا ما أخذ من أحد فإنما يأخذ من الفحول امثاله ، الذين ذهبوا بالحسن ، ولم يتركوا غير الرديء[٥٠٧] .

ويتفق النقـاد العرب على تفضيل البحتري على ابن الرومي ؛ اما الغربيون فالمرجح انهم يفضلون ابن الرومي . ربما كان البحتري أجمل لغة وأكثر صقلاً ، ولكن ابن الرومي اكثر إخلاصاً لنفسه وأقل ميلاً الى المتواضعات . فيوجد في بعض قصائد ابن الرومي ، كمرثيته في ابنــه ، حرارة شعور وعمق إحساس لا يمكن التفوق عليها ، وفي هجائه قدر من الاحتقار والازدراء الحقيقيين يعوضان قدراً من إقذاعـه المفحش . ويظهر ابن الرومي في وصفه قوة ملاحظة بارعة ، ويعطي بعض أوصافه تأثيرات حية عن بعض افراد بواسطة بضع لمسات سريعة منه . ويوجد بعض أوصافه الرائعة للأشياء الطبيعية في مقدمـــاته والاجزاء الاخرى من قصائده ، ولكنها ليست كثيرة جداً ولا يبدو أن حب الطبيعة ، الذي مُدح من أجله ، ميزة من مزاياه البارزة بروزاً خاصاً . ولا يمكن إنكار

أدبه وقد يعجب المرء من براعته في العثور على اشياء جديدة يقولهـــا حتى في مدائحه ، التي كثيراً ما يطيلها طولاً كبيراً . ومن خصائص شعره اللافتة للنظر اتصال الجـدل فيه وتماسكه في مقابل جدل بعض الشعراء العرب الآخرين في عصره الذين يقدمون أشياء واضحة ولكنها غير متصلة بعضها ببعض إلا اتصالاً طفيفاً . والخاصة الأخرى التي نلاحظها جرأتـــه في صوغ تجاربه في صورة موضوعات وألوان من الحوار يدخلها في داخل قصائده ، وفي تقليد الشخصية الموجود في واحدة أو اثنتين منها ، وفي طرق التعبير التي قلما ترد في شعر غيره من شعراء العربية في عصره ، حتى يمكن اعتبار ابن الرومي مبتكرهـــا أو مكتشفها ، إذ لا يمكن أن يكون أخذها من غيره. وقد اختلف نجاحه في هذه التجديدات التي ادخلها في قصد واعتدال . ولو كانت تطورت على ايدي غيره لأضافت العنصر القصصي (الدرامي) إلىالشعر العربي، ولكن من بعده اهملوها. وما يخبرنا به ابن الرومي عن احداث عصره واحواله قليل ، ولكنه اكثر ممـا اعتاد رفاقه .

ولا بد ان تأثير ابن الرومي فيمن بعده كان واضحاً . ويبدو ان المتنبي درس شعره . فالعكبري يذكره في شرحه على المتنبي قريباً من اربعين مرة، مستشهداً بأبياته التي استوحاها المتنبي . ونجده مذكوراً ايضاً في «اليتيمة» وكثير غيرها من الكتب . ودرسه ايضاً ابن سينا وألف كتاباً في مختاراته من شعره، ولكنه فُقد(٥٠٨) .

وابن الرومي ، باعتباره شاعراً قديماً (كلاسيكياً) جدير بأن يطبع شعره كله . فالقيمة اللغوية للنص الموثوق منه كبيرة . ولا شك أن غزارة شعره وبذاءة قدر منه هما اللذان منعا نشر مثل هذه الطبعة إلى اليوم . وربما تم هذا الجهد في مصر ، التي اضطلعت في العصور الحديثة بجهود عظيمة لخدمة الأدب العربي . ولا شك أن مخطوطة القاهرة ستكون الأساس ثم يستفاد من بقية المواد الموجودة .



اختيارات من بعض قصائد ابن الرومي*

المدح

- ١ -

قال يمدح عبيدالله بن عبدالله

د ٦٣

بدا الشَّيبُ في رأسي فجَلَّى عمايَتي
كما كشَّفتْ ريحٌ عَمــاءً تَطَخْطَخا

ولا بُــــدَّ للصُّبحِ الجَليِّ إذا بدتْ
تَباشِيرُه أنْ يَسْلَخَ الليلَ مَسْلَخا

وأضحتْ قَناةُ الظَّهرِ قَوَّس مَتْنُهــا
وقــد كان معدولا وإنْ عِشْتُ فَخَّخا

وأحدثَ نُقْصانُ القُوَى بين ناظري
وسَمْعِي وبين الشخص والصوتِ بَرْزَخا

وكنتُ إذا فَوَّقتُ للشخص لَمحتي
طَوَتْ دُونَه سَهْبا من الأرض سَرْبَخا

* اورد المؤلف هذه الاختيارات مترجمة الى الانجليزية .

وكنتُ يُنادِيني المُنادي بعَقْوَةٍ

فيَغْتالُ سَمْعِي دونَ مَدْعاهُ فَرْسخا

فحالتْ صروفُ الدهرِ تَنْسَخُ جِدَّتي

وما أُمْلِيَتْ من قبلُ إلا لتُنْسَخا

وأصبحتُ عَمّا للفتاةِ مُوَقَّرا

وقد كنتُ أيامَ الشبابِ لها أخا

وما عجَبٌ أنْ كان ذاكَ فإنّه

إذا المرءُ أشْوَتْه الحوادثُ شَيَّخا

بَلَى عَجَبٌ أني جزعتُ ولم أكن

جَزوعا إذا ما عضَّه الدهرُ أَخّخا

عزاءكَ فاذكرْهُ ولا تنسَ مِدْحةً

لأَبلجَ يحكي سُنّةَ البدرِ أبلخا

له سِيمياءٌ بينَ عينيْ مُبارَكٍ

إذا ما اجْتلاها رَوْعُ ذي الروع أفْرَخا

صريخٌ لو استصرَخْتَه بابنِ قاسمٍ

على الدهرِ إذ أخنَى عليك لأَصْرَخا

من المُصْعَبِيّين الذين تَفَرَّعــوا
شماريخَ أطوادٍ من المجدِ شُمَّخا

أناسٌ متى ساءَلتَ نافِسَ حظِّهم
بأيامهم في الجود والبأس بَخْبَخـــا

إذا مـــا المَساعِي أُجرِيتْ حَلَباتُها
بَدَوا غُرَرا في أَوْجُهِ السبق شُدَّخـا

بهـم جُعِل المجد التَّليدُ مُصدَّرا
وليس بإنسيٍّ سِواهُمْ مؤَرَّخـــا

تَعَدَّ وأسرِفْ في مديحِ ابن طاهر
فلستَ على الاسراف فيه موبَّخا

أبو أحمـــدٍ لَيثُ البلادِ وغَيْثُها
إذا حَطْمةٌ لم تُبْقِ في العَظْم مَنْفَخـا

فتىً لم يزل في رأس علياءَ دُونَها
بمَرْقَبةٍ باضَ الأَنُوقُ وفرَّخـــا

إذا راح في رَيّا نَشَـــاهُ حَسِبتَه
هنالك بالمسْكِ الذكيِّ مُضمَّخـــا

يُنيخُ المطيَّ الراغبونَ ببابــه
ولو لم يُنيخوه إذنْ لتَنوَّخا
تظلُّ متى صافحتَ أسرارَ كفّه
تمسُّ عيونا من نداهُنّ نُضَّخـــا
إذا وعد اهتزتِ الأرضُ نَضْرةً
وأنبتَ منها كلُّ مـــا كان أَسْبَخا
وإن أوْعد ارتجتْ فـإنْ تَمَّ سخطُه
تهاوتْ جبالُ الأرضِ في الأرض سُوَّخا
ولستَ تُلاقي عالمـــاً ذا بَراعةٍ
بأَبْرَعَ منه في العـــلوم وأرسخا
ولم تر ناراً أُوقــدتْ مثلَ ناره
لدَى الحربِ أَشْوَى للأَعادِي وأَطْبَخَا
كفَى زَمَنـــاً أدّى الأَميرَ وأهلَه
به وبهم إن حاول البذخَ مَبْذَخــا
هو الطِّرفُ أَجرتْه الملوكُ ومَسَّحت
قديماً له وجهـــاً أغرَّ مُشَمرَخا

إذا هو قـاد المُصعَبِيّين فاغْتَدَوْا
جَحَاجِحةً تَهْدِي غَطَاريفَ شرَّخا

فأيَّةَ دَارٍ للعُلا شاءَ جاسَهـا
وأيَّةَ أرضٍ للعِدَى شاءَ دَوَّخا

به أيـد اللهُ الخلافةَ بعد مـا
وَهى كلُّ وَهْيٍ رُكْنُها فتفسَّخا

هو الطاهر ابنُ الطاهِرين الأُلى مَضَوْا
ولم يلْبَسوا عِرْضاً مُنَالًا مُطيَّخا

وَمُستَمْنحِي مَدْحا كمَدْحيهِ بعد مـا
تمكّن إخلاصِي له فتمخَّخـا

فقلتُ له : عَنِّي إليك فلن أرى
هَواكَ لمثْـلي في رمادِك مَنْفَخا

— ٣ —

مطلع قصيدة طويلة في مدح صاعد بن مخلد وزير الموفق د ٦٤ ظ

أبـيْنَ ضلوعي جَمْرَةٌ تَتَوقَّدُ
عَلى ما مضَى أمْ حسرةٌ تتجدَّدُ

خليليَّ مـا بعدَ الشباب رزيةٌ
يُحَمُّ لها ماءُ الشئونِ ويُعْتَدُ

فلا تَلْحَيا إنْ فاضَ دمعٌ لفَقْدِهِ
فقلَّ له بحرٌ من الدمعِ يُثْمَدُ

ولا تعجبا للجَلْدِ يبكي فرُبَّما
تَفطَّرُ عن عينٍ من الماءِ جَلْمَدُ

شَبَـابُ الفتى مَجْلُودُه وعزاؤه
فكيف وأنَّى بعده يَتجَـلَّدُ

وفَقْدُ الشبابِ الموتُ يوجَدُ طَعْمُهُ
صُراحاً وطعمُ الموت بالموت يُفقَدُ

رُزِئتُ شبابي عودةً بعدَ بَدْءةٍ
وَهنّ الرزايا بادئـات وعُوّدُ

سُلبتُ سوادَ العَارِضَيْن وقبلَه
بيَـاضَهما المحمودَ إذْ أنا أمْرَدُ

وبُدِّلتُ من ذاكَ البياضِ وحسْنِه
بياضـا ذَميما لا يزال يُسَوّدُ

لشتّان ما بين البياضَيْن : مُعجِبٌ
أنيقٌ ومشنوءٌ إلى آلعين أنكَدُ

تضاحكَ في أفْنَانِ رأسي ولحيتي
وأقبحُ ضحّاكَيْن : شَيْبٌ وأدْرَدُ

وكنت جِلاءً للعيون من آلقَذَى
فقد جعلتْ تَقْذَى بشَيبي وتَرْمَدُ

هي الأَعْيُنُ النُّجْلُ التي كنتَ تشتكي
مَوَاقِعَهَا في القلب والرأسُ أسودُ

فمالك تأسَى الآن لما رأيتَها
وقد جعلتْ مَرْمَى سِواك تَعَمَّدُ

تشكَّى إذا ما أقصدَتْك سِهَامُهَا
وتأسى إذا نكّبْنَ عنك وتكمَدُ

كذلك تلك النَّبْلُ مَنْ وقعتْ به
ومن صُرِفتْ عنه من القوم مُقْصَدُ

إذا عدلتْ عنّا وجدنا عُدولَها
كموقعها في القلب بل هو أجْهَدُ

تَنكَّبُ عنّـــا مرةً فكأنمـــا

مُنكَّبُها عنـــا إلينا مُسَدَّدُ

-٣-

إلى دُرَيرة د ٢٨٠ ظ

جـارية بارعة في الموسيقى ، كان يتعشقهـا ابن بشر المرثدي فسأله أن يصفها فقـال :

حَبَّبتْ دُرَّةُ القِيانَ إليْنا مثلَما بَغَّضَتْ إلينا القِيانا

حَبّبتْهنَّ أنْ غدَتْ وَهي مِنْـ ـهُنَّ وإن كُنّ دُونَها أوزَانا

ولقد فُزْن إذ يُناغِين فاها ويَدَيْهـــا وعُودَها الألحانا

وتحرَّمْنَ إذ غَدَوْنَ إمـــاءً مُذْعِنَاتٍ بحقِّهـــا إذعانا

تلبَسُ التَّاجَ فالقيانُ لديها واضعاتٌ لتاجهـــا الأذقانا

تَاجُ حُسنٍ يَثْنِيه تاجٌ من الإحـ ـسَان ، تاجان طال ما مَلَكانا

غير أنّي رأيتُهَا بغَّضتْهنَّ بأنْ لم تَـدَعْ لهنّ مكـانا

نزلتْ في الصدورِ منزل من بَرَّزَ حُسْنا ومَنْ علا إحسَانا

فنفتهنَّ عن قلوبٍ وَقد كُنَّ تَبَوَّأنَ حبَّها أوطانا

فغدا البائساتُ منهن يَطْلُبنَ على دَفْعِ ظُلْمِها أعوانا

ظلمَتْ من صَبَى وغنَّى فكلٌّ يشتكي من دُرَيْرةَ العُدوانا

ذاتُ وجهٍ كأنما قيل: كُنْ فَرْدا بديعا بلا نظيرٍ فكانا

فيه عينان تَرميانِ بلحظٍ نافذِ النَّبْلِ يَصْرَعِ الأقرانا

فوقَ غُصْنٍ مُهَفْهَفٍ تَلْثَم التفاحَ فيه وتلمس الرُّمانا

تَجْتَلِي خَلْقها فتلْقى قَوَاما خَيْزُرانا وصِبْغَةً أرْجُوانا

لونُهَا الدهرَ وَاحدٌ كجَنَى الوَرْدِ وإنْ كان ودُّها ألوانا

بينا وصلُهَا لذي الودِّ وَصْلٌ إذ أحالتْهُ بالقِلَى هجرانا

كمُلَتْ كلُّها فلستَ ترى فيها سِوى سُوءِ عَهْدِها نقصانا

ومتى ما سمعت منها فشَدْوٌ يطردُ الهمَّ عنك والأحزَانا

قادرٌ أنْ يُميت أشجانَ قومٍ قادرٌ أن يُهيِّج الأشجانا

ومتى ما لثمت فاها فشيءٌ تجد الرّاحَ فِيهِ وَالرَّيحانا

ريقةٌ كالشَّمولِ طِيباً، وَنَشرٌ كنَسيم الشَّمال خاضَ الجنانا

صَغَّرُوهَا مخافة العينِ عَمْدا وَهيَ أعلى ٱلقِيان قَدْرا وشَانا

فدَعَوْها دُريرَةً وَهي الدُّرَّ ةُ تَغْلُو فتأخذ الاثمــانا

— ٤ —

مظلومة : عازفة د ٢٨

يا غُصْنا من لُؤلُؤٍ رَطْبِ فِيهِ سرورُ العَيْنِ وَٱلقَلْبِ

أَحسَنَ بِي يومٌ أرانِيكمُ وَمَا عَلى المُحسنِ مِن عَتْبِ

لـكنَّهُ أعقَبَني حَسرةً فَدَمْعَتي سَكْبٌ على سَكْبِ

مظلومَ ، ما أنتِ بمظلومةٍ فِي حُكمِ أَهْل الشَرقِ والغربِ

بل إنما المظلومُ عَبْدٌ لكم أصبح مقتولا بلا ذنب

غَصَبْتِه جَهْرا على قلْبِهِ لا تُبْتِ مَا عِشْتِ مِنَ الغَصْبِ

ما بالُ مَنْ عَادَاكِ في رَاحَةٍ وما لمن والاك في كَرْبِ

سالمتِ أهلَ الحَربِ طُوبَى لهم لـكنّ أهل السلم في حربِ

أصبحتِ من روحي بلا كُلْفَةٍ كالروح بين الجنْبِ والجنبِ

أعــانني اللهُ على غُلَّتِي بشَربةٍ من رِيقِك العَذْبِ

يا حُبُّ مَظلومةَ لا تنكشفْ   وٱزددْ فما لي منك من حَسْبِ

مظلوم قد أنهبتِ أرواحَنَا   وكلُّنا راضونَ بالنَّهْبِ

ضَربُك في صَوْتِك لا خارجٌ   عن حَدّه والصَّوتُ في الضرب

كأنما وقعُها في الحَشا   وقعُ الحيَا في الزمن الجدبِ

فُقْتِ المغنين كما فاقنـــا   كواكبُ الدنيا بنو وهب

حُسْنا وإحسانا قد استُجمِعا   كلاهما ذو مطلب صعبِ

العتاب د ١٩١

يعاتب بعض الرؤساء

تنَاسيتَ أمرِي واطَّرحتَ حُقُوقي
وعاديتَ بِرّي واصْطَفيتَ عُقوقي

وما ذاك إلا انني سَهْمُ نُصرةٍ
فنَحْوَ ٱلعِدَى نَصْلي ونحوَكَ فُوقِي

أتغفِل رِيِّي بعد ما قد غرسْتَني
قديما وساخت في ثَرَاكَ عُرُوقي

ولاحَتْ بُروقٌ منك أخلفَ رَعْدُها
على أنني مـــا أخلفَتْك بُرُوقي

الهجاء

— ١ —

في خالد القحطبي د ٣٩

أَخالدُ أَخطأْتَ وجْهَ الصوا ... بِ ولم تأتِ أَيْرِيَ من بابِهِ
خَرُقتَ فجَمَّشْتَه بالهجا ... ءِ وَأُنسيتَ كثرةَ خُطَّابه
فلو كنتَ غـــازلتَه بالنَّسيِـ ... ـبِ أصبحتَ أنجحَ طُلَّابه
كبِنْتِك حـين تأَتَّتْ له ... فأضحتْ رئيسةَ أصحـابه
عَدِمْتُك شيخاً أخا حُنكةٍ ... يحـاول أمراً فيَعْيا بـه
وتطلبُه غـادةٌ كاعبٌ ... فتُحكِمُ من أمر أسبابـه

— ٢ —

في فَهْم المغنية د ١٣٣ ظ

كنت عند الامير عيسى بن هارو ... نَ وفَهْمٌ وذاك في تَمُّوزِ
فتغنَّتْ فهزَّني التـرّ حتى ... خِلتُ أني في وَسْطِ بَرْدِ العجوزِ

الغزل

- ١ -

د ٢٨٣

مالي إذا زِدتُ حُبًّا زِدتِ مَقْلِيَةً ... يا من أجبْتُ إليها داعيَ الحينِ

قالتْ لأنَّ هَناتِ الحبِّ آخِذةٌ ... من المُحِبِّ نصيبَ القلبِ والعينِ

بَليَّةُ الحب تُبليـــه وتشحَبُه ... وكلُّ ذلك شَيْنٌ غيرُ ما شَيْن

وإنما تَتبَعُ الأهواءُ قادتَهـــا ... إلى المناظر ذات الزَّيْن لا الشَّيْن

نحن الحِسان اللّواتي ليس يُعجبنا ... إلا الحِسانُ فلا تخدعك بالمَيْن

من كل رَقْراق ماءِ الوجه تحسَبُه ... سيفاً صقيلاً حديثَ العهد بالقَيْن

لا تَخلِط الحبَّ بالتَّقوى فتعطِفَنا ... على المقاسي عذاب الهجر والبَيْن

ولم نَبِع قطُّ دنيانا بآخرةٍ ... ومثلُنا لا يَبيع النقد بالدَّين

- ٢ -

د ٢١٣ ظ

يا شبيهَ البدر في الحسْـ ... ـنِ وفي بُعْـدِ المَنالِ

جُدْ فقد تنفجرُ الصَّخـــرةُ ... بالمـــاء الزُّلال

- ٣ -

د ٢٨١

أعانِقُها والنفسُ بعدُ مشوقةٌ إليها وهل بعدَ العناقِ تَداني

فألثِمُ فاها كي تموتَ حزازتي فَيَشْتَدُّ مــا ألقى من الهَيَمان

وما كان مقدار الذي بي من الجَوَى ليَشْفِيَه ما ترشُفُ الشفتان

كأنّ فؤادي ليس يَشفِي غليلَه سوى أن يَرى الرُّوحَيْن يمتزجان

الرثاء

في ابنه الأوسط

د ٧٠ ظ

بكاؤكما يَشفي وإن كان لا يُجدي
فجُودا فقد أوْدَى نَظيرُكما عِندِي

بُنَيّ الذي أهــدتْه كَفّايَ للثَّرَى
فيا عِزَّةَ المُهْدَى ويا حسرةَ المُهدِي

ألا قاتلَ اللهُ المنــايا ورمْيَها
من القومِ حبَّاتِ القلوب على عَمْد

توخّى حِمــامُ الموتِ أوسطَ صِبْيَتي
فلِلّهِ كيفَ اختار واسطةَ العِقْد

على حينَ شِمتُ الخيرَ من لمحَاته
وآنستُ من أفعـــالِه آيةَ الرُّشد

طواهُ الرَّدى عني فأضحى مزارُه
بعيداً على قُرْبٍ قريباً على بُعْد

لقد أنجزتْ فيه المَنايا وعيدَهـــا
وأخلفتِ الآمالُ ما كانَ من وَعْد

لقد قلّ بين المَهْدِ واللَّحد لُبْثُه
فلم ينسَ عهدَ المهد إذ ضُمَّ في اللحد

تنغَّص قبل الرِّيِّ مـــاءُ حياته
وفُجِّع منه بالعـــذوبة والـــبرد

ألحَّ عليه النَّزْفُ حتى أحـــالَه
إلى صُفْرة الجاديِّ عن حُمرة الورد

وظلَّ على الأَيدي تَساقطُ نفسه
ويَذْوِي كما يذوي القَضيبُ من الرَّند

فيا لكِ من نفس تساقط أنفُساً

تسـاقطَ دُرٍّ من نظـــامٍ بلا عقد

عجبتُ لقلبي كيف لم ينفَطِرْ له

ولو أنه اقسى من الحجرِ الصَّلد

بِوُدِّي أني كنتُ قد مِتُّ قبله

وأن المنـــايا دونه صَمدت صَمْدي

ولكنَّ ربي شاء غـــيرَ مشيئتي

وللربِّ إمضـــاءُ المشيئةِ لا العَبْد

ومـــا سرَّني أنْ بعتُه بثَـــوابِه

ولو أنه التخليدُ في جَنّـــة الخُلْد

ولا بِعتُه طَوْعاً ولكِنْ غُصِبتُه

وليس على ظلمِ الحوادثِ من مُعْدِي

وإني وإن مُتِّعتُ بابْنَيَّ بعـــدَه

لذاكرُه مــــا حنّت النِّيبُ في نجد

وأولادُنا مثلُ الجـوارحِ أيُّهـا
فَقَدْناهُ كانَ الفـاجعَ البيِّنَ الفقْد

لكلٍّ مكانٌ لا يَسُدُّ اختـلالَهُ
مكَانُ أخيه في جَزُوعٍ ولا جَلْد

هل العَيْنُ بعد السَّمْعِ تكفي مكانه
أم السمعُ بعد العَيْنِ يَهْدي كما تهدي

لَعَمْري لقد حالتْ بيَ الحالُ بعده
فيا ليتَ شعري كيف حالتْ به بعدي

ثكلتُ سروري كلَّه إذ ثكلتهُ
وأصبحتُ في لذَّات عيشي أخا زُهْد

أرَيْحـانةَ العينين والأنف والحشا
الا ليتَ شعري هل تغيرت عن عهدي

سأسقيك ماءَ العين ما أسْعَدتْ به
وإنْ كانت السُّقْيا من الدمع لا تُجدي

أعينيَّ جُودا لي فقد جُدتُ للثَّرَى
بأنفَسِ ممـا تسألان من الرِّفد

أعيـنيَّ إنْ لا تُسعداني ألمْكما
وإنْ تُسعِداني اليوم تستَوجبا حَمْدي

عَذَرْتكما لو تُشغَلان عن البكا
بنومٍ ، وما نومُ الشَّجِيِّ أخي الجهد

أقُرَّةَ عيني قـد أطلتَ بكاءهـا
وغادرتها أقذى من الأعْيُنِ الرُّمْد

أقُـرَّةَ عيني لو فَـدَى الحيُّ ميِّتاً
فديتُـك بالحُوباء أولَ من يَفْدي

كأنيَ مـا استمتعتُ منك بضمَّةٍ
ولا شَمَّةٍ في ملْعبٍ لك أو مَهْد

ألام لما أبدي عليك من الأسى
وإني لأُخفي منه أضعاف ما أبدي

مُحمدُ مــا شَيءٌ تُوُهِّمَ سَــلوةً

لقلبيَ إلا زاد قلبي من الوجــد

أرى أخوَيْكَ ٱلبــاقِيَيْن فإنمــا

يكونان للاحزان أوْرَى من الزَّند

إذا لعبــا في ملعبٍ لك لذَّعا

فؤادي بمثل النار عن غير ما قَصْد

فمــا فيهما لي سلوةٌ بل حزازةٌ

يهيجانهــا دوني وأشقى بها وحدي

وأنتَ وإن أُفردتَ في دار وَحْشةٍ

فإني بدار الأُنس في وَحْشة الفــرد

أودُّ إذا مــا الموتُ أوْفَد مَعْشراً

إلى عسكرِ الامواتِ أنّي من ٱلوَفْد

ومن كان يَسْتَهْدِي حبيباً هديةً

فطَيْفُ خيالٍ منك في النوم أستهدي

عليك سلامُ اللهِ مــني تحيةً
ومن كل غيثٍ صادقِ البرق والرعد

مقطوعات وابيات

- ١ -

د ٢٦٥

لا تَلْحَ مَنْ يبكِي شَبيبتَه إلا إذا لم يَبْكِها بِدَمِ
عَيْبُ الشبيبةِ غَوْلُ سَكْرَتِهَا مِقدارَ ما فيها من النِّعَمِ
لسنا نراها حق رؤيتها إلا زمانَ اشَيْبِ والهَرَمِ
كالشمس لا تبدو فضيلتُها حتى تُغشَّى الارض بالظُّلَم
ولَرُبَّ شَيْءٍ لا يُبيِّنُــه وِجدانهُ إلا مع العَدَمِ

- ٢ -

د ٢٤٤

عرفتُ مَقاديرَ الرجالِ بنكبةٍ أفدتُ بها غُنْما وإنْ عُدَّ مَغْرَمَ
كفَانِي لعَمْرِي أيها الناسُ خِبْرَتي بكم بعد جهلي واغتراريَ مغنما

ألا طال ما حَمَّلتُ قلبي ظالماً تكاليف من إعظام مَنْ ليس مُعظما

فقد حطَّها عني الاله بِمحْنَةٍ اراني بها رُشدِي وما زال مُنْعِما

- ٣ -

د ٢٤٥

(إذا نلتَ مأمولا على رأس بُرْهةٍ
حَسِبْتُكَ قد احرزتَ غُنْما من الغُنْم

ولم تذكرِ الغُرْمَ الذي قد غرِمته
من العُمُر الماضي ويا لك من غُرم)

رأيتُ حيـاةَ المرء رَهْناً بموتـــه
وصِحَّته رهنـاً كـذلك بالسُّقم

إذا طـاب لي عيشي تنغَّصْتُ طِيبـهُ
بصِدْقِ يَقيني أنْ سيذهبُ كالحُلْم

ومـن كان في عيشٍ يُراعي زواله
فذلك في بؤسٍ وإنْ كان في نُعْم

- ٤ -

د ٢٢٧ ظ

ادْلُلْ على الخير تلحَقْ شأوَ فـاعِلِه
وإنْ قـدِرْتَ فكُنْ أدنى وسائِلِه
واعلمْ بأنّ ابتذال الوجهِ يُخْلِقُه
إلا ابْتِذالَكَهُ في نفـعِ آمـلِهِ
وبِذْلةُ الوجه أحيـاناً تُجدّده
كما تجدّد سيفاً كفُّ صاقِله

- ٥ -

د ١٢ ظ

أرى الحظَّ يأتي صاحبَ الحظِّ وادعاً
ويُعيي سِواهُ ساعِياً فيـه مُتْعَبا
إذا كان مَجْرَى كوكبٍ سَمْتَ هامةٍ
عَلاهـا وإلا اعتاضَ ذلك مَطْلَبا

- ٦ -

د ٢٩٤

رأيتُكَ تكره وَقْعَ الظُبَا وَتَصْبُو إلى كلِّ شيء حَسَنْ

فإنْ لم يكنْ لك صبرٌ عليَّ فلا تُغلَبنّ على الصبر عَنْ

- ٧ -

د ١٨٩

قال في اليمين الكاذبة :

وإني لذو حَلِفٍ حاضِرٍ إذا ما اضطُررتُ وفي الحال ضيقُ
وهل من جُناحٍ على مُرهَقٍ يُدافع بالله ما لا يُطيق ؟ !

- ٨ -

د ٩ ب

وإذا ما تحلّت الأرضُ بالنَّرجس باهتْ به نجومَ السَّماء

- ٩ -

د ٨١ ظ

لا تجبُنَنّ لأنّ النفسَ واحدةٌ فإنما الموتُ ايضاً واحدٌ فَقدِ
ما يجبُنُ المرءُ إلا وهو مُعتقِد او مُشفِق أنه إنْ مات لم يَعُدِ

تاريخيات

جزء من قطعة من قصيدة

الموضوع النزاع بين المعتز المطالب بالخلافة ، والمستعين الخليفة القائم بالحكم.
وقد حاصر المعتز المستعين في بغداد واخيراً اجبره على التنازل له . ولا بد أنه

قال القصيدة عام ٢٥١ في اثناء الحرب بين الاثنين .

٤٣ د

عجبتُ للمرءِ لا يَحْمِي حقيقتَه

مسلوبةً كيف يحمي بعدها سَلَبا

دعِ الخـــلافة يا مُعْتَزُّ مِنْ كَثَبٍ

فليس يَكْسُوكَ منها الله ما سلبا

أترْتجي لُبْسَهـــا من بعدِ خَلْعِكَهَا

هَيْهَاتَ هيهات فات الضَّرْعَ ما حَلَبا

تالله ما كان يرْضاكَ المَلِيكُ لهـــا

قبل احْتقابِكَ ما اصبحتَ مُحْتَقِبا

حتى أزَلَّـــكَ عنها ثم أبْدَلَهـــا

كُفْوًاً رَضِيًّا لذاتِ الله مُنتجَبا

فكيف يرضاك بعد الموبقاتِ لها ؟

لا كيف لا كيف إلا المَيْنَ والكَذِبا

هَذِي خُراسانُ قد جاشَتْ حلائبُها

تُزْجي لنصر أخيها عارضاً لَجِبـــا

كالبحر ألقى عليه الليلُ كَلْكَلَه
وزعزعتْ جـانبيْه الريحُ فاضطَربا

خيـلُ عليهنَّ آسادٌ مُدرَّبـة
تأجَّمـوا الأَسَلَ الخَطِّيَّ لا القَصَبا

مُسْتَلْئِمُون تَحصِيناتٌ مَقـاتِلُهم
مُكمَّمون بحَبِيكَ ٱلْبِيضِ وٱلْيَلَبا

والمُصْعَبِيُّون قـومٌ من شمائِلِهم
قتْلُ الملوكِ إذا ما قتْلُهم وَجَبـا

همُ الأُلَى ينصرون الحقَّ نُصرتَه
ولا يبالون فيه عَتْبَ مَنْ عَتَبا

الأَوفياءُ إذا مـا مَعْشرٌ نكَثُوا
والجاعلون الرِّضا لله والغضبا

قد جرَّبَ الناسُ قبلَ اليوم أنهُم
مُعَوَّدون إذا ما حـاربوا الغَلَبا

يا مَنْ جَنَى لأَبيه القتلَ ثم غدا

حَرْبا لثائِره صدَّقتَ مَنْ ثَلبــــا

يا أولياءَ عهودِ الشرِّ هَوَّنَكُم

مَنْ غالَبَ اللهَ في سلطانِه غُلِبــــا

لقد جزيتم أباكم حين كرَّمَكم

بالعهد أسوأ ما يَجْزي البنونَ أبا

أضحى إمــامُ الهُدَى أَوْلَى به صلةً

منكم وإن كنتُم أَوْلَى به نسبا

هو الذي سلَّ سيفَ الثأرِ دونكُم

لا يَأتَلِي للذي ضَيَّعتُمْ طَلَبــا

أقام في الناس عَصْرا لا يُخيلُ لهــا

ولا يرشّح من أسبابهــا سَبَبــا

وكان للهِ غَيْبٌ فيــه يحجُبُه

عنا وعنه مع الغيبِ الذي حَجَبا

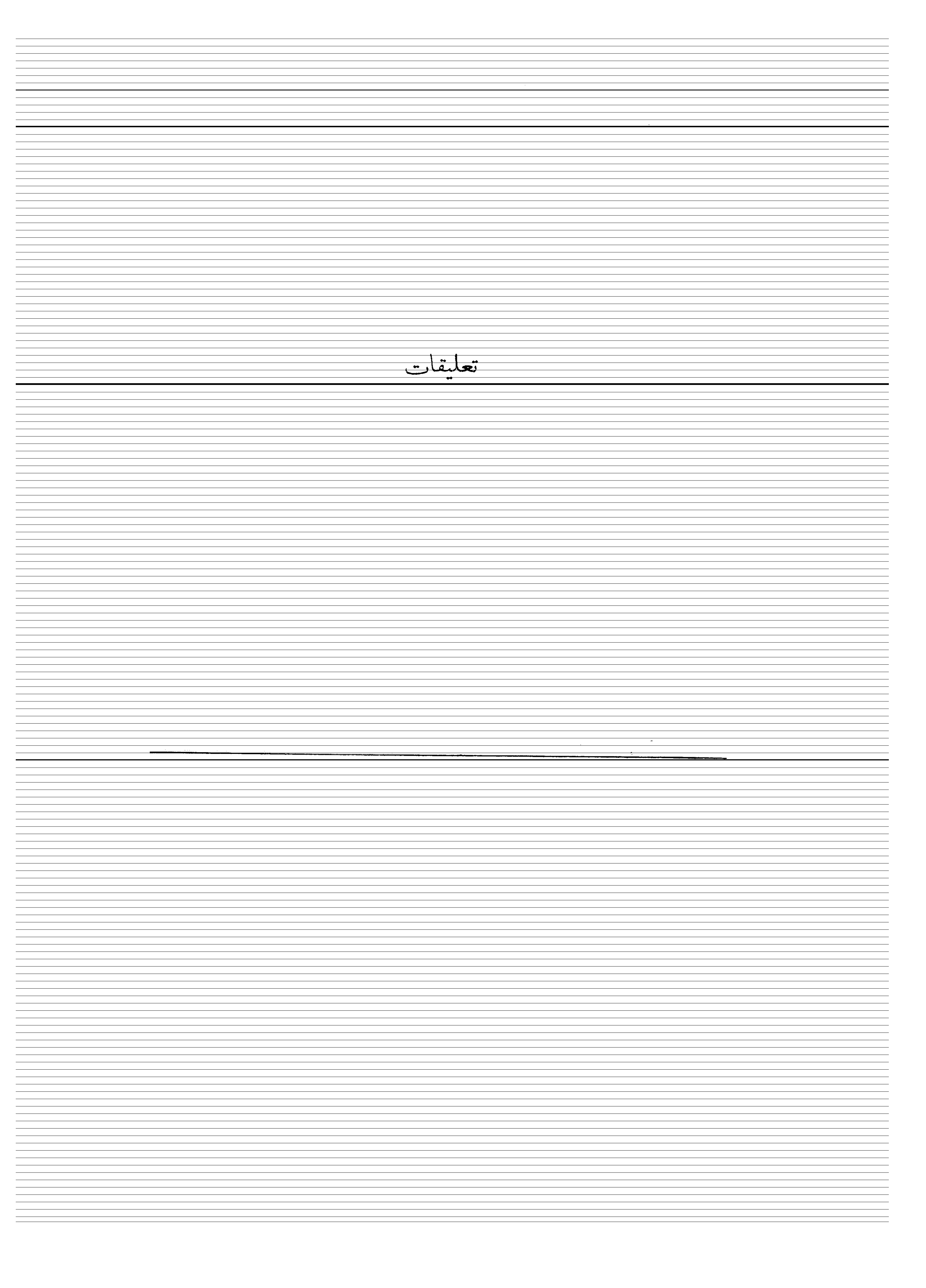
حِراسةَ من عدُوٍّ ان يكيدَ له
كيداً يُحرِّق في نيرانِـــه الحطبا

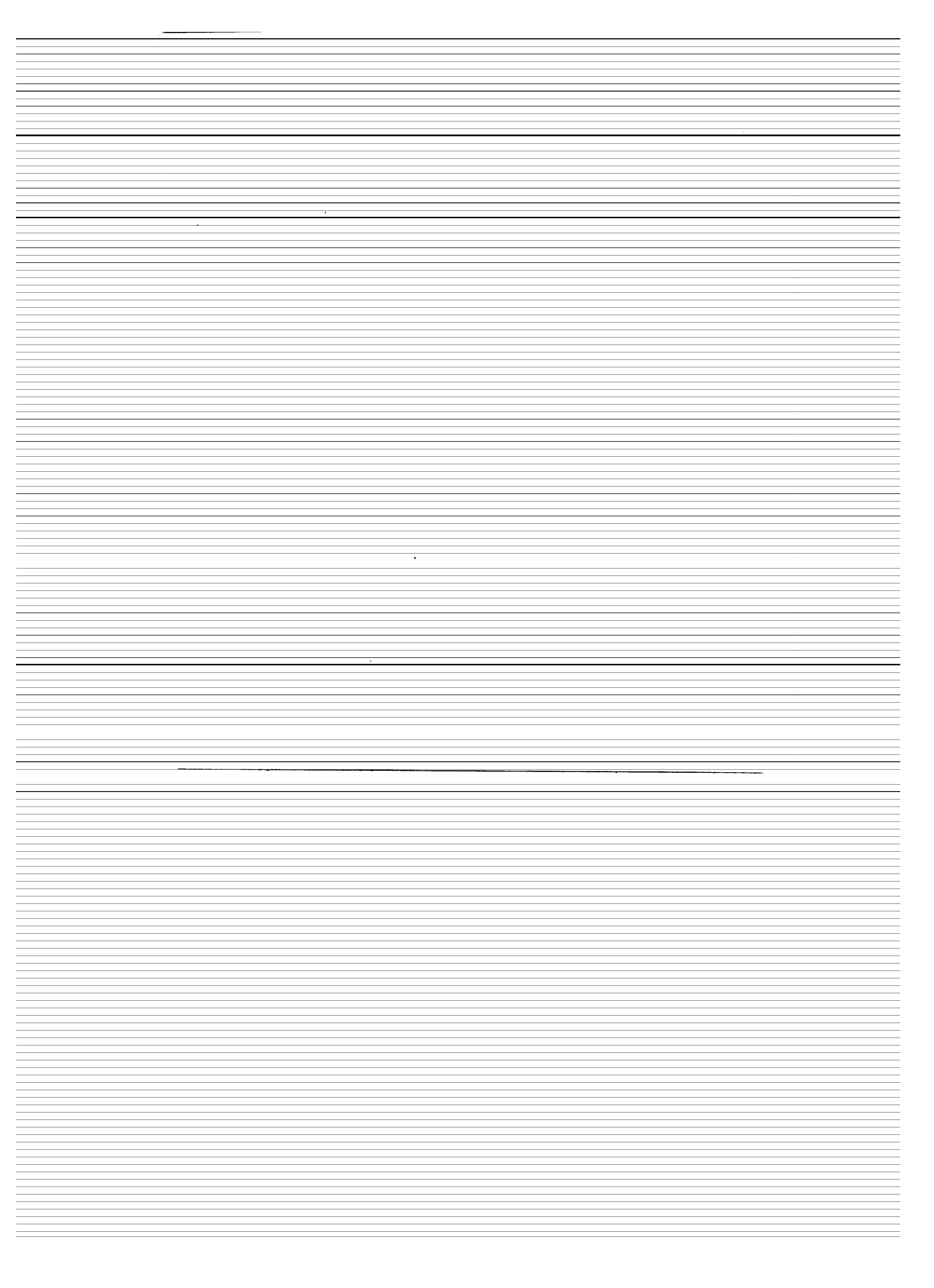
بل عصمةَ من وَلِيٍّ الصالحات له
كيلا يجشِّمَه حِرْصاً ولا تعبـــا

حتى إذا مَهَّـــد اللهُ الأُمـــورَ له
وراض من جَمَحات المُلْك ما صَعُبا

تبلَّجت غُـــرَّةٌ غَرّاءُ واضحـــةٌ
مثلُ الشِّهاب إذا ما ضَوْءُه ثَقَبـــا




تعليقات



تعليقات

١) انظر ترجمة ابن الرومي عند ابن خلكان، طبعة القاهرة ١٣١٠ هـ ١: ٣٥٠ لمعرفة اسمه ونسبه وتاريخ مولده ومحله. وجريج: كذا عند ابن خلكان ١: ٢٨٦.

٢) يقول ابن الرومي نفسه عن أصله :

وكيف أُغضي على الدَّنيّةِ والفُر سُ خُئولي والرومُ أعمامي

د ٢٦٦ ظ . وفي موضع آخر :

آبائيَ الرومُ تَوْفِيلٌ وتَوْفِلِسٌ ولم يَلِدْنِيَ رِبْعِيٌّ ولا شَبَتُ

ويوصف جده لأمه ، عبدالله ، في المرزباني ، ص ٢٨٩ ، بالسجري ، ولكن الامر المحتمل أن ذلك تحريف ، صحته وفقاً لأقواله السجزي ، أي المنسوب الى سجستان .

٣) كان من المعتاد أن يصير الداخل في الاسلام مولى لمن أسلم على يديه ، ولكن ذلك لم يكن أمراً محتماً في الولاء ، فكان من الممكن أن يصير مولى شخص آخر . انظر المبسوط للسرخسي ، القاهرة ٨ : ٩١ ـ ٩٢ .

٤) تقلد عيسى بن جعفر بن المنصور مناصب مختلفة ، واشترك في المفاوضات بين الامين والمأمون . وآخر مرة يذكره فيها الطبري في سنة ١٩٥ هـ .

٥) د ٣٠ .

٦) د ٢٧٣ ظ .

٧) يقول ابن الرومي ، عن نفسه وعن أبي سهل :

وعند ابنِ كِسْرَى لابنِ قَيْصَرَ مَقْعَدُ
إذا سامَهُ ٱلعَصْرَانِ إحدى الهضائم

د ٢٥٢ ظ . وعن القاسم بن عبيد الله :

أنت ابنُ كسرى وما تباعدتِ الرّ ومُ بأنسابِهــا عن الفرسِ

د ١٥٤ ظ . وعن علي بن يحيى :

عهدُ كسرى نعيمُ عيشٍ من ابن كسرى وحُسْنُ مَلْهى

د ١ ظ . وعن بني الفياض :

وجديرٌ بذاك أبناءُ كِسْرى وهل الأُسْدُ ناسياتُ العِضاض

د ١٥٦ .

٨) د ٢ ظ .

٩) د ٢٥٣ ظ .

١٠) د ٩٠ ظ .

١١) د ١٧٩ ظ .

١٢) د ٩٣ ظ .

١٣) تستهل أول قصائد ابن الرومي بقوله :

أجعفرُ حُزْتَ جميعَ العيو بِ فما فيك من خَلَّةٍ تُمْدَحُ

د ٦٢ .

١٤) يتكلم مع صديق ، لم يذكر اسمه ، عن كونهما معاً :

أيامَ نسْرَحُ في مَرادٍ واحدٍ للعِلْمِ تَنْتَجِعُ القلوبُ غَريبَهُ

د ٣٠ ظ

١٥) محمد بن حبيب ، مؤلف عالم بالتاريخ والانساب ، كثيراً ما يروي عنه الأغاني . وستنفلد : المؤرخون رقم ٥٩ ، الخطيب رقم ٧٥١ . ويبدو أنه المعاصر الوحيد الذي ذكره ابن الرومي بتلك الطريقة . ولا يرد ذكره إلا مرتين أو ثلاثاً في تعليقات قصيرة على بعض قصائد في مخطوط القاهرة . انظر ٢٨٢ ظ، ١٨٠ .

ويقال أيضاً إن ثعلباً وابن قتيبة كانا أستاذين له ، وفقاً للأغاني ، المجلد ٦ ، الذي يرد فيه علي بن العباس كثيراً ، مع وصفه مرة بالرومي ، ويروى عنهما للمؤلف (ص ١٨٥ – ٧، ١٩١ ، ١٩٤، ٢٠٧، ٢٠٨) . ولا نستطيع أن نصدق هذا القول ، فلا يمكن أن يكون علي بن العباس هذا شاعرنا ، الذي توفي قبل مولد مؤلف الأغاني بسنة ، أو ربما في السنة التي ولد فيها .

١٦) وصف ابن الرومي حسين بن الضحاك ، الذي توفي عن سن عالية في منتصف القرن الثالث من الهجرة ، بأنه أحسن الشعراء غزلاً وأظرفهم . الأغاني ٦: ١٨٦ . انظر الاغاني ٩: ٢٩ لرؤية الابيات المسروقة . ومات إبراهيم ابن العباس بن صول ، وهو على ديوان الضياع ، عام ٢٤٣ هـ. الاغاني ٩: ٢١ . ويُذكَر ذو الرمة مرتين في تعليقات ربما كتبها ابن الرومي نفسه . د ٣٧ .

١٧) مطلع قصيدة الصيد في شبابه : * بكيت فلم تترك لعينيك مدمعاً *
د ١٦٨ .

١٨) في المقطوعة التي في قصيدة ابن الرومي الطويلة في مدح صاعد بن مخلد ، ومطلعها :

وقد أغْتَدِي للوَحْش والوحش هُجَّدٌ

ولو نَذِرتْ بي لم تَبِتْ وهي هُجَّدُ

فيَشقَى بيَ الثَّوْرُ القَصِيُّ مكانُه

بحيث يُراعيهِ الأَصَلُّ الخَفَيْدَدَ

د ٦٥ .

١٩) يقول :

سفينةٌ من سَفينِ البرِّ محكمةٌ تجري إذا ما اتخذْتَ السوط مجْدافا

د ١٨٦ ظ

ويقول :

وماءٍ كفَقْدِ الماءِ أعلاهُ عَرْمَضٌ وأسفلُه للمُسْتَمِحينَ حَرْمَدُ

وسائِرُهُ ملح أُجاجٌ مُرَنَّق خبيثٌ كريهٌ وِرْدُه حين يُورَد

سَقيتُ بهُخوصا حَراجيجَ بعد ما سقَى ماءها التهجيرَ خِمسٌ عَمَرَّد

د ٦٧

٢٠) الخطيب رقم ٣٨٧٧ . يقول ابن الرومي في اثناء أحداها :

لما ثَوى عافَ بطنُ الارضِ جيفتَهُ

لكنّ حَوباءه ارتاحتْ لها سَقَرُ

د ١٠٦ ظ

وفي أخرى :

يا مُنكَراً ونَكيراً أوجعاهُ فقد   خَلوتُما بقليلِ الخيرِ ملعون

د ٢٧٧ ظ

وفي كلامه عن نقده لشعره :

عابُوا قَريضي وما عابُوا بمعرفةٍ

ولن تَرَى الشمسَ ابصارُ الخفافيش

د ١٥١ .

٢١) يَهبُون دونَ دِمي دماءَهُم   وأري قليلًا دُونَهم قتـــلي

د ٢٢٢ .

٢٢) بني هاشم ما لي اراكم كأنّكم

تَجُورون أحياناً وأنتم أُولو عَدْلِ

كما لو هجاكم شاعرُ حـــلَّ قتلُه

كذاك فأوْفُوا مادحاً دِيَةَ القتْل

د ٢١٤ .

٢٣) وقد كنت ارجو منكمُ خيرَ ناصرٍ

على حين خذلانِ اليمينِ شَمالِهـا

فإنْ كنتمُ لم تحفظوا لي مودة

ذِماما فكونوا لا عليها ولا لَها

توجد المقطوعة القصيرة التي تحتوي على هذين البيتين عند الحصري ٣:١٠٥.
وليست في مخطوطة القاهرة من الديوان .

٢٤) ترد الفقرة المذكورة في رثاء يحيى بن عمر ولذلك يمكن تأريخها بسنة ٢٥٠.
د ٥١ ظ

٢٥) المكتبة الجغرافية العربية ٧:٢٥٤ . يذكر اليعقوبي في هذا الموضع أن الانتقال حدث عام ٢٢٣ .

٢٦) ذكر حمزة الاصفهاني تاريخ تولية الولاة الطاهريين . ويذكر اليعقوبي : المكتبة الجغرافية العربية ٧:٣٠٨ ، خراج خراسان السنوي ، الذي كان ينفقه الطاهريون كله على ما يظنونه لائقاً ، وكذلك الـ ١٣٠٠٠٠٠٠ درهم التي كانت ترسل اليهم من بغداد ، بالاضافة الى الهدايا .

٢٧) الخطيب رقم ٢٩٣٢ ، يذكر ملاحظة منه .

٢٨) يصرح في عنوان قصيدة ابن الرومي في مدح محمد بن عبدالله بأنها طويلة جداً . ولا يوجد إلا قطعة منها ، تبلغ ٨٦ بيتاً . ومطلعها :

ألا نَسِّيا نفسي حديث البَلابِل بمَشْمولةٍ صفراءَ من خمر بابلِ

د ٢٣١ ظ

ويقول عن إباء محمد بن عبدالله أن يكافئه :

مدحتُ أبا العباس أطلُبُ رِفْدَه فَخَيَّبَني من رِفْدِه وهجا شِعْري

د ٩٩ ظ

ويخاطب محمداً في قصيدة :

ألا ليت شعري لِمْ مَطَلْتَ مَثُوبَتي
ولم تُوُت من بخل ولم تُوُت من عُسْر

د ١٠٢ ظ

٢٩) د ١٠٣ .

٣٠) د ٢٥١ ظ .

٣١) د ١٦٠ ظ .

٣٢)إذا حَسُنَتْ أخلاقُ قومٍ فبِئْسَما خلَفْتُم به أسلافكم آلَ طاهرِ

جَنَوْا لكمُ أن تُمْدَحوا وجَنَيْتُمُ لموتاكمُ أن يُشْتَموا في المقابر

. . . . .

ولو كان في الناس ابنُ حُرٍّ وحُرَّةٍ لَمِتَّ ولم تخطُرْ على بالِ ذاكر

د ١١٠ ظ

٣٣) د ٥١ ظ .

٣٤) كل هذا يوجد في قطعة من قصيدة من الواضح أنه قالها في بغداد في بداية الحصار وهم يأملون أن يأتيهم مدد من خراسان . ومطلعها :

أمسَى الشبابُ رداءً عنك مُسْتَلَبا ولن يدومَ على العَصْرين ما اعْتَقَبا

د ٤٢ ظ

ويظهر موقف ابن الرومي السابق من المستعين في الابيات التي مطلعها :

صَبْرا أميرَ المؤمنينا فاللهُ يَجْزي الصابرينا

د ٢٧٩

٣٥) من المرجح أن هذا هو تفسير الخيانة التي اتهم بها الطاهريين في أبيات يقال إنها في محمد بن عبدالله، ومطلعها :

يا طاهرِيِّينَ لا طهورَ لكم من حَيْضةِ الغَدْرِ آخرَ الأَبد

د ٨٦

٣٦) كلا المرثيتين قصير ، ومطلعاهما :

إنّ المنيةَ لا تُبقي على أحدِ ولا تهاب أخا عِزٍّ ولا حَشَدِ

د ٧١ ظ

بات الأَميرُ وبات بَدْرُ سَمائِنا هذا يُودِّعنا وهذا يَكْسِفُ

د ١٨٢ ظ

٣٧) اسم ابن مارمة الذي ذكره ابن الرومي علي بن القاسم ويتكلم الشاعر عنه بطريقة تدل على أنه كان ثرياً وواسع النفوذ . أما اسم الرجل الآخر فأحمد . وتاريخه مع باغر والمستعين في الطبري ٣:١٥٣٥ .

٣٨) توفي سليمان بن أبي شيخ الواسطي عام ٢٤٦هـ وكان يقيم في بغداد. وقد ولد جده عام ٤٠ هـ، السنة التي توفي فيها علي . الخطيب رقم ٤٦٣٠ . وكثيراً ما يروي عنه الاغاني . ويذكر ابن الرومي ابنيه أيوب وأحمد .

وكانت الاسرة تتندر بمحمد ، أخي ابن الرومي ، الذي بعد أن صار كاتباً

لأحد الأشخاص مدة قصيرة ، فقد الرجل منصبه ، وتعلن أن تلك الحـــادثة ترجع الى شؤم محمد . ولكن بعد زيارة قام بها أهل أبي شيخ لابن سعدان مربي المؤيد ، توفي الامير . فاستطاع محمد أن يرد لهم الصاع صاعين ، وأن يقول ان شؤمهم أشنع من شؤمه ، إذ أدى إلى الموت . ونظم ابن الرومي أبياتاً في ذلك الموضوع ، مطلعها :

قل لأيوبَ والكلامُ سِجالٌ   والجوابات ذاتَ يوم تُدالُ

اسكتُوا بعدَها فلا تذكروا الشؤ   مَ حَيـــاءً فأنتم آجالُ

د ٢١٧

ويرد على قصيدة اتهم فيها أحمد بالزندقة حيث يقول قائلها :

إنَّ في واسط العراقِ رجالا   كُلُّهم شاهدٌ عليك أمينُ

ومطلع رد ابن الرومي عن أحمد :

يا بْنَ حسّانَ لا تَشُكَّن في دِيـ   ـني ولا تقتَسِمْك فيَّ الظنونُ

فهو توحيدُ ذي الجلال وتصديـ   ـقُ الذي بلّغَ الرسولُ الأمينُ

د ٢٩٣ ظ

٣٩) بعث عيسى بن الشيخ والياً على مقاطعة في سورية عام ٢٥٢ ، وعندما رأى الاضطرابات في الانحاء الأخرى من الخلافة ، استولى على دمشق. فطرد من سورية ٢٥٦ وذهب الى أرمينية. وكان والياً على آمد ٢٦٦ وتوفي ٢٦٩ وهو وال على ارمينية وديار بكر . فخلفه ابنه أحمد . ابن الأثير .

٤٠) ولد عبيدالله عام ٢٢٣ وتوفي عـــام ٣٠٠ . الخطيب رقم ٥٤٧٩ ، ابن خلكان ١:٢٧٣ . ويذكر الفهرست عناوين أربعة كتب من تأليفه .

٤١) فيما يلي أمثلة من مدح ابن الرومي لعبيدالله بن عبدالله :

صاحبُ الحَرْبةِ التي تَنفِثُ المو ـتَ كنَفْثِ الأفعى ذُعافَ السِّمامِ

د ٢٦٩

يهتزُّ للبَذْلِ والحفاظِ إذا هَزَّ غَوِيًّا لغَيِّهِ طَرَبُهْ

د ٣٨

أثنتْ فضائلُه عليه من نَدًى يَغْشَى العُفاةَ ومن حِجًى مطبوعِ
وتُقًى هلوعٍ من وَعيدِ إلهِهِ من نائباتِ الدهرِ غيرِ هلوعِ

د ١٦٧

تستَشِفُّ الغيوبَ عما يُوارِيـ ـنَ بعَيْنٍ جليَّةِ الإنسانِ

د ٢٨٦ ظ

به أيّدَ اللهُ الخلافةَ بعد ما وَهَى كلٌّ وَهْيٍ رُكْنُها فتَفَسَّخا

د ٦٣

يا أيها السيِّدُ الذي طَهُرت به من المُنكَرات بَغدادُ

د ٩٧

٤٢) د ١٢٤ .

ويقول ابن الرومي أيضاً عن موهبة عبيدالله الشعرية :

من الشعراء الأعْذَبينَ قريحةً وعلّامةٌ بَحْرٌ من العلم مُفْعَمُ

إذا ما جرى في حَلْبَةٍ عربيةٍ تَخَلَّفَ عن شَأْوَيْهِ قُسٌّ وأكْثَمُ
د ٢٤٠ ظ

٤٣) د ٧ ظ .

٤٤) د ٢٦٩ ظ .

٤٥) د ١٧٢ ظ .

٤٦) د ٢٨٥ .

٤٧) نَقَّلوهُ على الهزائمِ بغدا دَ كأنْ قد أتى بفتحٍ جَليلِ

ما أراهم بذلك الفعلِ إلا زَهَّدوا الناسَ في البَلاءِ الجميل

من يخوضُ الرَّدَى إذا كان مَنْ فرّ(م) أثابُوه بالثواب الجزيل
د ٢١٣ ظ

٤٨) جـــاء سليمانُ بني طاهر فاجتاح مُعْتَزَّ بني المعتصِمْ

كأنّ بغدادَ لَدُنْ أبصرَتْ طَلْعَتَه نائحـــةٌ تَلْتَدِم

مُستقبَلٌ منـــه ومُستدبَر وَجْهُ بخيلٍ وقفا منهزِم
د ٢٤٨

٤٩) أتاها فزَلْزل أركـانَها وأشلَى ابنَ أوسٍ على الصَّعلكَهْ
د ٢٠١ ظ

٥٠)مطلع القصيدة الخاصة بالصلح :

للناس عيدٌ ولي عيدانِ في العيدِ   إذا رأيتُكَ يا بن السّادةِ الصِّيدِ

د ٧١

ويبدو من هذا ان الصلح حدث في غرة شوال ، ربما من عام ٢٥٥ .

٥١) د ٢٨٨ .

٥٢) هذه قصيدة في ثلاثين بيتاً مطلعها :

تَرَحَّل مَنْ هَوِيتُ وكلُّ شمسٍ   ستَكْسِفُ أو ستغرُبُ حين تُمْسِي

د ١٣٥ ظ

٥٣) ولي وطنٌ آليتُ أن لا أبيعَه
وأن لا أرَى غيري له الدهرَ مالكا

عَهِدتُ به شَرْخَ الشبابِ ونِعْمةً
كنعمةِ قومٍ أصْبَحُوا في ظِلالكا

فقد أَلِفَتْه النفسُ حتى كأنه
لها جسدٌ إن بانَ غُودِرتُ هالكا

وحَبَّب أوطانَ الرجالِ إليهمُ
مآربُ قَضَّاها الشبابُ هُنالكا

إذا ذكروا أوطانَهم ذكَّرتهم
عهودَ الصِّبى فيها فحَنُّوا لذلكا

وقد ضامَنِي فيه لئيمٌ وغرَّني
وهــا أنا منه مُعْصِمٌ بحبــالكا
د ٢٠٢ ظ

٥٤) انظر الحصري : زهر الآداب ٣ : ٩٩، ١٠٤ .

٥٥) يقول :
يا سليمانُ لا ألومُك في رَدِّ   كَ شِعْري وهل تُلام البَهِيمَهْ
د ٢٤٥ ظ

٥٦) هو الأَسدُ الوَرْدُ في قَصْرِه   ولكنّه ثعلبُ المعركَهْ
د ٢٠١ ظ

٥٧) له شِمالان حازَ إرْثَهما   عن ذي اليَمينَيْن شَدّ ما اختَلفا
د ١٨٠ ظ

٥٨) شَنَنْتُ عليه حُلّة ليس عَيْبُها   سِوى انها ظَلّت تصولُ ويَقْصُرُ
د ١٠٧

٥٩) تجدر ملاحظة القصيدة التي مطلعها :
يا سائِلي بأميرِنا   وبآفةٍ نَخَبَتْ فؤاده
د ٧٣

٦٠) انظر التعليق ٤٨ سابقاً .

٦١) مطلع مرثية ابن الرومي في البصرة :

ذَادَ عن مُقْلتي لذيذَ المنامِ ... شُغْلُها عنه بالدموعِ السِّجامِ

أيُّ نومٍ من بعد ما حلَّ بالبصـ ... ـرةِ ما حَلَّ من هَناتٍ عظام

د ٢٧٠

وتنتهي بالدعوة الى حمل السلاح لتخليص بعض الأسرى وللانتقام . ولكن اهل الجزيرة كانوا قد فقدوا منذ زمن طويل جميع الصفات العسكرية ، ولذلك من المرجح ان لم يجبه احد .

٦٢) يذكر حمزة الاصفهاني بعض تفاصيل هـذه المناصب . ويذكر الطبري معظمها أيضاً

٦٣) كان ابنه محمد نائباً له عام ٢٦٩ (ابن الأثير ٧:١٥٩). وكان محمد بن طاهر والياً عام ٢٧١ (نفس المرجع ١٦٨) .

٦٤) مطلع التهنئة :

جَرى الأَضْحَى رسِيلَ المِهْرَجانِ ... كأنهما معا فرسا رِهان

د ٢٧٧

ومن ثم يتضح أن أحدهما تبع الآخر مباشرة . ويبدو أن السنة هي السنة المشار اليها في التعليقة ٩٨ .

٦٥) لي أربعون مِن السِّنِيـ ... ـنِ وأربعون من الوَلَدْ

د ٧٢ ظ

٦٦) مطلع هذه القصيدة :

شهرُ نُسْكٍ قَرينُه يومُ لهوٍ صار بعد البِعاد مثلَ أخيه

ويقال في العنوان إن النيروز في هذا الشهر المذكور وافق أول رمضان . أما حمزة (ص١٨٠) فيقول إن نيروز سنة ٢٦٦ وافق ٢٦ شعبان .

٦٧) مطلع القصيدة :

خصيمُ الليالي والغواني مُظَلَّمُ وعهد الليالي والغواني مُذمَّمُ

د ٢٣٨ ظ

٦٨) مطلعها :

تَنافسَتْك من الأعيادِ أربعةٌ شتَّى على أربعٍ شتى من المِلَلِ

د ٢٣١

٦٩) للاطلاع على لغة الأتراك غير المهذبة في سامرا في منتصف القرن الثالث للهجرة ، انظر الطبري ٣ : ١٥٤٤ .

ومطلع قصيدة ابن الرومي في مدح الترك :

ترى شَبَه الآسادِ فيهم مُبيَّنـا ولكنهم أدهى دَهاءً وأنْكَرُ

وجوهُهمُ عندَ اللقاءِ وجوهُها وألحاظُهم ألحاظُها حين تنظر

د ١١٠ ظ

٧٠) مطلعها :

أدركتَ آخرَ ما أدركتَ أوّلَه يا بْنَ الخصيبِ وربَّت عندك النِّعمُ

د ٢٦٤ ظ

٧١) مطلعها :

يرى ما وَأى عنه الرجاءُ كما وَأى   وما وعدتْ منه الظنونُ كما وَعدْ

د ٧٧

٧٢) د ١٢٩ .

٧٣) فعَلام أُمْنَعُ واجبي   وعلام أُمطَل سَرْمَدا

د ٧٧

٧٤) مَلِكٌ يَظلُّ إذا غدا   تَتَعاوَرُ الأَيْدي ركابَهْ

. . . .

وبكيدِهِ يَرْوِي القَنا   عَلَقاً ويَخْتَضِبُ اختضابه

د ١٤ ظ

٧٥) انظر فهرس الطبري .

٧٦) يبدو ان ابا نوح عيسى بن ابراهيم كان على ديوان الضياع وموسى بن بغا في أوج عزه في عهد المعتز . انظر نشوار ، مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٩٣٠ ص ١٤٩ . وقتل أبو نوح في ذلك العهد سنة ٢٥٥، وخلفه ابن بلبل .

ويتضح ان السنة المذكورة هي سنة التعيين على وجه التقريب من قصيدة موجهة لابن بلبل لا بد أنها قد قيلت بين سنتي ٢٧٢ و ٢٧٨ هـ ، وابن بلبل وزير للموفق ، إذ يعلن ابن الرومي فيها إنه يمدح ابن بلبل منذ عشرين سنة .

غيري على أنني مؤمِّلُكَ الـ   أقدمُ سائلْ بذاك وامتحنِ

مادحُ عشرين حجةً كَمُلا محرومُها منك غيرُ مُضطغِن

د ٢٧٧ ظ

ويعزز ذلك ما يقوله ابن الرومي لابن بلبل في قصيدة من المحتمل أنها ترجع إلى أوائل عهد الصلة بينهما :

أَتيتُكَ في عِرْضٍ مَصُونٍ طَوَيْتُه ثلاثين عاماً فهو أَبيضُ ناصِعُ

د ١٦٧

والمحتمل انه يعني انه كان في الثلاثين من عمره إذ ذاك .

٧٧) هذه المقطوعة من خمسة ابيات ومطلعها :

سميَّ خليلِ الله لا زلتَ مِثْلَه يُعيذُك من كَيْدِ العداةِ مُعِيذُه

د ٩٦ ظ

٧٨) ياقوت : الادباء ١ : ٢٩٢ . فهرس الاغاني . المدبّر ، كذا في مخطوطة القاهرة كلها وفي المشتبه ايضاً ، ولذلك من المحتمل ان يكون ابن خلكان مخطئاً في جعله المدّبر (٢ : ٣٤٥) .

٧٩) يقول ابن الرومي في هذه القصيدة لابن ثوابة :

أَلا ماجدُ الأَخلاقِ حرٌّ فَعالُهُ

تُباري عَطَاياهُ عَطايا السَّحائِبِ

كمِثْلِ أَبي العباسِ إنَّ نَوالَهُ

نوالُ الحَيَا يَسْعَى إلى كلِّ طالب

يُسيِّر نَحْـــوِي عُرْفه فَيَزُورني

هَنيئاً ولم أركبْ صِعابَ الرَّكائب

د ٢٣ ظ

٨٠) يقول ابن الرومي عن المكافأة :

ما أَستقِلُّ قليلاً أنتَ باذِلُهُ ذِكْراكَ إِيايَ بالمعروفِ معروفُ

ثم يقول :

وجهتَ نحوي مَعْروفا تَعاظَمَني إلا لقَدْرِكَ إن الحقَّ مكشوف

والعَودُ أَحْمَدُ قولٌ قد جرى مثلاً وعُرْفُ مثلك بالعَوْدات موصوف

فأَجْرِهِ لي إن النفسَ قد أَلِفتْ آثارَ كفَّيْك والمعروفُ مألوف

٨١) مطلع احدى اهاجيه في بني ثوابة :

بناتِ ثوابةَ ما في الأَنا مِ أَخلَقُ منكم ولا أثقلُ

د ٢٢٣

واخرى :

أَحمِلُ الوِزْرَ والأَمانة والدِّيْـ ـنَ جميعا وكل ثِقْلٍ ثقيل

غيرَكم يا بني ثوابة يا مَنْ ليس شيءٌ لبُغْضِهم بعَديل

د ٢٣٣ ظ

٨٢) د ٢٠٢ .

٨٣) د ٢٢٤ .

٨٤) د ١٣٢ ظ .

٨٥) د ٨٨ ظ .

٨٦) د ٤٦ ظ .

٨٧) ياقوت: الادباء١:٢٩٢ ذكر انه كان وزيراً للمعتمد عندما هرب الخليفة من سامرا في تلك السنة .

٨٨) ترجم ياقوت : الادباء ٥:٤٥٩ لعلي بن يحيى . وفي الخطيب رقم ٦٥٧٣ ملاحظة جد قصيرة عنه .

٨٩) هذه القصيدة المؤلفة من ١١٧ بيتاً اطول قصائده في علي بن يحيى . ومطلعها :

شابَ رأسي ولاتَ حِينَ مَشِيبِ وعجيبُ الزمانِ غيرُ عجيب

د ١٠ ظ

٩٠) تشير هذه القطعة، التي يبدو مما يقال فيها انها لا بد ان تكون قيلت في مستهل رمضان، في الصيف، تشير الى ان اول ايام الشهر كان اول ايام الاسبوع:

أولُ الشهرِ أولُ الأُسبوعِ طَلَع الطَّالعانِ خيرَ طُلوع

د ١٦٥ ظ

وتحقق ذلك في السنة المشار اليها حين وافق اليوم الاول من رمضان يوم السبت ٢٠ يونية ٨٧٤ .

٩١) وما المِئةُ الصفراءُ منكَ ببدْعةٍ   ولا من أخيكَ الأَرْيَحِيِّ أبي الصَّقْر

د ١١٢ ظ

٩٢) ياقوت : الادباء ٥ : ٤٧٦ .

٩٣) ياقوت : الادباء ١ : ٣٨٣ .

٩٤) وارَحمتا لمنادِميه تجشّمُوا   ألمَ العيونِ للذّةِ الآذان

د ٢٨٧ ظ

٩٥) لا تدع مَحْضَراً تُحقِّقُ فيه   حسنُ ظَنّي والقولُ جَمٌّ فنونُه

واكْسُ شِعري من النّشيدِ نشيداً   كالغِنــاء المُشَذَّرات لحونُه

د ٢٨٣

٩٦) يقال في عنوان القصيدة التي تضم هذا الطلب إنها موجهة الى جحظة وآخر . ومطلعها :

تفاءلتُ والفألُ لي مُعْجِبٌ   فقلتُ ومــا أنا بالعابثِ

د ٤٥ ظ

٩٧) يقول ابن الرومي له :

سألتكَ حاجةً فسَعَيْتَ فيها   بتَعْذيرٍ نتيجتُه اعتذارُ

د ١٣١

٩٨) يقال في عنوان القصيدة إن المهرجان والاضحى تبع احدهما الآخر ،
وقد كان الفاصل الزمني بين العيدين اقصر ما كان في عهد المعتمد في سنة ٢٦٠
إذ وافق الاضحى ٢٦ سبتمبر . ومطلع القصيدة :

عيدانِ أضحَى ومِهْرجانُ ما ضَمّ مِثْليهِما أوانُ

د ٢٧٦ ظ

٩٩) وردت هذه التفاصيل في عنوان القصيدة . ومطلعها :

لما استقل بك الطريقُ إلى العِدَى لا زلتَ تسلكُ نحو رُشْدٍ مَسْلكا

د ٢٠١ ظ

١٠٠) كفى المرءَ وَعْظاً أربعون تَفارَطَتْ
ولو لم يَعِظْـهُ شَيْبُه المتفارط

د ١٦١

١٠١) تفضل المبرد بزيارة العلاء ورأى أنه باذل شعره ضنين بالمسائل .
المرزباني ٤٥٠ .

ويقول ابن الرومي للمبرد :

لي مديحٌ قُلْتُه في سيّدٍ لي لم تَزَلْ تُهْدِي له الشِّعرَ الوفودُ
من حبيرِ الشِّعرِ مَنْ أَسْمعهُ فوَعاه قال : رَوْضٌ وبُرودُ

د ٩٢

١٠٢) يقول له :

ويَميناً إنكَ المرءُ الذي حُبُّه عندي سواءٌ والسجودُ

لم أزَلْ قِدْماً وقلبي ويدي   ولساني لك مذْ كنتُ جنود

شاهدٌ أنَّكَ بحرٌ زاخرٌ   لك من نفسك مَدٌّ بل مُدود

د ٩١ ظ

١٠٣) يقول له في اثنائها :

فأعْطِهِ يا إلهَ الناسِ مُنْيَتَه   ولا تُبَقِّ له سَمْعا ولا بَصَرا

د ١٠١ ظ

١٠٤) يقول ابن الرومي :

إلى أين بي عن صاعدٍ وانتجاعه   وقد راده الرُّوادُ قبلي فأحَمدُوا

ولي بأبي عيسى إليه وسيلةٌ   يفُكُّ بها أصفادَ عانٍ ويُصْفَد

د ٦٥

١٠٥) د ١٦١ .

١٠٦) يوجد في هذه القصيدة الطويلة في صاعد إشارة إلى قتل صاحب الزنج، وقد حدث ذلك في أوائل سنة ٢٧٠ ، قال :

قتلتَ الذي اسْتحيَ النساءَ وأصبحتْ

وَنِيدتُـــه في البر والبحر تُوأدُ

يعني بذلك الموفق .

د ٦٦

١٠٧) يقول ابن الرومي عن العلاء :

رآه رَضيعا كلُّ ماضي بصيرةٍ فقـــالوا جميعاً : قُنَّةٌ ستُطَوَّدُ

فصَدَّقهم منهُ لعَشْرٍ كواملٍ خلونَ له طَودٌ به الارضُ تُوتَد

د ٦٧

١٠٨) التمس من العلاء معاقبة البحتري الشاعر لسرقته أبيات طلب إليه إبلاغها عبيدالله بن عبدالله :

سَلِّطْ عليهِ عبيدَ اللهِ إنّ لهُ سَيْفَيْنِ: ذُو خُطَبٍ تترَى، وذُو شُطَب

د ٣١ ظ

١٠٩) انظر التعليقة ٤٦ سابقاً .

١١٠) كان الكتاب يضم الاقوال الواردة في شكر المعروف نثراً وشعراً ، ويختم بمدائح في العلاء ، مرتبة وفقــاً للألف باء . ولا زالت سبعة من ردود ابن الرومي عـلى مدائح عبيد الله باقية ، وينتهي كل منهــا بقافية مختلفة . أنظر د ٨ .

١١١) يشير ابن الرومي الى انشغاله بتلك الدراسات . ويدعوه غير مرة « حكيم الاقليم » ، انظر د ٢٤٧ - ٣٠١ وغيرها .

١١٢) يقول ابن الرومي في موضع عن العلاء :

ولستُ وإن غالتْه عنّيَ واسطٌ بغائلةٍ عني عَطــاياهُ واسطُ

د ١٦١ ظ

وتشير قصيدة اخرى الى حادثة وقعت لمركب كان العلاء مسافراً فيه الى

واسط ، حادثة فسرها الشاعر بأنها تدل على فأل حسن :

رأيتُ منكسَرَ السُّكّانِ ظاهرُهُ   هَوْلٌ وتأويلُه فألٌ لَمنْجاكا

د ٢٠٨

١١٣) له فيّ تدبيرٌ ولله قَبْلَه   سيُشْوِرُ لي ما أثمرَ الطَّلْعَ حائطُ

د ١٦١ ظ

١١٤) تضم هذه القصيدة التي قالها في صاعد ~~٢٣٢~~ ٢٨٢ بيتاً . ومطلعها :

أبين ضلوعِي جمرةٌ تَتَوَقَّدُ   على ما مضَى أم حسرةٌ تتجدّدُ

د ٦٤ ظ

ويعتذر ابن الرومي عن طولها :

لم أطِلْها كما أطالَ رِشاءَ   ماتِحٌ ساءَ ظَنه بقَليب

د ١١ ظ

١١٥) يلح على صاعد ان يقرأها :

أولُ ما أسألُ من حاجةٍ   أن تقرأ الشّعرَ إلى آخرِه

د ٩٩

١١٦) قلتُ دَاليّةً أعانتْنيَ آلْ   جنُّ عليها لا شكَّ دون الأنيس

مادحاً صاعداً بها وعلاءَ   مُطْنِباً في الخسيسِ وابنِ الخسيس

. . . .

واعتزى كاذبا إلى آل كعبٍ وانتمى زيُّه إلى باذَغيس

واستباحَ الاموالَ يُعمِلُ فيهن بلا مَدْفَعٍ ولا تَنفيس

نفقاتٍ كادتْ تفلِّسُ بيتَ الْـ مالِ أقصى نهايةِ التفليس

. . . .

شؤمُ رأيٍ أتى على الشرقِ والغر بِ من المُدَّعِي الدَّعيِّ النَّحيس

. . . .

وثَنى بابنِهِ السّفيهِ المُعَنَّى بأساطيرِ أرْسطَاطاليس

د ١٤٢ ظ ١٤٣،

١١٧) أقصد أربعة أبيات من الواضح انه قالها بعد موت صاعد ببضع سنوات، إذ تشير إلى خلع ابن بلبل ، ويقول عن صاعد في اثنائها :

رَعَى هـذا الأنامَ فكان ذئباً أحصَّ وما الذئابُ وما الرِّعاءُ

د ١

١١٨) في القصيدة التي مطلعها :

أغرُّ مُخيلاتِ الاماني لَمُوعُها وأشقى نفوسِ الشائِميها طَموعُها

د ١٧٦

ويبدو انه قالها قبل خلع صاعد مباشرة او بعده حالاً، وفي اخرى مطلعها:

أبا حسنٍ حَمْدِي متى ما بغيْتَه رخيصٌ وإن أعرضتَ عنه فغَالِ

د ٢٣٢

١١٩) يذكر البحتري هذه المعلومات في قصائد في علي بن محمد الفياض وفي بني وهب . انظر ديوانه ، بيروت ١٩١١ ، ٢ : ٥٣٤ ، ٦١٥ .

يحتوي نَشْرهم ولو ملأَ الأر ... ضَ نجودُ العاقولِ او أغوارُهْ

أنزلتهم فيـه ديـارَ إيادٍ ... وَقَعاتُ الصَّفيحِ تَدْمَى شِفاره

. . . .

كم أضافوا خَليفةً فيه فخما ... وأميراً ضخماً يُهاب جِواره

وإذَا النّهـروانُ ساح عليهم ... وتقرّتْ رِبـاعَهم أنهـاره

راح عنه الزيتونُ متَّسِعُ الأَفـ ... ـياءِ والنخـلُ باسِقاً جُمّاره

١٢٠) مطلع قصيدته في محمد (بن الحسين) بن الفياض :

دارُ أمنٍ وقرارِ ... واعتلاءٍ واقتـدارِ

ويقول في اثنائها عن الدار :

مَثَّلَ الفردوسَ في الدنـ ... ـيا بليغاً ذا اختصار

بِمبانٍ كالرَّواسِي ... وصِحانٍ كالصَّحاري

وَحكَاها في سناءٍ ... ما اكتستْه من شَوار

نجدت من خَيْرِ نَجْدٍ ... مَلكتْ أيدي التِّجار

ذا تماثيلَ حسانٍ   من صِغارٍ وكبارِ

نَشَرتْ أُسرة كسرى   دَسْتَبَنْدا في دَوار

أو رُماةً في طِرادٍ   خلفَ سِربٍ أو صُوار

أو رَعيلٍ من حمير الوحْشِ مشبوبِ الحِضار

د ١٠٥

١٢١) مطلع القصيدة التي في مدح علي والحسن :

لَهْفَ نفسي على العيونِ المِراضِ   والوجوهِ الحسانِ مثلِ الرياضِ

د ١٥٥ ظ

١٢٢) هي :

وبحقٍّ تجهُّمُ البِيض بيضا   أعقبَتْهُنّ أربعون مَواضِي

د ١٥٥ ظ

١٢٣) مطلع القصيدة :

ذكرتْكَ حين ألقتْ بِي عَصاها النّوى يوماً بنهرِ أبي الخَصيب

د ٤١

١٢٤) الخبر مروي في الطبري ٣ : ٣١٧ ، ٣١٨ .

١٢٥) لمعرفة ابي سهل، انظر الفهرست؛ وخواندان نوبختي، طهران ١٩٣٣ .
وروى السمعـاني ان نوبخت بفتح النون وضمهـا مع فتح الباء . وتظهر في

مخطوطة القاهرة من ديوان ابن الرومي بضم النون والباء دائماً، ومن الواضح ان ابن الرومي كان ينطقها كذلك، لانه يقول في احد المواضع:

يا بْنَ نُوبُخْتٍ المَزُورَ عَلى البُخْـ   ـتِ تَغالَى في سَيْرِها والعِرابِ

د ٣٣

١٢٦) ولما اجْتَباهم ذو الغَناءَيْنِ صاعِد

غدا وهو مسرورٌ بهم غيرُ سَادمِ

ومن يُمْنِهِم إذْ قُلِّدوا ما تقلَّدوا

بَوارُ الأعـادي وانقضاءُ الملاحم

رَمى الخائنَ المشئومَ يُمْنُ جدودِهم

بداهيــةٍ تمحو سوادَ المقَـادم

. . . .

سألقى بنُعْمـانيةِ الخَـيْرِ مُنْعِماً

أعيشُ بهـا في ظِلِّهِ عيشَ ناعم

. . . .

أخٌ ليَ في حكم التفضّلِ سيدٌ

بحكم صميمِ الحقّ غيرُ مؤايمِ

يرى أنني من خيرِ حظٍّ لصاحبٍ
وأعتدُّهُ من خير حظٍّ لخَــادمِ

ويُدْمِجُ أسبابَ المــودَّةِ بيننــا
مودتُنــا الأبرارَ من آل هاشم

وإخلاصُنــا التوحيدَ لله وحدَه
وتَذْبيبُنــا عن دِينه في المَقــاوِمِ

. . . . . .

وأمــا أبو سَهلٍ فإني رأيتُــه
بمجتَمع الخيْراتِ لا زعمُ زاعم

طلبتُ لديه المــالَ والعلمَ راغبا
فألفيتُه بعضَ البحورِ الخَضــارم

وعُذْتُ به من كل شيء أخــافُه
فألفَيْتُه بعضَ الجبــال العَواصم

أجاب دُعائي إذ دعوتُ مَعاشرا
فمن نائمٍ عني ومــن مُتَنــاوم

بتَلْبيةٍ لا أحفِلُ الدهرَ بعدهـــا
بذي صممٍ عني ولا مُتَصـــامِمِ
تجدّدُ آثارَ المــلوكِ ولم تَزَلْ
لمــا أسَّسوه بانياً غيرَ هـــادم .
٢٥٣ د

١٢٧) قد قرأْنا كتابَكَ الحسَنَ النَّظْـ م فخِلْنـــاه لؤلؤاً منسُوقا
ووقفنا على خِطابك إيا ي فأصبحتُ وامِقاً مَوموقا

. . . .

إنْ تكن عاشِقاً لعَبْدكَ تعشقْ عاشِقـــاً لم تزل له معشوقا
أنتَ من راشني أثيثَ رِياشِي وكسا اللحمَ عظمِيَ المعْروقا
واتقانى بحق سُلطانِ وُدّي قسمةً مـــا ذَمَمْتُها وطسُوقا
مُجْرِيا ذاك سنةً لي مــا دا مَ نهـــارٌ لليلهِ مَسْبوقـــا

. . . .

لك يومٌ من النَّدَى ذو سماءٍ لم تزَلْ ثَرَّةَ الفُروغِ دفوقـــا
شَفْعُ يومٍ من الحِجَى ذو حجاج تدعُ الشُّبهَةَ الثَّبوتَ زَلوقـــا

عَجَبا من خليفةٍ وأميرٍ كَلَّفـا البحرَ أن يَسُدَّ البُثوقا

. . . . . .

هزَّ للماءِ عزمةً كعصا مو سى فأَضحَى عمودُه مَفروقا

. . . . . .

لو تَرانا في بضِّ اسناية النيـ ـل لأبصرتَ هاربا مرهوقا

هاربا من مَغوثةٍ كم أغاثتْ من لَهيفٍ ونَفَّست مخنوقـا

د ١٩٤

١٢٨) إذا الدهرُ أعطاني رَأَى مثلَ رَأْيِهِ

فبـاراه جُـودا واقتدى بفعـالِهِ

وإنْ ضَنَّ دهرٌ مرة بعطيَّةٍ

تنـاولني في ضَيْـقَتي بنـواله

د ٢٣٣ ظ

١٢٩) لا يَرانِي أهلا لِلْمُلْكِ الظَّاهِرِيِّ ولا مَوضِعَ العَطايا الرِّغاب

د ٣٢ ظ

١٣٠) رقعةٌ من مُعاتبٍ لك ظَلَّتْ ولها في ذَراك مَثْوَى مُهـانْ

د ٢٧٦ ظ

١٣١) ليس يَرْضى ماجدٌ عن نفسِه بنـــوالٍ كلَّ يوم يُنْتَجع

لك جارٍ كلما قلتُ جَرَى فتشوَّفتُ له قِيـــل انقطع

د ١٧٠

١٣٢) مطلع شكواه من الفرس :

ركبتُ فصاحُوا الصلاةَ الصلا ةَ من بين كهلٍ ومن أمْردِ

د ٩١

١٣٣) ما بالُ ديناريْكَ عني أعرَضا وتصَدَّيا لشَكايتي وتعرضا

د ١٥٧ ظ

١٣٤) أتزعُمُ أنِّي إنْ وَلِيتُ قُريَّةً

رأيتُ ازوِرارِي عن صديقي من الفرْضِ؟

د ١٥٩

١٣٥) طلبتُ كِساءً منكَ إذْ أنتَ عاملٌ

على قريةِ النعمانِ تُعْطِي الرَّغائبا

د ١٢ ظ

١٣٦) ولقد رأيتُك والياً مستعلياً ولقد رأيتُك في الحديد مقيَّدا

د ٨١

١٣٧) يعيد الاشارة في احداها إلى الجائزة التي تكلم عنها قبل ، وهي الكساء الذي مطله بعد أن وعده به .

د ١٢ ظ

١٣٨) مات علي بن العباس النوبختي في نحو الثمانين من عمره عام ٣٢٤ (أو ٣٢٩). ولا بد أنه كان يعرف ابن الرومي حق المعرفة وكان يزوره في مرضه الاخير.
ياقوت : الادباء ٥ : ٢٢٩ ، الخطيب ١٢ : ٢٥ ، الصولي ، الراضي ٧٦ .

١٣٩) عبد الله بن وصيف الناشىء هو أبو علي ، الشاعر الذي اشتهر بالتشيع .
ياقوت : الادباء ٥:٢٣٥ .

١٤٠) د ٥٣ .

١٤١) د ٥٧ ظ. وتحتوي هذه الابيـــات على بضعة ألفاظ غريبة ليست في معجم لين .

١٤٢) د ١٢٧ ظ.

١٤٣) بلادُ أناسٍ ترى كَلْبَها   يَعافُ خلائقَ إنسانِهـــا
ولولا أبو الصقر لم تَسْقِهِم   سَواقِي السحابِ بتَهْتانهـــا
د ٢٨٣

١٤٤) انظر نشوار ٢٦٣ .

١٤٥) لله مختارُه ما كان أعلمه   بكلِّ ما فيه للرحمنِ رِضوانُ

. . . . .

وللمُوَفَّق تبصيرٌ يُبصِّره   بالحظِّ والناسُ طُرّاً عنه عميان
أهدى إليه وزيراً ذا مُناصَحَةٍ   لم يختلفْ فيه إسرارٌ وإعلان
وتشتمل القصيدة التي تضم هذه الابيات على ٢٣٩ بيتاً. وهي « دار البطاح» التي ذكرها الفخري .   د ٢٧٤ ظ

١٤٦) قصيدة في ٨٢ بيتاً . يقول في اثنائها عن ابن بلبل :

غاب الموفَّقُ واستكْفاهُ غَيْبَتَه فلم يصادفْه بين الذمِّ والذامِ

د ٢٥٠

١٤٧) فكَّرتُ في خمسين عاماً خَلَتْ كانتْ أمامي ثم خلَّفْتُهـــا

د ٤٤ ظ

١٤٨) يظهر هذا من عنوان القصيدة . فهي متصلة بخطف الطائي احد أبنـاء الكتاب عندما كان ابن بلبل وزيراً في واسط .

د ٢٥

١٤٩) غريبٌ له نَفْسانِ: نَفْسٌ بوَاسِطٍ
ونفْسٌ بسامَرّا بكَفِّ حبيبِ

د ٤٢

١٥٠) ولما أتى بغداذَ بعد قُنوطِها
وفَتْرَةِ داعِيها وإيبـــاسِ عُودِهـــا

د ٦٧ ظ

تشير عبارة « بعد فترة داعيها » إلى أن الصلاة من أجل الخليفة أعيدت إلى بغداد عند وصول ابن بلبل . فإذن نستطيع أن نستنبط من هذا القول ، أن بغداد اتخذت عاصمة ثانية حوالي عـــام ٢٧٣ ، لأن من المحقق أن الموفق اتخذ بغداد مقراً له في سنة ٢٧٥ (ابن الاثير ٧ : ١٧٣) وكان وزيره ابن بلبـــل في واسط عام ٢٧٢ – بعد ان تقلد الوزارة .

١٥١) د ٥٨ .

١٥٢) د ٢٦١ .

١٥٣) د ٢٧٥ .

١٥٤) د ٢٢٨ .

١٥٥) د ٥٤ .

١٥٦) د ٢١٨ .

١٥٧) د ٤٢ .

١٥٨) د ٢٨٧ ظ .

١٥٩) د ١٢٣ .

١٦٠) عَجِبَ الناسُ من أبي الصَّقْرِ إذ وُلِّيَ بعدَ الإجارةِ الدِّيوانا

ولَعَمْري ما ذاك أعجبُ من أن كان عِلْجا فصار من شَيْبانا

إنَّ للجَدِّ كيمياءَ إذا ما مَسَّ كلبا أحالَهُ إنسانا

د ٢٩٥ ظ

١٦١) د ٦٤ .

١٦٢) د ٣٦ ظ .

١٦٣) د ٢٧٣ ظ. والخبر مروي في زهر الآداب ١ : ٣١٨ .

١٦٤) د ١٢٣ ظ .

١٦٥) د ١٢٣ ظ .

١٦٦) د ١٠٧ .

١٦٧) د ١٨٩ .

١٦٨) ابن الاثير ، المروج ، الفرج بعد الشدة ١ : ١٤٨ ، نشوار ٧٨ . قبض الموفق على أبي العباس في بغداد سنة ٢٧٥ .

١٦٩) د ٢٢٨ .

١٧٠) د ٢١٥ ظ .

١٧١) مثل :

فاعتبِرْ بابْنِ بُلْبُلَ إنَّ فيهِ عِبْرةً لامرىءٍ أَعَدَّ وِعاءَ

د ٦ ظ

١٧٢) د ٢٢٨ .

١٧٣) يبدو هذا من عنوان قصيدة في أبي الحسن وجحظة ، مطلعها :

تفاءلت والفألُ لي مُعجِبُ فقلتُ وما أنا بالعــابثِ

د ٤٥ ظ

١٧٤) المنصوري ، الذي يبدو أن اسمه إسحاق، هو ابن محمد بن أحمد بن عيسى ابن المنصور الملقب كعب البقر . وكان ابوه في خدمة الخلفاء عام ٢٥١ – ٢٥٧ (الطبري) . ويضم ديوان ابن الرومي فيه ثلاث قصائد طويلة وبعض القصار . ويصف في احداها ابن بلبل بالملك ، ومن الواضح أن ذلك كان أيام وزارته . يقول :

وأرْتجي أن تَدُومَ لي دِيَمٌ من عارضٍ في السماءِ ذي وُطُفِ

أَعْني أبا الصَّقْرِ إنه ملكٌ في مَنْصِبٍ للعيونِ مُشْتَرِفِ

د ١٧٩ ظ

١٧٥) يبدو أن الباقطائي كان أحد كتاب أحمد بن ثوابة في عهد المهتدي ثم رقي فولي ديوان المشرق (الاغاني ٢٠ : ٦٨) . ويقول ياقوت ، الذي يذكره في معجمه الجغرافي (١:٤٧٦) إنه تكلم عنه في معجم الادباء ، ولكنه غير موجود في النسخة المطبوعة . ويسمي ياقوت الموضع المنسوب إليه باقطايا او باقطيا؛ أما الديوان فيجعله الباقطائي حيثما ضبطه . ويروي التنوخي كثيراً عن الباقطائي في نشوار ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٣٠ ، ويوصف فيه مرة (ص ٢٠٧) بأحد شيوخ الكتاب . ويبدو أن العلاء بن صاعد هو الذي رقاه ، لان ابن الرومي يقول عنه :

وهو الذي اختارهُ العَلاءُ أبو عيسى حكيمُ الإقليمِ مُذْ فُطِما

د ٢٤٧

١٧٦) د ٢٢١ ظ .

١٧٧) مطلعها :

شَغَلَ المحبَّ عن الرسومِ وإنْ غَدَتْ مثلَ الوُشومِ

د ٢٧١

١٧٨) فمَنْ مُبْلِغٌ عني مُوفَّقَ هاشمٍ
قَريعَ بني العباسِ ذا المجدِ والفَخْرِ
وصاحبَ عهدِ المسلمين الذي غدا
يُخافُ ويُرْجى للعظيمِ من الأمْر
يَمينا لئِنْ أنتم خَذَلْتُم وَلِيَّكُم
لَتَسْتَفْسِدُنَّ الأَوْلياءَ يدَ الدهر

د ١٠١ ظ

١٧٩) تقول ، مخاطبة الموفق ، ومخصصة اكثر من ثلاثين بيتاً عن حرب الزنج:

حصرتَ عميدَ الزّنجِ حتى تخاذلت
قُــواهُ وأوْدَى زادُه المُـــتزوَّدُ
د ٦٦

١٨٠) في قصيدة مطلعها :

أيها السيّدُ الذي اختاره السيِّـــدُ إلفاً وموضِعا للخِلال
د ٢٣٤

١٨١) يقول ابن الرومي عن هذه المهمة :

تأمّل ابن الفهمُ والحزمُ والتُّقى لباغي سَفيرٍ فوق كلِّ سفيرِ
فأبصرَهـا فيك الموفّقُ كلَّهـا فولّاك ما ولاك غيرَ نكير
د ١١٣ ظ

١٨٢) في قصيدة طويلة مطلعها :

لا بِدْعَ أنْ ضحكَ القَتيرُ فبكى لضحْكَتِه الكبيرُ
د ٩٧

ونستطيع أن نرى أن اسم أبي الفوارس هو أحمد بن سليمان وأن تلك المهمة كانت إبان وزارة ابن بلبل .

١٨٣) يذكر الطبري والمروج التفاصيل ، وفيها التواريخ .

١٨٤) يذكر هلال،١١، خواص الاثاوة. وبلغ المجموع الكلي ٧٠٠٠ دينار يومياً.

١٨٥) الطبري .

؛ ويزكيه لبشر المرثدي :

وَلِي لَدَيْكُم صاحبٌ فاضلٌ أُحبُّ أَنْ يُرْعى وأن يُصْحَبا

د ٢٥

ومات ابن عمار سنة ٣١٤ أو ٣١٩ . وكان شيعياً ومؤلفاً مجيداً . وعنوان أحد كتبه « أخبار ابن الرومي والاختيارات من شعره » . وكتاب آخر في أخبار سليمان بن أبي شيخ .

ومحمد بن داوود بن الجراح ابن عم صاعد بن مخلد ، وزير الموفق . وكان مؤلفاً معروفاً أيضاً (الفهرست ١٢٨) . وقد ولد ٢٤٣ وتوفي ٢٩٥ . أنظر بوون Bowen : علي بن عيسى .

١٩٠) مطلع عتاب ابن الرومي لابن عمار :

أيها الحاسِدِي على صُحْبَتِي العُسْرَ وذَمِّي الزمانَ والإِخوانا

حسَدا هاجَه على ثَلْبِ شِعْري ولقـــاني مُعبِّسا غضبـــانا

د ٢٧٩

وهجائه :

كانَ العُزَيْرُ زَمانا لا دَرَّ دَرُّ العُزَيْرِ

د ١٣٢ ظ

١٩١) استهلال القصيدة :

أيادي بني الجرَّاحِ عندي كثيرةٌ وأكثرُ منها أنها لا تُكَدَّرُ

د ١٢٩

١٨٦) استخرجت التاريخ من الحوادث التي تسجلها القصيدة . ومن الواضح أنها قيلت قبل القبض على الطائي . والبيت الأول منها :

طافَ الخيالُ وعن ذِكراكَ ما طافا
وكان أكرمَ طيفٍ طارقٍ ضافا

د ١٨٥

١٨٧) أشرت الى هذه القصيدة سابقاً (التعليقة ١٤٤) . ومطلعها :

لقد رأينا عَجَباً من العَجَبْ بين جُمادَى وجُمادَى ورَجَبْ

د ٢٤

١٨٨) يقول :

آمالُنا فيكَ امـوالٌ محصَّلةٌ وظَنُّنا فيك مرفوعٌ عن الظِّنَنِ
وقد تضمَّنت أرزاقاً نعيشُ بها وكان وعدُك والإنجازُ في قَرَنِ

د ٢٨٤ ظ

١٨٩) لمعرفة ابن عمار انظر الخطيب رقم ١٩٨٣ ؛ ياقوت : الأدباء ١ : ٢٢٣ ؛ الفهرست ١٤٨ . ويزكيه ابن الرومي لأبي سهل في إحدى قصائده ، حيث يقول عنه وعن بعض من لا يستحقون النعمة :

مُكِّنُوا من رِحالِ مَيْسٍ وَطِيئا تٍ وأضحَى بنا على الأقتابِ
كابْنِ عمَّـارٍ الذي تركَتْه حَمَقاتُ الزّمانِ كالمُرْتابِ
مِنْ فتىً لو رأيتَه لرأتْ عَيْـ ـناكَ علما وحكمة في ثِيابِ

د ٣٣ ظ

وقيلت في مرض الشاعر الاخير ، كما في العنوان .

١٩٢) يبدو أن ابن الرومي نظم قصيدته المذكورة سابقاً التي يشير فيها الى شكوى « قافية » لأحمد بن الفرات ، قبل عزل ابن بلبل . أما عن معرفتـــه بأحمد ، فيقول له في قصيدة أخرى :

فيا بابي إلى المالِ ويا بابي إلى العِلْمِ

أَدِمْ عَزْمَكَ في أمري على ما كان في القِدْمِ

د ٢٥٧ ظ

وتبدأ وصيته للوزير بقوله :

قُلْ للوَزيرِ أَدَامَ اللهُ غِبْطتَه انظُرْ إلى ابن فراتٍ وابن عَبْدُونِ

بل قد نظرتَ فلا تَغْبَن أَشَفَّهما فليس ذو الرأي في حَظٍّ بمغبون

د ٢٨٨ ظ

والمقطوعة الوحيدة التي تشير إلى علي بن الفرات تضم ثلاثة أبيات في مدحه.

١٩٣) أشرت الى قصيدة العتاب (التعليقة ١٩٠) . ويقول ابن الرومي في أثنائها :

ليْتَ شِعْري ماذا حُسِدتُ عليه أَيُّها الظَّالِمي إخائي عِيـــانا

أَعَلَى أَنّـني ظَمِئْتُ وأضحَى كلٌّ من كان صادياً رَيّانـا

أم على أنني أَمْشِي حَسيرا وأرَى الناسَ كلَّهم رُكْبانـــا

أم على أنني ثَكِلتُ شَقيقي وعَدِمتُ الثَّراءَ والأَوطـــانا

د ٢٧٩

١٩٤) يصرح عنوان قصيدته في الموفق بأنه كان على الشرطة في بغداد إبّان نظمها. ويذكر الطبري الواثقي لأول مرة عام ٢٨٦ وتقليد بدر غلام المعتضد على شرطة بغداد في ٢٧٨ ثم في ٢٧٩. ويقول ابن الرومي في أثناء القصيدة للواثقي:

عاقَني أَنْ أُطيلَ أنك تَستَغْـــرقُ عَرْضَ الثَّناء مَجْدا وطُولَهْ

وارْتِياعِي في كل يوم من الاز عاجِ عن منزلٍ أحبُّ نزوله

فيه عافانيَ الإلهُ من الشَّـكوِ وفَكَّ البلاءَ عني كُبوله

بعد جهدٍ حملتُ منه ضُروبا ليس أثقـــالُهنّ بالمَحْموله

ومُصابٍ بشِقَّةِ الرُّوحِ مني ضَمَّنَ الجسمَ سُقْمَه ونُحوله

بأَخِي بل بوالدي بل بنفسي ليت نفسي مِنْ قَبْلِه مَشْكوله

د ٢٣٦ ظ

١٩٥) يروي الطبري أن عبيدالله عين على شرطة بغداد سنة ٢٧٦ نائباً عن عمرو بن الليث ويقول إن الدار التي كانت له صودرت للمصلحة العامة ٢٨٣. ومطلع القصيدة التي يذكر فيها ابن الرومي مصابه ورجاءه أن يحل محل أخيه:

أمسَى دِمَشْقِيُّ الأميرِ، ودَهرُه مُلْقٍ عليـــه بَرْكَه وجِرانَهُ

وَالَى عليه مُصيبتَيْن أفـــاضتا عَبَراتِهِ واستَذْكَتا أحزانَهُ

د ٢٨٤

١٩٦) تحتوي القصيدة التي تسأله التزكية على ما يلي :

حـــاجتي أيُّها الأميرُ كتابٌ لا يُخِلُّ التوكيدُ منه بحَرْفِ

. . . . . .

شافعٌ لي إلى سَمِيِّك في إجـ راءِ ألفٍ له حَقيقةُ ألفِ

د ١٧٩

١٩٧) خبر اضطراب أمر عبيدالله بن عبدالله في عهـــد المعتضد في الأغاني ٨ : ٤٤ . ويذكر الخطيب رقم ٥٤٧٩ أيضاً الازمة المالية التي وقع فيها . ويقال إن المعتضد كان يمنحه جوائز بين آن وآخر .

١٩٨) تسمى اثنتان من قصائد الشكوى عبيدالله بالأمير ، فمن المرجح إذن أنهما قيلتا قبل ان تسوء حاله ، ويوجد ثلاث مقطوعات قصيرة في العتاب .

١٩٩) يسمى البيهقي في عنوان إحدى قصائد ابن الرومي إبراهيم ، ولعل شاعر عبيدالله بن عبدالله (د ١٤٩ ظ) هو مـــؤلف « المحاسن والمساوىء » (دائرة المعارف الإسلامية ٥٩٢ [الطبعة الإنجليزية]) .

وخصص له ابن الرومي ثماني قصائد مليئة بالإقذاع .

٢٠٠) اقترح الزواج عام ٢٧٩ .

٢٠١) مطلع هذه القصيدة :

أقبلتْ دولةٌ هي الإقبالُ فأقامتْ وزالَ عنها الزَّوالُ

د ٢١٥ ظ

٢٠٢) توجد أربع قصائد مستقلة عن عيد الفطر، بغض النظر عن الاشارات التي في القصائد التي قالها في قطر الندى ، ومطالعها :

(١) قَدِمَ الفِطْرُ صاحبا مَوْدودا ومضى الصومُ صاحبا محمودا

د ٧٧

(٢) أَقبَلَ الفِطْرُ وهو يَحْكِيكَ جُودا

مُضْعِمـاً مُطْلِعـاً عليك سُعودا

د ٧٨

(٣) أُهَنِّئُ الفِطْرَ بوَجهِ الإمـامِ

أَليسَ قد عايَنَ بدرَ الأَنـامِ

د ٢٤٩

(٤) مَرِحَ الناسُ أن تَهيَّأَ في الفِطْ

رِ لهم بالنهارِ أَكْلُ الطعامِ

د ٢٤٩

٢٠٣) مطلع القصيدة :

قَدِمْتَ قدومَ البُرْءِ بعد سَقامِ على دارِ إسلامٍ ودارِ سَلامِ

د ٢٥٠ ظ

نعلم منها أنهم حصلوا على النصر بالسيف مغمداً . وربما كانت الحملة المذكورة أول حملات المعتضد الى الموصل ، التي قام بها في أوائل سنة ٢٨٠ ورجع بعد انقضاء شهرين أو ثلاثة .

٢٠٤) مطلعها :

عَيْنَيَّ هذا ربيعُ الدَّمعِ فاحْتَشِدا
وأبْلِيــاني بــلاءً غيرَ تَعْذيرِ

د ١١٩ ظ

٢٠٥) مطلعها :

يا صائدَ الأُسْدِ إنَّ صَيْدَكَها
لَجــامعُ خَلَّتَــيْنِ مِنْ رَشَدِ

د ٨٠

٢٠٦) مطلعها :

قُلْ لأَميرِ المؤمنينَ المُعْتادْ رعايةُ اللهِ له بالمِرْصادْ

د ٧٥ ظ

٢٠٧) قتل ضابط يسمى شَشْداء أحد رجاله في ثورة غضب ، وأصرَّ على قتله ، بالرغم من التماسات بدر والضبــاط الآخرين ، الذين دافعوا عنه بأنه له خطره وأن القتيل لا وليَّ له ولا صديق . ومطلع القصيدة :

يا طالباً عند الإمامِ هَوادةً مَهْلاً وحَسْبُكَ مُنْذِراً شَشْداءُ

د ٥

٢٠٨) في القصيدة الطويلة التي مدح بها صاعد بن مخلد .

د ٦٦

٢٠٩) في القصيدة المتصلة بعزل ابن بلبل. يقول ابن الرومي عن بني وهب: لأبي العباس :

عليكَ وَليَّ العهدِ بالقـومِ إنهم
إذا وُكِّلوا بالمُلكِ لم يكُ إخلالُ
د ٢٢٨ ظ

٢١٠) الطبري . مطلع القصيدة التي نحن بصددها :

يا نَجْدَةَ الرومِ في بَطَارِقِها وحكمةَ الرُّومِ في مَهارِقِها
د ١٨٩ ظ

٢١١) الاشارة في عنوان قصيدة في القاسم وتقول إنه عزم على الذهاب الى آمد مع المعتضد لمحاربة (أحمد) بن عيسى بن الشيخ . ولعل الحملة عُدِل عنها، فإن المعتضد لم يقم بأية حملة على آمد حتى ٢٨٥ . ومطلع القصيدة :

سَيِّدي أنت شاخصٌ مَصْحوبُ وضَياعِي إليكُمُ مَنْسوبُ
د ٣٩ ظ

٢١٢) كانت السنة المالية شمسية ، وقد حدث في التقويم هفوة بسيطة ، جعلت أول السنة يتقدم شيئاً فشيئاً على الموعد الصحيح ، وأدى ذلك الى جباية الضرائب ، التي يجب أن تجبى في أول العام ، قبل ذلك مع ابتعادها تدريجياً . فأجريت بعض التعديلات للتغلب على هذه الصعوبات . انظر دائرة المعارف الاسلامية ، مادة نيروز . ومطلع القصيدة التي تذكر التعديلات :

قَدِمْتَ قدومَ البَدْرِ بيتَ سُعودِهِ
وأَمْرُكَ عـالٍ صاعدٌ كصُعُودِهِ
د ٧٨ ظ

٢١٣) يقول ابن الرومي في أثناء قصيدة طويلة لسالم :

مَنْ مُبْلِغٌ صَفْوَةَ الأَميرِ أَبي الـ ... عباسِ عن كل حامدٍ أثَرَه

أَنْ قد تولَّى الزِّمامَ صاحبُه ... بحكمةٍ أَحكَمَتْ له مِرَرَه

د ١٠٤

٢١٤) في قصيدة :

إن عهدي إذا تنكر عهد ... لجديد وإن حبي لنامي

مقة خالطت فؤادي ودبت ... في عروقي ومخخت في العظام

فعلى قدر ذاك أسأل حاجا ... تي وأمتاحها بغير احتشام

د ٢٦١

وفي أخرى :

إذا مــا نَبا عنِّي الوزيرُ وأنتمُ

عَتادِي فلِمْ رَجّاكمُ مَنْ تحرَّما

هززْتُكَ للحرماتِ فاقطَعْ وَتِينَهُ

فما زلتَ صَمْصاماً إذا هُزَّ صَمَّما

د ٢٦١

٢١٥) مطلع القصيدة التي تثني على الجارية السوداء :

تباركَ اللهُ خالِقُ الكَرِمِ الـ ... بــارعِ من حَمْأةٍ ومن عَلَقِ

د ١٩٢

٢١٦) في قصيدة مطلعها :

أبا العباس قد ذَكَتِ الجِمارُ وطابَ الليلُ واجْتُوِيَ النَّهارُ
وفي الغُدُواتِ والآصالِ بَرْدٌ يُحَبُّ له الكساءُ المُسْتَزار

د ١٣١ ظ

٢١٧) انظر الخطيب ١٢:٢٥ . قال ابن الرومي فيه واحـــدة من أشهر مقطوعاته في الهجاء :

يُقَتِّرُ عيسى على نفسه وليسَ بباقٍ ولا خالدِ
فـــلو يستطيعُ لتَقْتيره تَنفَّس من مِنْخَرٍ واحد
عَذَرْناهُ أيامَ إعـــدامِهِ فما عُذْرُ ذي بُخْلٍ واجدِ
رَضيتُ لتفْريقِ أموالِه يَدَيْ وارثٍ ليس بالحامِدِ

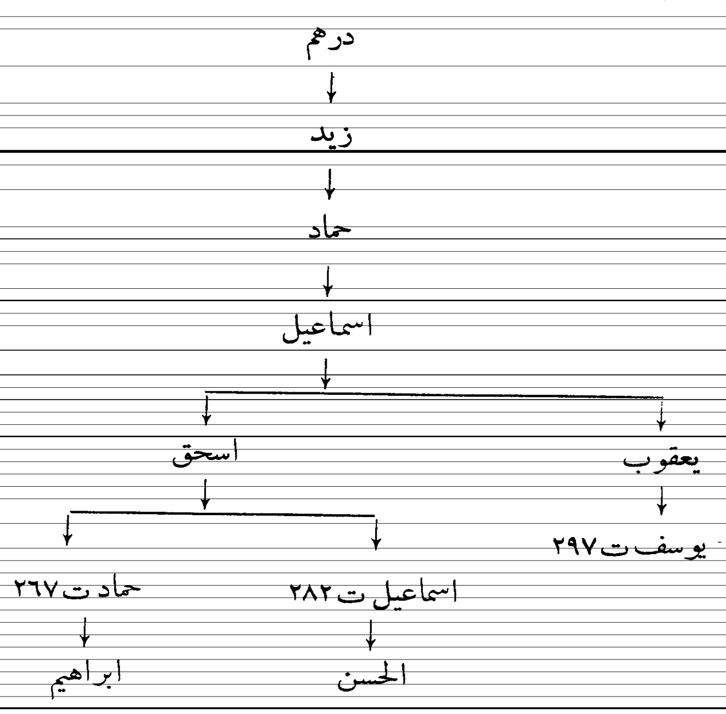
د ٧٣ ظ

٢١٨) يفرد ابن الرومي ، في مـــدحه لبني وهب ، إسماعيـــل بن إسحاق بالذكر الخاص ويشير الى ولي العهد الذي هو المعتضد لا شك . وإذن فنستطيع أن نؤرخ القصيدة بسنة ٢٧٨ أو ٢٧٩ . يقول :

آلَ حَمّـــادٍ غَدَوْتُم أَخْصَلَ الرّامِينَ رِشْقا
هَنَأَ اللهُ وليَّ الـ عهدِ منكم مـــا تَلَقَّى
فلقد لُقِّيَ نُصْحـــا منكمُ لم يَكُ مَذْقـــا

د ١٨٨ ظ

ويبين الجدول التالي نسب العائلة :



٢١٩) الخطيب رقم ٤٢٦٢ .

٢٢٠) يقول ابن الرومي في إحدى قصيدتيه لابراهيم :

فاقسِمْ لنا من ريعِ قُطْنِك حِصَّةً

إنَّ الكريمَ لمُرْتَجِيـــه قسيمُ

وفي الاخرى :

يَضِنُّ أبو عيسى علينا بقُطْنِه كأنّ أبا إسحاقَ ليس بحــاضر

وفي جودِ إبراهيمَ طالَ بقاؤُه لنا عِوَضٌ مُعتاضُه غير خاسرِ

٢٢١) الخطيب رقم ٣٣١٨ . مطلع قصيدته الى إسماعيل بن إسحاق :

نحمدُ اللهُ حين مَنَّ وأبقى بعد ما كادَ كوكبُ الارضِ يَرْقَى

د ١٩١ ظ

٢٢٢) مطلع هذه القصيدة :

وَقَتْكَ يَدُ الإلهِ أبا عليٍّ ولا جَنحَتْ بساحتِك الخطوب

د ١٨ ظ

٢٢٣) الخطيب رقم ٧٦٣٠ .

٢٢٤) مطلع دفاع ابن الرومي عن يوسف :

أَحمَدُ اللهَ مُبْدِئا ومُعيدا حَمْدَ مَنْ لم يزل اليه مُنيبا

د ٢٥ ظ

٢٢٥) تضم الاشارة الى رمي القاضي بالحجارة الآتي :

وَثَبَ الشِّعْرُ وَثْبةً فاستحلُّوا رَجْمَ قاضٍ وكان ذاك عَجيبا

مــا لهم؟ لا سَقاهم اللهُ غَيْثا بل عذابا من السماء صَبيبا

ما على حاكم من السِّعر؟ أم ما ذا عليه إن كان عاما جَديبا ؟

أإليه أمرُ السحابِ أم التَّسعير؟ تَبّا لذاك رأيا غَريبـــا !

د ٢٦

وفي المتن في الموضعين : الشعر ، ومن الواضح أنها غلطة من الكاتب .

٢٢٦) اسم أبيه في الديوان عامة : عبدالله ، وورد مرة : عبيدالله ، كما عند ياقوت : الادباء ٢:٢٢٤ . ويقول ابن الرومي عنه :

رجلٌ يتبَعُ المولّيَ بالسَّيْـ ـفِ إلى ان يُكَنَّ نحوَ خِوانِهْ

أمِنٌ مُعْتفيهِ منه ولكنْ ما لمعْفيه مَطْمَعٌ في أمـــانه

د ٢٨٤

ويقول :

أَدْرِكُ ثِقاتِكَ إنهم وَقَعُوا في نَرْجِسٍ معه ابنةُ العِنَبِ

فهُمُ بحالٍ لو بَصُرْتَ بهـــا سَبَّحتَ من عُجْبٍ ومن عَجَب

رَيْحـــانُهم ذَهَبٌ على دُرَرٍ وشَرابُهم دُرٌّ على ذَهَبِ

د ١٢

ورثاء البنت :

فَتحُكَ المِهْرَجانَ بالحُولِ والعُو رِ أرانا ما أعْقَبَ المهرجانُ

كان من ذاك فَقْدُكَ ابنتَك الحُرَّ ةَ مصبوغةً بها الأكفان

د ٢٧٨

والطّيرة :

فدَعِ الهَزْلَ والتّضاحُكَ بالطِّيرَةِ فالنصحُ مُثْمَنٌ مَجّانُ

د ٢٧٨

وأصله الفارسي :

يا شاعرَ العَجَمِ الكِرامِ كما كان ابنُ حُجْرٍ شاعرَ العَرَبِ

د ١١ ظ

بيت من هجاء ابن الرومي الساخر :

قَمَرْتُه الفَرْخَ على ضُغانِهِ فما يَفِي وكِعْتُ عن دوائِهِ

د ١٠

لمعرفة التاريخ ، انظر زهر الآداب ٢: ١٧١ .

روى ياقوت : الادباء ٢ : ٢٢٤ مثالاً من ترجمة ابن المسيب لابن الرومي . وربما يوجد مثال آخر في الفقرة المشار اليها من زهر الآداب .

٢٢٧) الخطيب رقم ٢٣٩٦ ، حيث يدعوه « الأخباري » . ياقوت : الادباء ٢ : ٥٧ ، الفهرست ١٢٩ .

٢٢٨) قصة السمك في ذيل زهر الآداب ٢٣٩ . لا يترك ابن الرومي الإشارة الى السمك إلا في واحدة من قصائده العشر الى بشر .

٢٢٩) ذكر نشوار بضعة أخبار قليلة عن أسد بن جهور . وقد كان والياً على الكوفة ٢٧٧ ، ثم كان في حضرة الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب .

٢٣٠) أبو عثمان سعيد بن الحسين بن شداد المسمعي . الفوات ١ : ٢١٧ ، الفهرست ١٢٣ ، ياقوت : الأدباء ٢ : ٢٢٦ ، ابن خلكان ١ : ٣٥١ ، ذيل زهر الآداب ١٠٨ ، ٢٤١ .

يهدد ابن الرومي في إحدى قصائده متفكهاً بأن أبا عثمان سيقود حملة على مائدة صديق أساء إليه . د ١٧ ظ . وقد مات بعد ابن الرومي بأربعين سنة تقريباً ـ في عام ٢٣٤ .

٢٣١) لا شك ان ابا بكر الطالقاني هذا هو بكر أحمد بن محمد الطالقاني المذكور في الفهرست ١٦٧ بصفته كاتبـاً له خمسون صفحة من الشعر . ومطلع القصيدة الساخرة :

ابو عثمانَ والرُّوميُّ من غاشيةِ القَصْرِ

يَهيمانِ إلى القصر طوالَ الدهرِ والشهرِ

د ١٢٧

وذكر أبي عثمان هنا له دلالته على تاريخها .

٢٣٢) خبر دعوة سلامة وإبائه فتح بابه لضيوفه في ذيل زهر الآداب ٢٤١ .

ومطلع احتجاج ابن الرومي :

نَجّاكَ يا بْنَ الحاجبِ الحاجبُ وأين ينجو منيَ الهاربُ

د ١٧

ويقول ابن الرومي في مدحه لسلامة :

ما عاش لي ابنُ سعيدٍ فإن شأني كبيرُ

و :

على الكرامِ اميرٌ وانت ذاك الأميرُ

د ١١٠

الفهرست ١٦٦ ؛ المرزباني ٤٥٢ ، حيث يخطىء فيجعل اسمه محمد بن أحمد .

٢٣٣) المرزباني ٤٤٨، الفهرست ١٦٦، ياقوت : الادباء ٥:٢٢٢ .

٢٣٤) صار سليمان بعدُ وزيراً . وكان في الثالثة والاربعين عام ٣٠٤ . انظر بوون : علي بن عيسى .

يروى ان ابن الرومي نفسه روى أنه زار عبيدالله بن عبدالله في صحبة البحتري ، فاختُلِف في تفضيل أبي نواس ومسلم . ديوان أبي نواس ، نسخة آصف ، ص ١٣ .

٢٣٥) انظر ابن خلكان ١:٢١٦ .

٢٣٦) الطبري ، الاغاني ٢٠:٦٧، الفخري ٢٢٣ .

٢٣٧) ياقوت : الادباء ١:١٣٦ .

٢٣٨) ذكر ابن الرومي في أحد أبياته اسمه الكامل :

إنّ وَهْبَ بن سليما نَ بن وهب بن سعيد
هتكتْ ضَرطتُه سِتْ تَر ابيه من بعيدِ

ولا نعرف عنه غير ما يمكن معرفته من ديوان ابن الرومي .

٢٣٩) ابن خلكان ١:٢٧٤ ، الاغاني ٢٠:٧٢ . أول منصب كبير له هو النيابة عن الحسن بن مخلد في ديوان الضياع ـ وكان هذا قبل ٢٤٩ . الفرج ١:١٥٠ . روى نشوار ١:١٦٤ أنه كان معتزلاً في المدينة حين عيّن وزيراً .

٢٤٠) القفطي ١١٣ ، ياقوت : الادباء ٢:٤١٧ ، ٥:٣١٩ .

٢٤١) الطبري ، هلال ، الفهرست ، ابن خلكان ١:٣٥٢ ، حيث يؤرخ

وفاته في سنة ٢٩١ بتاريخ متقدم بضعة أشهر على ما عند هلال ، الفرج بعد الشدة ١:١٠٣ ، نشوار . ومن الواضح أنه كان صغيراً جداً حين اتصل به ابن الرومي لأول مرة .

٢٤٢) يقول ابن الرومي :

مضتْ سِنونٌ أُراعِي نجمَ دَوْلَتِكم
فيها وأَعتَدُّهـــا قَسْمِي من الدُّوَلِ

إنْ غاب حظكمُ استَعْبرتُ من أسفٍ
له وإنْ قَفَل استبشرتُ بالقَفَـلِ

حتى إذا أطلعَ اللهُ السُّعودَ لكم
خُصِصتُ بالعُطْلةِ الطُّولَى من العَطَلِ

د ٢٣٨

٢٤٣) يقول ابن الرومي :

ستُكْسَعُ منكم دولةٌ حانَ بَيْنُها
بدولةِ صِدْقٍ قد أَظَلَّ رُجوعُهـــا

تقومُ بها من أهلِ وَهْبٍ عصابةٌ
تحنَّتْ على نصحِ الملوكِ ضلوعها

د ١٧٦ ظ

(١٢)

٢٤٤) يقول ابن الرومي :

متى آلَ وهبٍ يرتجي الرّيَّ حائمٌ

إذا كنتمُ مُــلّاكَ سُبْلَ المَوارِدِ

لقد ذُدْتُمونا عن مَشاربَ جَمَّــةٍ

وأغرَقْتُموا في غَمْرِها كلَّ جاحِد

وأحييتُمُ دينَ الصَّليبِ وقُمتُمُ

بتشييدِ أعمــارٍ وهَدمِ مَساجد

وإبطالِ ما كان الخليفةُ جعفرٌ

تَخَيَّرَه زِيًّا لكلِّ مُعــاند

د ٩٣

٢٤٥) ليس في ذكر سليمان بن وهب ما يدل على ان ابن الرومي عرفه . أما أحمد بن سليمان ، فليس بينه وبين ابن الرومي غير أن الأخير رد على رسالة له من أجل القاسم .

٢٤٦) حدثت هفوة وهب في حضرة الوزير عبيدالله بن يحيى بن خــاقان . وقد نقد البلاذري المؤرخ وهبا لسوء أدبه . الفهرست ١١٣ . ويشار اليها أيضاً في الأغاني ٦٨:٢٠ . ويقول ابن الرومي إن الحادثة آذنت بموت مفلح ، الذي قتل في ٢٥٨ .

ونَعَتْ إلينا مُفْلحاً سَقْياً له   من فارسٍ مَنَعَ الحريمَ وحَاطا

د ١٦٣

٢٤٧) مثل : * أتت من بَريدِّينا َفلتة * د ١٢٥ ظ .

٢٤٨) يقول ابن الرومي :

وَهبُ ، يا واهبَ الهباتِ اللّواتي
قَصُرَتْ دونها الهبـــاتُ الرِّغابُ

هَبْ لراجيكَ مـــا عليهِ فإنّ (م)
اسْمَكَ وَهبٌ وَسْمَكَ الوَهّـــاب

د ٢٢

٢٤٩) يقول ابن الرومي ، مشيراً الى عبيدالله بن سليمان بعد عزل ابن بلبل :

وإنّ عبيدَ اللهِ للرأسُ منهمُ
ولولا مكانُ الرأسِ لم تكُ أوْصالُ

تَـــلافَى عبيدُ الله دِينَ محمدٍ
فَداوتهُ كَفّاه وفي الدين إعْضال

د ٢٢٨ ظ

٢٥٠) يقول ابن الرومي في القصيدة المشار اليها :

فرَّ منكَ الغَزالُ يا لابِسَ الشَّيْـ ـبِ فرارَ الغَزالِ من صَيّادِهْ

وإذا اصْطادَكَ المَشِيبُ فطارد ـتَ غزالا فلسْتَ بالمُصطاده

لستَ عند الطِّرادِ من قانِصيه   أنت عند الطراد من طُرّاده

فعزاءً إن ابن ستين . . . . .

د ٨٣ ظ

ويقول لعبيدالله في القصيدة نفسها ، التي لا بد أنه قالها بعد ان تقلد المعتضد امور الدولة مباشرة :

قد تولى الامورَ مُعْتَضِدُ بال   لَهِ أصبحتَ ثانياً لاعتِضادِه

سِبْطُك الأكبرُ المباركُ رأيا   ورُواءً وحقٌّ طِيبِ وِلادِه

لا تباعدْهُ من أمامك ما اسْطَعْ   تَ فليسُ الصوابُ في إبعاده

ليس يُوهِي أخاه شَدُّكَ إيّا   هُ به ، بل يَزيد في اشْتِدادِه

أهدِ القاسم الوحيدَ أخاه . . .

د ٨٤

٢٥١) يوجد قريب من عشر قصائد في الحسن ، قليل منها الطويل . ومجموع ابياتها الكلي أقل من ٥٠٠ . وقد أشرت من قبل (التعليقة ١٨٣) الى الجاري الذي وعده الطائي اياه . وفيما يلي مقتبسات من قصائد ابن الرومي الى الحسن :

واذكرْ وُقيتَ من النسيانِ أسوأهُ

كَوْني سرورَك في أيامِ أحزانِكْ

أيام آتيكَ ندمـــانا فتقبَلُني

ولا ترَى أنّ ندْمانا كندمانكْ

د ٢٠٣

عَفواً فإنّا عبيدٌ إنْ صَمَدْتَ لنا . بالجدِّ قاتلتَ منا غيرَ أقرانِك

د ٢٠٣

قد فعلتُ القبيحَ وهو شَبِيهي خطأً فافعلِ الجميلَ بعَمْدِكْ

د ٢٠٣

مَلِكاً يلبس الطويلَ من العُمْـــــرِ ويَحْظَى ويَجبرُ الأَولياء

د ٢ ظ

٢٥٢) يقول ابن الرومي عن القاسم :

فتىً لم يَزَلْ مُذ عَدَّ عشرا وأربعا لكلِّ جليلٍ مُرتَضىً او مُرَبَّضا

د ١٥٤ ظ

٢٥٣) يشار الى المنحة التي أجراها القاسم قبل ان يرجع بنو وهب الى السلطة في عنوان قصيدة، إذ يقال : « وكان القاسم يجري عليه رزقاً قبل الدولة ، فلما أتت الدولة سها عنها» . د ١٣٣ .

٢٥٤) يذكر عدم منحه الرزق بعد عودة بني وهب الى السلطة في العنوان المشار اليه في التعليقة السابقة. وتبين القصيدة نفسها أن الاسرة عادت الى السلطة ثانية قبل ان تقال ببضعة اشهر ، لانها تضم البيت التالي :

لِيَهْنِكَ أنْ قد مرَّ من صَدْرِ دولةٍ شهورٌ توالتْ بعدهنَّ شهورُ

٢٥٥) بعد المهرجان في ذلك العام (اكتوبر ٨٩١) بوقت قصير ، اذ عاد بنو وهب الى السلطة في يونية . الحصري ٢ : ١٧١ .

٢٥٦) يظهر تاريخ القصيدة ، التي ... الفقرة فيها ، من العنوان الذي يروي أن المعتضد كان ولي العهد ... . د ٧٠

٢٥٧) د ٢١٦ ظ . يبدو أن المعتضد ... القصيدة التي وردت فيها هذه الابيات ، كما ذكر المعتضد ، ولذلك ... ا قيلت سنة ٢٧٩ .

٢٥٨) د ٢٠٩ ظ .

٢٥٩) د ٢٠٩ ظ .

٢٦٠) د ٧٠ ظ .

٢٦١) د ٧٥ ظ .

٢٦٢) د ١٣٧ ظ .

٢٦٣) د ٢٠٢ .

٢٦٤) في التهنئة بمولود ، ولا زال المعتضد ولياً للعهد ، ومطلعها :

يَمَّنَ اللهُ طَلْعَةَ المولودِ وحَبَا أهلَهُ بطولِ السُّعودِ

د ٦٩

٢٦٥) في عيد النيروز ، ومطلعها :

طاب نَيْرُوزُكَ في يوم الخميسِ وجرى مَجْرى سعيدٍ لا نَحيسِ

د ١٤٠

٢٦٦) في رثاء احد ابنائه الاربعة ، ومطلعها :

مواهبُ وهّابٍ وقّى بعضها بعضاً
تُثيبُكَ من مَرْزُوئها الأَجرَ أو ترضَى

د ١٥٤

٢٦٧) في أثناء مرضه ، ومطلعها :

تَجافتْ بنا منذ اشتكيتَ المَراقدُ
بنا لا بكَ الشَّكْوُ الذي أنت واجدْ

د ٢٧ ظ

٢٦٨) في قصيدة مطلعها :

حقُّ الأَدِيب لازمٌ لذي الكرمْ   فإن تناسَى حَقَّه فقد ظلم

د ٢٤٦

٢٦٩) في قصيدة مطلعها :

الخيرُ مصنوعٌ بصانِعه   فمتَى صنعتَ الخيرَ أعْقَبكا

د ٢١٠ ظ

٢٧٠) يقول ابن الرومي للقاسم :

يا أيُّها الموعوظُ فيَّ بشُكْرِه   أبصِرْ هُداكَ ففي العِظاتِ بَصائرُ

د ١٢٨ ظ

٢٧١) ويقول له :

سَخِطْتَ على مُهَنْدِسِكَ المُلَقَّى   وما هو كفءُ سُخْطِك بالضَّمير
فكيف إذا أسأتَ القولَ فيه   فكيف إذا اعتزمتَ على النَّكير

د ١١٨ ظ

٢٧٢) و :

كُتَّابُ دَوْلتِك المَيْمونِ طائرُهـــا
أضحَوْا وهم أسوأُ الكُتّاب أحوالا

عبيدُ خدمتك المُعْطـــوك جُهْدَهُمُ

في غـــاية الجهدِ إقتاراً وإقــلالا

فاعطفْ عليهم بفَضْلٍ منك يُنْعِشُهم

يا واحدَ الناسِ إحسانا وإجمالا

د ٢١٧ ظ

٢٧٣) د ٢١٣ .

٢٧٤) د ٢٧٢ ظ .

٢٧٥) يقول عنوان القصيدة التي تحتوي على هـذه الأبيات إن القاسم كان على أهبة الذهاب الى آمد مع المعتضد عند نظمهـا . وربما كانت الحملة المقصودة ثاني حمـلات الخليفة إلى الموصـــل ، وهي التي تركت بغداد في أواخر ٢٨١ (يناير ٨٩٥) .

٢٧٦) د ٩ ظ .

٢٧٧) انظر القصيدة التي مطلعها :

في جُلَّنارَ وأختِهـــا دُبسيَّةٍ   يا بْنَ الوزيرِ لعاتبٍ مُتَعَتَّبُ

د ٢٨

٢٧٨) يقول :

لكِنْ نُبِذتُ مع اللَّفيفِ بمَسْمَعٍ

وبمَنْظرٍ للشـــامِتين ومَغْــلَمِ

وأَشَدُّ مــن ظُلْم الأَذينِ وسائِلي
علمــــي بظَنِّك أنني لم أظْلمَ
د ٢٤٩

٢٧٩) د ١٩١ ظ .

٢٨٠) د ٨٠ .

٢٨١) د ٢١٢ ظ .

٢٨٢) د ٢٩٦ .

٢٨٣) د ٢٩٧ .

٢٨٤) لك الخيرُ إني أستزيد ولا أشكو
ولا أكفُر النَّعماء ما جَرتِ الفُلْكُ

بَـــلَى ربَّما حاولت توثيقَ عُرْوةٍ
وليس لحظٍّ منك أحرزْتُه تَرْكُ

. . . .

أتاني بظَهْرِ الغَيْبِ أنك عـــاتبٌ
وتلك التي رَحْبُ الفَضَاء لها ضَنْكُ
د ٢٠٦ ظ

٢٨٥) فإنْ قلتَ لي دَعْ وَصْلَ من أنت واصلُ
صَددْتُ بطَرْفِ العين والقلبُ رائمُ

ولاحظتُه والخوفُ بيني وبينه
كما تَلْحَظ المـــاءَ الظِّباءُ الحَوائم
كذلك لا أشْري ولاءك طائِعاً
بمـا ملكتْه عبـدُ شمسٍ وهـاشم
ولو ساقني ذاك الوزيرُ أبيْتُه
وأنكرتُه النُّكْرَ الذي هو صارم
أأنزعُ إحدى مُقْلَتيَّ لأُختِها
كذا طائعاً إني هنـاك لآثم
أحبُّكُما حبًّا مع القلبِ أصلُه
وأطرافُه حيث النجـوم النَّـواجِم
ويُدعىَ القاسم في أجزاء أخرى من القصيدة «الوزير ابن الوزير». د ٢٦٣ .

٢٨٦) د ٢٦٤ .

٢٨٧) د ٨١ ظ .

٢٨٨) د ١٩١ ظ .

٢٨٩) في القصيدة التي مطلعها :

الدينُ والعِلمُ والنَّعماءُ والشَّرَفُ   تَأبى لجارِك ان يُمنَى له التَّلفُ
د ١٨٧

٢٩٠) يقول :

استودعُ اللهَ حُسْنَ رأيك في عبدٍ تَلافيْتَه وقد هَلَكا

. . . . .

يَغيبُ إنْ غابَ والنصيحةُ والـ ودُّ رفيقاه حيث ما سَلَكا

طافتْ بـه عِلَّةٌ فعالجَهـا فاعتركتْ والعِلاجُ مُعْتَرَكا

. . . . .

وإنّ إخـلاله ليَكْرُثه لكنّ عَوْدا بعَيْنِه بَرَكا

. . . .

وعبدُكَ العبدُ لا يُخلِّفه عن حظه غيرُ ما نَشاهُ لكا

فأْذَنْ له في عـلاجِ عِلَّته واقبَلْ من العُذْرِ ما نَشا وحَكى

د ٢٠٨ ظ

معنى البيت الرابع واضح ، ولكن مايشير إليه غير معروف .

٢٩١) د ٢٠٩ .

٢٩٢) وسيّدٍ قد غمرتْني أنعُمُهْ

يحلُم عني وتحوم حُوَّمه

حَوْلي وقد لَظّاه نَقْمٍ يَنقَمه

لكنّه يَنهاهُ عني كرَمُه
وإنني مِن حَماه حرَمُه
وهَمَّ جُرْماً ليس مثلي يُجرِمه
وهَمَّ عني قد عزمتُ أشتمه
وذاك عزمٌ ليس مثلي يَعزِمه
بل إنما يشتمهُ مُوهِمه

د ٢٦٠ ظ

٢٩٣) بلغَ البُغاةُ عليّ حيثُ أرادُوا
والله كائِدهُم بما قد كادُوا
وهو الشّهيدُ على أنّيَ لم أقُلْ
بعضَ الذي قد أبْدَئوا واعـادوا

د ٨١

٢٩٤) سَدَّ السِّدادُ فمي عما يَريبُكُمُ
لكنْ فمُ الحالِ منّي غيرُ مسدود

د ٦٨ ظ

٢٩٥) سيَحْميك أنْ تلقى لسانيَ صارما
تذكُّرُ قلبي أنّ سَيفَك صارم

د ٢٦٣

٢٩٦) رُخصتْ معاملتي على رجلٍ وليَغلُوَنَّ عليه ما رَخُصا
ولاحرِصَنَّ على قطيعتِهِ وبعادِه أضعافَ مــا حَرِصا

د ١٥٣

٢٩٧) د ٨٥ .

٢٩٨) لو انكم صِحّتي وعافِيتي فررتُ من قُربكم إلى السَّقَمِ

د ٢٥٠ ظ

٢٩٩) لا شك ان القصيدة المعنونة «إلى القاسم» والتي مطلعها :

يا مَنْ إذا ما رأتهُ عين والدِه بين الرجــالِ اتّقاهُمْ بالمَعاذيرِ

د ١٢٥

ليست الى ابن الوزير وإنمــا إلى من يسمى القاسم بن عبدالله بن العباس ، الذي يهجوه بما يشبه ما فيها في قصيدة أخرى اطول منها .

٣٠٠) يوجد نحو أربع عشرة قصيدة في عمرو ،كثير منها قصير بيّن القصر . ويقول ابن الرومي ، في القصيدة المشار إليها ، التي قيلت للقاسم :

وَجهُك يا عَمرو فيه طولُ وفي وُجوهِ الكلابِ طُولُ
فأين منكَ الحياءُ قُلْ لي يا كلبُ والكلبُ لا يقول
والكلبُ من شأنه التَّعَدّي والكلبُ من شأنِه الغُلول
مقابحُ الكلب فيك طُرّاً يَزُول عنها ولا تَزول

وفيه أشيـــاء صالحاتٌ حماكها اللهُ والرسول

د ٢٢٩ ظ

ويدعى عمرو «كاتب القاسم» في عنوان القصيدة التي مطلعها :

وقائلٍ كيف تهجُو عَمْرا ، وعمرُو مُعِدٌّ

د ٩٤

٣٠١) يتكلم ابن الرومي عن إضحاك القـــاسم على عمرو في القصيدة التي مطلعهـــا :

لا يَغْضَبَنَّ لعَمْرٍو مَنْ له خَطَرُ فليس يرضَى لضَيْمِي من له خَطرُ

د ١١٥ ظ

• امـــا شكواه إلى القاسم من عمرو التي يقول بصددها « فكان جوابي أن حُجبت » ، ففي قصيدة أخرى مطلعها :

أرِقْتُ كأني بتُّ لَيْلي على الجَمْرِ أُراعي كَرَى بين السِّماكَيْنِ والنَّسْرِ

د ١٠٧ ظ

٣٠٢) هاك التعداد كاملا بالنص :

هذا على أنَّ فيه فضل تكْرِمةٍ

للأفضلينَ ولِمْ لا تُمسَحُ الغُـــرَرُ

مثلُ الفِراسيِّ والنحويِّ صـــاحِبه

وكالمُلَقَّب فهو الغُنْجُ والحَوَرَ

ذاك الذي لم يَزَل ظَرْفا ونادرة
كأنّ مَحْضَره الأَصداغ والطُّرَر

وكالصّبيب أبي إسحاقَ إنَّ له
نَفْعا مُبينا إذا ما أجْحَفَ الضَّرر

وما نسيتُ أبا إسحاقَ مائِرَنا
تلك الفكاهاتُ سِيقَتْ نحوه المِيَر

بحرَ المعاني ثِقافَ اللفظِ قيمتُه
إذا تَعاجَمَ فيه البَدْو والحَضَر

وكيف أنْسَى امْرءا تُحيِي محاسنُه
ذِكراهُ عندي إذا ما ماتتْ الذِّكَر

وكالنَّطِيف نَزيف إنه لهبٌ
ذالٍ له حركاتٌ كلُّها شَرَر

ذاك الذي لم يزل طِيبا ومنفعةً
كأنّ مشهده الآصال والبُكَر

أقسمتُ لو لم تُحصِّنّا حرارتُه
من بَرْدِ عمرو بنا القِرَرُ

ولي إلى ابن فراسٍ عَوْدَةٌ وَتَجِبَتْ

له عَـــليٌّ بحقٍ إنـــه .. وَزَرُ

د ١١٦ ظ

وواضح أن فيها عدة مشكلات، ربما سببها تصحيف الأصل [وخاصة الأبيات الاخيرة التي سقطت منها كلمات] .

٣٠٣) المروج، القاهرة ٢ : ٣٥٢ .

٣٠٤) ياقوت : الادباء ٥ : ٢٢٠ . اتهم الاخفش ابن الرومي بادعاء أهاجي مثقال، غلام ابن الرومي، وسرقتها، وقال إن ابن الرومي أقلع عن الهجاء لان مثقالا مات . فدعا ابن الرومي الاخفش أن يختار أية قافية ليؤلف عليها قصيدة في هجائه، ولما فعل الاخفش نظم ابن الرومي قصيدة عليها لا يمكن الخلط بينها وبين شعر غيره .

٣٠٥) د ٨٩ ظ .

٣٠٦) د ٢١٦ . وقال بعد الصلح :

حَذارِ عُرامِي أو نَظارِ ، فإنمــا

يُظلُّكُم قِطْعٌ من الرَّجز مُرْسَلُ

ولا تحسبَنَّ الصلحَ أنْصَـلَ أَلَّتي

ولا أنَّني في هُدْنةِ السلم أغْفُلُ

د ٢١٧ ظ

٣٠٧) زكى أبو الحسن محمد بن فراس العباس بن الحسن أمام القاسم ثم غـار

منه قبيل وفاة القاسم . نشوار ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٣٠، ص ٤٣٣ .

٣٠٨) تَطوَّلْ يا قَريعَ بني فِراسِ   فإنك من ذوي الأَيدي الطِّوال

. . . .

وقد مُكِّنْتَ من دَرَجٍ وِثاقٍ   فلا تَجْبُنْ من الرُّتَب العَوالي

. . . .

وقد حَظِيَتْ بحظِّكُم رزايا   يُطأطِىءُ ذِكْرُها صِيدَ القَذال

كعَمْرو أو كأنْدادٍ لعمرو   ألَا يا قومِ للكُفْرِ الجُلال

. . . . .

ونَقْصِي بعد رُجحانِيْ لديه   وقد يَئِسَ المُوازن من عِدالي

لقد أوْقَعْتَ من أمْرَيْن أمرا   أتى منه فَسادي او خَبالي

. . . . . .

هَوِيتُك ناشِئا قبلَ التَّلاقِي   هَوًى حدَثا تكَهَّلَ باكْتِهالي

. . . . .

رُوَيْدَك إنني كاسِيكَ بُرْدا   جديدا من قَريضٍ غيرِ بالي

تَنافَسُه مَسامعُ سامعيه   ويَطوِي مُنشديه على اخْتِيال

مَديحا إنْ تُشِبْهُ يكنْ مَديحا   من الحُلَلِ المُحبَّرة الغَـوب

وإنْ تَظْلِمْه تَجعلْه هِجـاءً   أَشدَّ على الكريمِ من النبال

د ٢٢٤ ظ – ٢٢٥ ص

٣٠٩) هاك استشفاع ابن الرومي :

سألتُكَ بالأَصلِ الذي أنت فَرْعُه   وأشفَعُ بالفرعِ الذي انت أصلُهُ

إذا انت ودعتَ الوزيرَ فقُلْ له   تَوَخَّ ابن روميٌّ بما انت أهلُه

د ٢٣٠ ظ

٣١٠) د ٣٠ .

٣١١) مطلع الابيات التي نحن بصددها :

وسألتَ عـن خبرِ الجُرا   مِضِ طـالبا عِلْمَ الجُرامِضْ

د ١٥٨

٣١٢) مثل القصائد التالية مطالعها :

بخيلٌ يُصـوِّمُ أَضيـافَهُ   ويَبْخَلُ عنهم بأجر الصِّيامْ

د ٢٤٨ ظ

و :

يا بْنَ فراسٍ لك أُمٌّ فاجِرَهْ   فاسِقةٌ من النساء عاهِرَهْ

د ١٢٥

٣١٣) المروج ١ : ٥ ؛ الفهرست ٢٦١ ؛ الخطيب رقم ٣٢٠٥ ؛ ياقوت : الأدباء ١ : ٣٠٧ ؛ ابن خلكان ١ : ١١ ، ١ : ٣٥١ ، ١ : ٤٩٥ .

٣٧٦) يشير إليها في القصيدة التي مطلعها :

وقائلةٍ بالنُّصح : لِمْ لا تَزوَّجُ فقلتُ لها : غيري إلى القرْنِ أحوَجُ

د ٤٨ ظ

٣٧٧) أقولُ لما رأيتُ عِرْسي تَسْترزق الله باليَدَيْنِ :

سيجعلُ اللهُ بعد عُسْر يُسْرا بجَدْوَى أبي الحسين

د ٢٩٦

٣٧٨) ربما كانت قطعة من قصيدة . ومطلعها :

عَيْنيَّ شُحًّا ولا تَسُحّا جلَّ مُصابي عن البكاءِ

د ٥

٣٧٩) مطلع رثائه لمحمد :

بكاؤكُما يَشفي وإنْ كان لا يُجْدِي

فجُودا فقَدْ أوْدَى نَظيرُكما عِنْدِي

د ٧٠ ظ

٣٨٠) تلك التي في الابن غير المسمى مطلعها :

حَمــاهُ الكَرَى هَمٌّ سَرَى فتأَوَّبا

فباتَ يُراعِي النجمَ حتى تَصَوَّبا

د ٢٦ ظ

٣٨١) تلك التي في هبة الله :

يا هَلْ يُخَلَّدُ منظرٌ حَسَنٌ لممتَّع أو مَخْبَرٌ حَسَنُ

د ٢٨٨

٣٨٢) استخرج أحد الكتاب صورة مفصلة جداً لابن الرومي من الدلالات الموجودة في شعره ، ولكننا نتساءل إذا ما كانت الاستنتاجات المنتزعة مما يقول الشعراء عن أنفسهم صحيحة دائماً . فمثلا لا نستطيع أن نستنبط أنه كان طويلا عندما يخبرنا بأن الظباء كانت تستظل بظله .

٣٨٣) يقول :

انا مَنْ خَفَّ واسْتَدَقَّ فما يُثْ ـقِلُ أرضا ولا يَسُدُّ فضاء

د ٥ ظ

و :

أنا لَيْثُ الليوثِ نَفْساً وإنْ كنتُ بجسمي ضَئيلةً رَقْشاء

د ٦ ظ

وفي قصيدة قصيرة عنوانها « في سوار بن أبي شراعة » ، ولكن من الواضح أنها تشير إليه هو :

إذا ما كنتَ ذا عودٍ صَليبٍ فيكفيني القليلُ من اللِّحاء

د ٩

٣٨٤) يصف قبحه في قصيدة مطلعها :

مَن كان يبكي الشَّبابَ من جَزَعٍ فلستُ أبكي عليه من جَزَعِ

د ١٦٧ ظ

ويشير إليه أيضاً في قصيدة إلى القاسم :

جَـــزَى اللهُ عنِّي قُبْحَ وجهي سعادةً

كما قد جـــزاه ، والإلهُ قدير

د ١٢٨ ظ

٣٢٨) الاغاني . حبس في عهد المعتصم ، ولذلك فهو أكبر من ابن الرومي كثيراً .

٣٢٩) المرزباني ٣١٥ ؛ ياقوت ١ : ٤٠٤ .

٣٣٠) الاغاني .

٣٣١) انظر التعليقة ١٩٤ . يذكر مع البيهقي مرتين أو ثلاثاً البين ، الذي ربما كان شخصاً ، وإن لم يبد على اللفظ أنه اسم علم .

٣٣٢) ياقوت : الادباء ١ : ١٥٢ .

٣٣٣) الاغاني .

٣٣٤) يقول ابن الرومي :

فَقَدْتُك يا بْنَ أبِي طـاهرٍ وأُطْعِمْتُ ثُكْلَك قبلَ العِشاء

فلا بَرْدُ شِعْرِك بَرْدُ الشَّرابِ ولا حَرُّ شِعْرِك حَرُّ الصِّلاء

د ٩

٣٣٥) لا يمكن أن يكون قال القصيدة قبل ٢٧٨ ، لانها تشير إلى خلع ابن بلبل ، الذي عزل في تلك السنة . ويقول ابن الرومي فيها :

ومــا بِيَ قَصْبُ البحتري وثَلْبُه وإن صال فَحْلٌ ذاتَ يومٍ على فَحْلِ

شهدتُ له بالعِتْقِ في الشعر مُخلِصا ومــا انا فيه بالهجين ولا البَغْل

د ٢٢٩ ظ

والناقد هو الباقطائي ، الذي قيلت القصيدة فيه .

٣٣٦) العقاد ص ٢٤٠ . ولم يذكر المرجع الاصلي .

٣٣٧) كان ابن الرومي خصماً للبحتري في عهد العلاء (التعليقة ٢٠٨) [illegible]
حفلة كان فيها البحتري في سنة ٢٨٠ تقريباً (التعليقة ٢٣٤) . ويروى [illegible]
أيضاً عن زيارة مع البحتري لعبيدالله بن عبدالله بن طاهر ، حين [illegible] في
المفاضلة بين أبي نواس ومسلم (ديوان أبي نواس ، نسخة آصف ، ص ١٣

٣٣٨) ابن رشيق : العمدة ٢ : ٢٢٥ .

٣٣٩) مطلع القصيدة :

ذَرِيني قُسْطَنْطِينُ آكلُ شَهوتي وتُبْشِيمني إني بذلك راضي

د ١٥٧ ظ

٣٤٠) رسالة القيان ، ص ٦١ .

٣٤١) مقدمة قصيدة في مدح الموفق ، قالها بعد انتصاره على الزنج في ٢٧٠
ومطلعها :

شَغَلَ المحبَّ عن الرسو مِ وإن غَدَتْ مثل الوشوم

د ٢٧١

٣٤٢) يوصف الخلال بزوج قسطنطينة في عنوان قصيدة مطلعها :

أنا غَيْرَانُ ولا زوجةَ لي بل على النعمةِ عند ابن خَلَفْ

د ١٨١

٣٤٣) يذكر ابن الرومي أن أم علي لديها مجموعة من الحسان ، في قصيدة في
القاسم يتكلم فيها عن طريقة معيشته :

لامٌ عليّ ربربٌ فيه آنس   من العين . . . .

د ٢٠٩ ظ

٣٤٤) كان الربرب المشار إليه في التعليقة السابقة مؤلفاً من عجائب ، وبستان ، وجلنار ، اللائي يصف محاسنهن .

٣٤٥) يقول ابن الرومي ، حين أُقصي عن مجلس القاسم :

أَذنِ شَخْصي إذا شَدَتْ لكَ بُستا   نُ وغَنَّتْ غناءها غَنَّـــاءَ

د ٥ ظ

٣٤٦) انظر التعليقة ٢٧٦ سابقاً .

كانت دُبْسية ساقية « تحدو الكئوس بغناء إسحاق » :

أما ودُبْسِيّةُ الكبرى بحضرِتكم   تحدُوالكئوسَ بأخوريٍّ إسحاقَ

د ١٩١

٣٤٧) كانت بدعة إغريقية ، يقول ابن الرومي عنها :

من بناتِ الرُّومِ لا يَكْذِبُنا   لونُها المُشرقُ عن مَنْصِبِهـــا

ويبدو أنها هي بدعة الكبرى ، التي يوجه لها ابن الرومي قصيدة ، يشغل الجزء الاكبر منها عتاب القاسم . وتُذكَر بدعة في موضع آخر بأنهـــا جارية القاسم وهو وزير . نشوار ٥٠ .

٣٤٨) مطلع المرثية :

يا هلْ من الحادثاتِ من وَزَرْ   للخائفِ المُستَجيرِ أم عَصَرْ

د ٩٩ ظ

٣٤٩) مطلع القصيدة الرئيسية في الثناء على دُرَيرة :

حبَّبتْ دُرَّةُ القيانَ إلينا مثلما بَغَّضتْ إلينا القيانا

د ٢٨٠ ظ

ومطلع الذم :

وَيْلَكِ يا قَدَّ الفَرَسْتُوجَهْ ما أنتِ واللهِ بِمَغْنُوجَهْ

د ٤٩

٣٥٠) انظر التعليقة ٢١٥ سابقاً .

٣٥١) الاغاني .

٣٥٢) لم يذكر مالك «وحيد» إلا في عنوان القصيدة الوحيدة التي تثني عليها (د٩٣٥) . ويُذكَر بنو وهب في قصيدة مظلومة . د ٢٧

٣٥٣) وفقاً للقصائد المشيرة إليها أو عناوينها . وقد قالت مظفر شعراً ملحوناً لسيدها فصحّحه ابن الرومي وأقام وزنه .

٣٥٤) كتب ابن الرومي إلى مرامي (وهو اسم غريب على امرأة) يسألها أن تجيب طلبه . قال :

أرِيني منكِ في أمري نُهوضا يُبيِّن ان شُغْلك بي كشُغْلي

د ٢١٣ ظ

٣٥٥) انظر التعليقة ١٦٥ سابقاً .

٣٥٦) قال ابن الرومي في شنطف نحواً من عشرين مقطوعة ، كلها هجاء عنيف . فهو يقول عن غنائها مثلاً :

وإنّ سكوتَها عندي لَبُشرى   وإن غناءها عندي لَمَنْعِي

د ١٦٩

٣٥٧) انظر التعليقة ٢٢٧ سابقاً .

٣٥٨) تعلن أنها مغنية رديئة وتذم أخلاقها .

٣٥٩) اتهم محباً بالعهر .

٣٦٠) لقب عيسى بن هارون بالامير ، في عنوان الابيات الخاصة بفهم .

٣٦١) يقول ابن الرومي عن الاثنتين :

دُرَيْرَةُ تَجْلُبُ الطَّرَبا   ونُزْهةُ تجلب الكُرَبا

د ١٧

٣٦٢) كان نظام القيان في الجاهلية . فقد أشار الاعشى مثلاً إليه . وكان بعض المقيّنين من ذوي المكانة . فكان « ابن رَمين (زَمين ، يَمين) أجلُّ مقيّن في الكوفة (الاغاني ١٣ : ١٣٢) » . وقال ابن الرومي بيتين في قينة حسناء ورقيبها قبيح دواما :

ما بالُها قد حُسِّنتْ ورَقيبُها   أبدا قبيحٌ قبِّح الرُّقباءُ

د ٢ ظ

ويذكر حافظة في موضع آخر :

وقد عَدِمَ المعصومُ فيه رقيبَهُ   كما عدم القيناتُ فيه الحوافِظا

د ١٦٥

وكان القيان المجتمع النسوي الوحيد خارج مجتمع العائلة . ويبين كتاب الاغاني وغيره مدى ما لقينة من حب . فيتضح من الاغاني أنهن كن موجودات في

الكوفة (١٢ : ١٠٦ ، ١٣ : ١٢٨) وبغداد (٢ : ١٢٢) والمدينة . ولا بد أن القيان اللائي ذكرهن الجاحظ في « رسالة القيان » كن من البصرة . ويقال ان الاشراف ألفوا أن يذهبوا إلى دور كثير من المقينين ، مثل ابن نفيس (الاغاني ١٣ : ١١٥) .

٣٦٣) مثال ذلك عَرِيب (لا عُرَيب) ودنانير .

أعلن معارضو زيارة القيان في « رسالة القيان » للجاحظ أن معظم الناس يذهبون إلى دورهم للتحلل الخلقي لا لسماع الغناء (ص ٦٥) .

٣٦٤) أطلق التعبير على الشاعر علي بن الجهم ورفاقه في بغداد (الاغاني ٩ : ١١٢) . وتبين قصيدة علي في دار المفضل التي كان يقيم فيها مدى ما كانت تتصف به من سوء الشهرة .

٣٦٥) يقول ابن الرومي :

لا تَلْحَ مَنْ تَفْتِنُه قَيْنَةٌ فإنَّ تصحيفَ اسمِها فِتْنَهْ

د ٢٨٧ ظ

و :

ولاح في القيانِ فقلتُ : مهلا رُمِيتُ بنَبْلِ أوتار القيان

د ٢٨٢

٣٦٦) في المقطوعة التي مطلعها :

إذا تَعاصَتْ قَيْنَةٌ مرّةً فلا تُجَمِّشْها بتُفّاحهْ

د ٥٣ ظ

٣٦٧) القوم الذين لم يكن لهم امتياز ما هم « الجماعات » التي يمدحها ابن الرومي أحياناً ، مثل :

عَجبتَ لقومٍ يَقبلون مَدائحي ويأبَوْن تَثْوِيبي وفي ذاك مَعْجَبُ
د ١٣

و :

للهِ دَرُّ عِصابةٍ جالسْتُهم وُقْر المَجالسِ عند طَيْشِ الطائشِ
د ١٤٨

وهؤلاء الذين يقول لهم :

ما كان مِثْلي مادحاً أمثالكم لولا اتّهامِي ضامِنَ الأَرزاق
د ١٨٨ ظ

٣٦٨) في مرثيته فيها :

عزيزٌ علينا ان تموتي وإننا نعيشُ ولكن حُكْمُ الموتُ فاحتكمْ

ولو قَبِل الموتُ الفداءَ بَذَلتُه ولكنّما يَعتـــامُ رائدُه العَيَمْ
د ٢٥٩ ظ

٣٦٩) يبدو هذا من أبيات تحتوي على ما يلي :

أراني وأمّي بعدَ فقْدانِ أُختِها وإن كنتُ في رَفهٍ بها وصَلاح

كفَرْخِ قَطاةِ الدَّوِّ بانَ جَناحُها فبات إلى حِضْنٍ بغير جناح
د ٥٨

٣٧٠) وفقاً لعنوان القصيدة التي مطلعها :

قُلْ لأيوبَ والكلامُ سِجالٌ والجواباتُ ذاتَ يومٍ تُدالُ
د ٢١٧

٣٧١) في قصائد مطالعها :

أَعِزهُ منك إصغـــاء وفَهْما   يُضِيء لك عُذْرُه ضوءَ الشهابِ

د ٤١ ظ

و :

يا ليتَ شِعْري والحوادثُ جَمَّةٌ   هل أَشتكي دهري وأنتَ صديقي

د ١٩٩

٣٧٢) البيت الأول هو :

وتُسلِيني الايامُ لا أنَّ لَوْعتي   ولا حزَني كالشيءِ يُنْسَى فيَعْزُبُ

د ١٤

٣٧٣) يقول :

أخي وإلفي وتِربي كان مولدُنا   معا وربَّتْنِيَ الأَيامُ حيثُ رَبَا

د ٤٢ ظ

٣٧٤) يقول :

ما تَزَوَّجتُها على غيرِ تأْمِيـ   ـلِكَ فانظرْ أجائز أنْ أخيبا

د ٢٧ ظ

٢٧٥) أعني :

ومَبِيتي بلا ضَجيعٍ لَدَى القُرِّ (م) وللوَغْـــدِ شادِنٌ مخضوبُ

د ٤٠ ظ

٣١٤) د ٥ ظ .

٣١٥) ذيل زهر الآداب ٢٤١ .

٣١٦) ١ : ٣٥١ .

٣١٧) وضح العقاد سخف هذا القول توضيحاً مناسباً .

٣١٨) يقول في قصيدة للقاسم مثلاً :

فَدَى نفسَه من قُبْحِ وجهيَ سيِّدٌ   وزيرٌ أبــوه سيِّدٌ ووزيرُ

د ١٢٨ ظ

وفي قصيدة أخرى له :

بحقِّ الوزيرِ ابن الوزيرِ وعَيْشِهِ   تأمَّلْ مَلِيّا هلْ على العَفْوِ نادمُ

د ٢٦٣

وهو يسمي القاسم عادة «ابن الوزير» ولا شك أن القصائد القليلة التي تسميه «الوزير» هي الأخيرة في الزمن .

٣١٩) يُروَى الخبر عن المنصور ووزيره [illegible] أبي الجهم (الفخري ١٣٩) .

٣٢٠) ذكر المرزباني ٢٨٣ [illegible] في جمادى الأولى من سنة ٢٨٣ (يولية ٨٩٦) ، وكذا قال الخطيب [illegible] ولكنه أضاف «ويقال ٢٨٤» . وجعلها ابن خلكان في [illegible] ٢٨٣ (١٥ يولية ٨٩٦)، وذكر أنه يقال في سنة ٢٧٤ و ٧٦ [illegible] الأخيرة لا قيمة لها ، إذ أن بني وهب لم يستعيدوا سلطة [illegible] يذكر ابن الرومي أحداثاً وقعت في ٢٨٢ .

٣٢١) تواسي المقطو[illegible] سليمان لموت ابن له ولما يحمله من

حزن مماثل على ابنه الآخر لحي*. وهي :

قُلْ لأَبي القاسمِ المُرَجَّى قابلكَ الدهرُ بالعَجائب

ماتَ لك ابنٌ وكان زَيْنا وعاش ذو الشَّيْن والمَعايب

حياةُ هـذا كموتِ هـذا فلستَ تخلُو من المَصائب

٣٢٢) يبدو أن ياقوت (الأدباء ٥: ٣١٨ -٩) هو المرجع الوحيد الذي ينسب إلى ابن الرومي المقطوعة وغيرها من شعر ابن بسام . ويبدو أنه كان يقتبس من المرزباني، بيد أن ما قاله الاخير عن ابن بسام لا يحتوي على شيء من هذا القبيل.

وهناك رأي يذهب إلى أن المقطوعة من نظم شاعر آخر ، هو أبو الحارث النوفلي ، ثم نسبت إلى ابن بسام . ياقوت : الادباء ٥ : ٣٢٠ ، ابن خلكان ١ : ٣٥٢ .

٣٢٣) الخطيب رقم ٧٣٢١ .

٣٢٤) نسب ابن الرومي أول أهاجيه في خـالد القحطبي إلى مثقال . المرزباني ٤٤٨ .

٣٢٥) لُقّب مرة بالحُرَيْثي .

٣٢٦) لعله أبو يوسف الدقاق اللغوي ، الاغاني ١٧ : ٢ ، فـإن كان الامر كذلك كان فيما يحتمل أكبر من ابن الرومي بقدر ملحوظ .

٣٢٧) لُقّب ايضاً بابن الخباز .

(*) يخيل اليّ أن الأبيات لا تواسي الوزير ، وانما تسخر منه ومن أبنائه - المترجم .

وربما لم يكن من التناقض أن يخبرنا أن مرآد في شبابه كان يسرّ النساء :

وكنتُ جِلاءً للعيون من القَذَى

فقد جعلتْ تَقْذَى لشَيْبي وتَرْقَدُ

د ٦٤ ظ

٣٨٥) قال الصفدي، المتحف البريطاني Or. ٦٥٨٧، الورقة ٨٠ وما بعدها:
« وكان وسخ الثياب .. » .

٣٨٦) هذا ما شعر به الناشىء حين قابله – ياقوت : الأدباء ٥ : ٢٣٥ .

٣٨٧) ياقوت : الأدباء ٥ : ٢٣٥ . ويقول الناشىء هنا إنه كان يلبس الدراعة .
ويخبرنا هو أنه لا يهمه أن يلبس الدراعة أو القباء وأنه يكره القلنسوة :

ولكنَّني مذْ كنتُ طفلا ويافِعــا

ومُقْتَبلا أُغْــرَى ببُغْضِ القَلانسِ

ولا أشتهي لُبس الدَّراريعِ والقَبا

ولا ذاك مما أرتضِي في الملابس

د ١٣٥

٣٨٨) انظر معجم لين .

٣٨٩) في القصيدة المذكورة في التعليقة ٣٨٧ وفي أخريين .

٣٩٠ و ٣٩١) في الفقرة المذكورة في التعليقة ٣٨٣ .

٣٩٢)لا يحسِبَنّي امرؤٌ تمْرا ولا أقِطا

فـــإنني الصَّبْرُ المـــأدومُ بالبِشرِ

د ١٥١

٣٩٣) د ١٦٨ .

٣٩٤) د ١٨١ ظ .

٣٩٥) د ٨٢ .

٣٩٦) ذيل زهر الآداب ٢٤٢ . لم يذكر المرجع الأصلي لهـذا الوصف لابن الرومي .

٣٩٧) ياقوت : الأدباء ٥ : ٢٢٢ ، ذيل زهر الآداب ٢٤٣ .

٣٩٨) ياقوت : الأدباء ٥ : ٢٤٢ ؛ ذيل زهر الآداب ٢٤٣ .

٣٩٩) الخطيب رقم ٦٣٨٧ .

٤٠٠) انظر القصيدة التي مطلعها :

رأيتُ مُنْكَسَر السُّكان ظاهِرُهُ   هَوْلٌ وتأويلُه فألٌ لَمنْجا كا

د ٢٠٨

٤٠١) وقد تفاءلتُ له زاجِرا   كُنْيَتَه لا زاجِرا ثَعْلَبا

. . . .

يَصُوغُها العكسُ أبا سابعٍ   . . . .

د ٢٥

٤٠٢) في القصيدة التي في أحمد بن ثوابة ، ومطلعها

دَعِ اللومَ إنَّ اللومَ عَونُ النَّوائِبِ
ولا تَتجاوزْ فيه حدَّ المعاتبِ

د ٢٢ ظ

٤٠٣) يقول راثياً صديقين :

وددتُ لو تمَّ لي حِجًى بقُربِهما ما كلُّ ما تشتهيه النفسُ يتّفقُ

د ١٩٨ ظ

٤٠٤) قد كنتُ بالله مُشركا وَثَنا فزال شِركي وصَحَّ إسلامي

أستغفرُ اللهَ منْ عِبادتِهم فإنها من عَظيم آثامي

طالتْ صَلاتي لها ورافدَها صوميَ من مالهم وإحرامي

د ٢٦٦ ظ

٤٠٥) وقد تَتوَّجتُ من وَلاءِ أبي الـ عباسِ تاجا يَسمُو به السامي

د ٢٦٦ ظ

٤٠٦) انظر التعليقة ٢٤ سابقاً .

٤٠٧) « وما أراه إلا على مذهب غيره من الشعراء ومن أولع بالطيرة »
رسالة الغفران ٢ : ٨١ .

٤٠٨) وارث النجدة . . . .

عن أميرِ المؤمنين المرتضَى لكتابِ اللهِ حقّا والسُّنَنْ

مرتضى أوصى إليه مُصطفَى وأمينٌ لم يخـــالف مؤتمَنْ

. . . . .

ومن التقصيرِ صَوني مُهجتي فِعْلَ من أضحَى إلى الدنيا رَكَنْ

د ٢٩٠ ظ

لم يعرف الحسين بن الحسن الذي يخاطبه ابن الرومي على هذا النحو ، وربمـا كان علوياً من غير البارزين .

٤٠٩) انظر التعليقة ١٢٦. ومن الشيعيين البارزين الآخرين الذين اتصل بهم ابن الرومي ابن بشر المرثدي ، وابن عمار ، والناشىء .

٤١٠) رجع الملكُ جديدا كالذي كان في بَدْءته حين طلَعْ

دولة شَبَّهـا* ذو كُنيةٍ وسَمَ المُلكَ بها وهو جَذَع

كُنيةُ السفّاحِ أهداها له مع مـيراثِ النبيِّ المتَّبَع

د ١٦٨

٤١١) أأرفضُ الاعتزالَ رأيـاً كلا لهَنِّي** بـه ضَنِين

د ٢٨٤

وذهب ابن الرومي كالمعتزلة إلى حرية الإرادة . ويشير إلى ذلك في قصائد لاحظها العقاد (٢١١) مثل :

أينَ اختيــارُ مخيَّر حسناتِه إن كنتَ لستَ تقول بالإجبارِ

* لعلها : شبها

** لهني : لأني

شهد اتفاق الناسِ طرّا في الهوى   وتفاوت الأبرار والفجّار

د ١٠٢ ظ

و :

الخيرُ مصنوعٌ بصانعِه   فمتى صنعتَ الخيرَ أعقبكا

والشرُّ مفعولٌ بفاعِله   فمتى فعلتَ الشرَّ أعطبكا

د ٢١٠ ظ

ويشير ابن الرومي إلى حرية الارادة في :

يُصرّفُه المختارُ منّا فتارةً   يُرادُ فيأْتي أو يُذادُ فيَذهبُ

د ٢٤ ظ

٤١٢) د ٢٦ .

٤١٣) أحلَّ العِراقيُّ النَّبيذَ وشُرْبَه

وقال : الحرامانِ المُدامة والسُّكْرُ

وقال الحجازيُّ : الشرابانِ واحدٌ

فحلَّتْ لنا بين اختلافهما الخمر

سآخذ من قولَيهما طرَفَيْهما

وأشربُها . . .

د ١١١

(٤١٤) يقول :

فدعْ شُرْبَها إذ أصبح الرأسُ مُشْرِقا
مُحاذِرَةً أنْ يُصبِحَ القلبُ مظلما

د ٢٥٠ ظ

(٤١٥) لا يزيد إلا قصيدة واحدة من قصائده في الخمر عن أربعة أبيات .
ومثالها المقطوعة التي بيتها الأول :

وشَمولٍ أرَقَّها الدهرُ حتى ما تُواري قَذاتَها بلَبوسِ

د ١٤٠ ظ

(٤١٦) توجد أربع قصائد عن رمضان ومطلع أولها، وهي في عشرة أبيات :

شهرُ الصيامِ وإن عظّمت حُرْمَتَه شهرٌ طويلٌ ثقيلُ الظلّ والحركَة

د ٢٠٤ ظ

(٤١٧) لو كنتَ في عصرِ النبيِّ محمدٍ أوحى الإلهُ بمدْحِك التنزيلا

د ٢٢٤

(٤١٨) يخبرنا بالصنف الذي يحبه من النساء في قصيدة مطلعها : * أحبُّ كلَّ غادةٍ ألحاظُها تكلّمُ * د ٢٤٦

ووصف الزيارة الخفية في القصيدة التي مطلعها :

زارتْ على غفلةٍ من الحرسِ تُهدي إليّ السلامَ في الغَلَسِ

د ١٤٦

٤١٩) يدين نفسه في قصيدة فاحشة جداً مطلعها :

رُبَّ غلامٍ وجهُه لا يَفْضَحُهْ   في بيتِ عزٍّ لا يُرامُ مَسْرَحُهْ

د ٦٢

٤٢٠) يقول في إحدى قصائده الأخيرة للقاسم :

والغِناءُ الشديدُ شَدْوًا وضَرْبا   سَحْنَة (؟) قد مَلأتُ منه الإناءَ

ولَحسْبي عرفانُ آلِ بُنَـــانٍ   وبُنَـانٌ شِرْبا مَعينا رَواء

ظَلْتُ عَشرا كَوامِلا في مَغانيـ   ـهِ أُغَنَّى وأَسمعُ الأَنحـــاء

د ٦ ظ

٤٢١) يقول :

سأُثلِجُ باصطِناعِ العُرْفِ صَدْرِي
وأُعْدِمُ كاهِلي ثِقَلَ الذنوبِ

د ٢٠ ظ

٤٢٢) وقائلةٍ بين أترابِهـــا   أَمَا يَتَّقِي اللهَ ذا في دَمِي

أَلا لَيْتَه زارَ مُستخفِيا   إذا رَقَدَتْ أعيُنُ النُّوَّم

فأنقَعَ من قُرْبِـــه غُلَّةً   بقَلْبِيَ من حبِّه الأَقْدَم

أتتني الرسالةُ عنها بذاك   على منطقٍ ليس بالأَعجمي

وأَنبأْتها أنني حـــافظٌ لأَشياخِها ذمَّةَ المُسلِمِ

د ٢٧٢

٤٢٣) « كان ابن الرومي منهوماً في المآكل وهي التي قتلته » . ذيل زهر الآداب ٢٣٩ .

٤٢٤) يقول ابن الرومي :

أإن اصطبغتُ ولُقمتي معضوضةٌ أنشأتَ تهجُوني بذلك ظالما

عيبٌ لَعَمْرُكَ غيرَ أنْ لم آتِهِ عَمْدا فهَبْني هافِيا لا جارما

د ٢٦٠

٤٢٥) ذَريني قُسطَنْطِينُ آكلُ شَهْوتي وتُبشِمني، إنّي بذلك راضي

د ١٥٧ ظ

٤٢٦) انظر التعليقة ٢٢٨ سابقاً .

٤٢٧) في قصيدة مطلعها :

ما إنْ سمِعْنا من طعامٍ حاضرٍ نَعْتَدُّه لفُجـــاءةِ الزوّار

د ١١٠ ظ

٤٢٨) ذكرت في قصيدة :

وأتتْ قطائفُ بعد ذاك لطائفٌ

ترضى اللَّهاةُ بها ويرضى الحَنْجَرُ

د ١٠٦

ويبدو أن القصيدة القصيرة في القطائف ، المنسوبة إلى ابن الرومي ، هي في الحق من تأليف علي بن يحيى . انظر ذيل زهر الآداب ٢٣٦ .

٤٢٩) حلوى . يقول ابن الرومي لابن بشر :

لا يُخطِئنِّي منك لَوزِينَجٌ   إذا بَدا أعْجَبَ او عَجَّبا

د ٢٥ ظ

٤٣٠) يقول ابن الرومي :

للمَوْزِ إحسانٌ بلا ذنوبِ   ليس بمَعْدودٍ ولا مَحْسوبِ

د ٢٢

٤٣١) وسَميطةٍ صفراء دينارية   ثمناً ولونا زَفَّها لك حَزْوَرُ *

د ١٠٦

٤٣٢) المروج ٢ : ٣٨٧ . ليست هذه القصيدة في مخطوطة القاهرة .

٤٣٣) توجد ست قصائد في هذا الموضوع . قد نمثل لها بالتي مطلعها :

بات يدعو الواحدَ الصَّمَدا   في ظـلامِ الليلِ مُنفرِدا

د ٩٥ ظ

ومطلع احدى الاشارات إلى الملاك :

غُصُنٌ من البانِ في وشاحِ   رُكِّبَ في مَغْرِسٍ رَداحِ

د ٥٥

٤٣٣ (١) يروي الاغاني أن أبا تمام كوفيء أكثر من مرة بألف دينار للقصيدة

---

* قد تكون : جؤذر .

الواحدة . وأكبر جائزة ذكر أن ابن الرومي أخذها ١٠٠ دينار .

٤٣٤) انظر التعليقة ٤١٥ .

٤٣٥) يقول لرجل :

سألتُ قَفِيزَيْنِ من حِنْطَةٍ فجدتَ بكُرٍّ من المَنْعِ وافِ

د ١٨٤ ظ

ولآخر :

فتَعوَّذْ بحنْصةِ الكشْك منها عائذا بالجميلِ عَوْذَ الكرام

د ٢٦١

٤٣٦) يسأل قطنا : * فاقسِمْ لنا من رِيع قُطنِك حِصَّة * د ٢٥١ .

٤٣٧) انظر التعليقة ٤٢٦ .

٤٣٨) يقول إن ما يريده هو :

وهو البَخُورُ الذي مُحَصَّلُنا من ملكه قَتْرَةٌ وإعْصَارَهَ

د ١١٤

٤٣٩) في التعليقة ١٣٥ إشارتان إلى وعد بكساء من محمد بن علي النوبختي .

ويقول ابن الرومي لآخر :

فعجِّلْ بالكساء فإنّ قلبي إليه مستَهامٌ مُستطار

د ١٣١ ظ

ولآخر :

إن تَكْسِني يَكْسِك المعروفُ من كَثَبِ

ثوبا جميلا تراهُ أعيُنُ الفَصِن

د ٢٧٦

٤٤٠) يقول عن الوعد ببغل :

هو بَغلٌ أَوْعَدْتَنِيه فإن أَخْ لَفْتَ ضاهتْ أخلاقَه أخلاقُك

د ٢٠٥

٤٤١) انظر التعليقة ٥٣ .

٤٤٢) انظر التعليقة ١٩٤ .

٤٤٣) يقول عن الاملاك :

أحِينَ أَسَرْتُ الدهرَ بعد عُتُوِّهِ وفَلَّلتُ منه كلَّ نابٍ ومِخْلَبِ

. . . .

تَهضَّمُني أنثى وتَغْصِبُ جهرةً عَقارِي؟ وفي هاتِيكَ أعجَبُ مُعْجَبِ

ويشير إليها في قصيدة أخرى قالها في العهد نفسه . د ٢٨

٤٤٤) يقول مشيراً إلى النار :

وبعدُ فإنّ عُذْرِي في قُصُورِي عن البابِ المُحجَّب ذي البَهاء

حدوثُ حوادثٍ منها حريقٌ تَحيَّفَ ما جمعتُ من الثّراء

د ١ ظ

٤٤٥) يقول لوهب بن سليمان ، ملتمساً إعفاءه من الضرائب :

وَهْبُ، يا واهبَ الهباتِ اللّواتِي قَصُرتْ دونَها الهباتُ الرِّغابُ

هَبْ لراجيكَ ما عليه فإنّ اسْمَك وَهْبٌ ووَسْمَك الوَهّاب

د ٢٢

ولعبيدالله بن عبدالله :

حطّ ثِقْل الخراجِ عني وقد كا   ن كأركانِ يَذْبُلٍ وشِمامِ

د ٢٦٩ ظ

٤٤٦) يقول ابن الرومي :

ليَ زرعٌ أتى عليه الجرادُ   عادَني مُذْ رُزِئْته العُوّادُ

كنتُ أرجو حصادَه فأتاه   قبلَ ان يبلغَ الحصادَ حصاد

د ٧٦ ظ

٤٤٧) يقول :

يُحاسِدُوني وبيتي بيتُ مَسْكنةٍ   قد عَشّشَ الفقرُ فيه أيَّ تَعْشيشِ

د ١٥١

٤٤٨) يقول لعبيدالله بن عبدالله :

وقد كنتُ ذا وَفْرٍ من المالِ فاقْتَفى

بــــه جَذَعٌ جمٌّ الحوادثِ أزلَمُ

د ٢٤١ ظ

٤٤٩) ولعبيدالله بن عبدالله ايضاً :

أتحرِمُني لأنّي مُستغِلّ   وأني لستُ كالرّزَحى السِّغابِ

د ٢٩ ظ

٤٥٠) يقول لابن عمار ، في الستين من عمره تقريباً :

أيُّها الحاسِدِي على صُحْبَتي العُسْــرَ وذَمِّي الزمانَ والإخوانا

د ٢٧٩

٤٥١) يقول للقاسم :

فَقومٌ بما دون المَجاعةِ إنها سهامٌ حدادٌ بل سيوفٌ صوارمُ

د ٢٦٣

٤٥٢) وللقاسم أيضاً :

ليَ خمسون صاحباً لو سألتُ ال قوتَ فيهم ألفيتُهم سُمَحاءَ

د ٦ ظ

٤٥٣) وللقاسم ثانية :

كلما جُدتَ لي تبعتُك في الجو دِ فبذَّرتُ يَمْنةً وشَمالا

د ٢١٣

٤٥٤) ص ١٦٥

٤٥٥) انظر التعليقة ٣٢٠ .

٤٥٦) كان ديوانه نصف ديوان مسلم ، الذي تحتوي النسخة المطبوعة منه على قريب من ٣٦٠٠ بيت . ويروي الفهرست أن ديوان مسلم كان يضم متي ورقة .

٤٥٧) صححت هذه المخطوطة تصحيحاً علمياً . وتضم – عدا النص – قدراً صغيراً جداً من الشروح والروايات ، ربما تبلغ جميعاً «دستتين» أو ثلاثاً .

٤٥٨) في هذه المخطوطة قصيدة همزية في الصحيفة ١٩٢ ، اليسرى من النسخة رقم ٣٨٦٠ ، بينا القصيدة الاخيرة من المجلد كافية القافية . ولذلك فترتيبها الالف بائي ليس متبعاً بانتظام .

٤٥٩) يظهر من عبارة في صفحة العنوان وأحد كتب خليل بن أيبك الصفدي

في دمشق ٧٦٤» أن هذه النسخة كانت في حيازة ذلك المؤلف المشهور زمناً ما . والسنة المذكورة هي التي توفي فيها الصفدي .

٤٦٠) برغم أن الاميرين المذكورين ينبغي أن يكونا معروفين،فإنهما لم يذكرا فيما بين يدي من كتب . والهذباني والروادي نسبتان أيوبيتان. انظر ابن خلكان ٢ : ٣٧٦، في صلاح الدين بن يوسف .

٤٦١) مثلاً لا يوجد في مخطوطة القاهرة اثنتان من ثلاث قصائد في هجاء أبي حفص في مخطوطة القسطنطينية تحت رقم ٣٨٥٩ ، صفحة ٦٥ اليسرى ، ولا قصيدة في مخطوطة القسطنطينية برقم ٣٨٦٠،الصفحة ٢٥٢ اليمنى ويقول عنوان قصيدة في القسطنطينية ٣٨٥٩ الصفحة ٢ اليمنى ، « يمدح القاسم ويهنّيه »، على حين يحذف عنوان القصيدة نفسها (٨٧) في القاهرة ويقتصر علـى « يمدح » ، ويضيف أن المعتضد كان ولي العهد إذ ذاك ، وهي حقيقة لا تذكرها المخطوطة الاخرى. ونجد في هذه القصيدة «جَدُود» ذات لبن قليل، في القاهرة، في مقابل «جدوْد» في القسطنطينية، ومن الواضح أن الاولى هي الصحيحة؛ وفي القاهرة ٨٧، ١ – ١٩ نجد « الحصون » التي لا معنى لهـا ، على حين أنها في القسطنطينية «الغصون»، التي لا شك أنها تصحيف طفيف لكلمة «الغضون» ، وهي القراءة الصحيحة حتماً ؛ وفي القاهرة ١٣٠، ١ – ٨ «تجيل» ، ولكنها في القسطنطينية ٣٨٥٩، الصفحة ١٣٠ اليسرى، «تخيل» ، ويبدو أنها هي الصحيحة .

٤٦٢) لم أجد في مخطوطة القاهرة ست قصائد، في اثنتي عشرة صورة لصفحات اختبرتهـا من مخطوطة الاسكوريال ، وهي اثنتان في الورقة ٢٣٨ ظ ، وثلاث في الورقتين ١٩٨ ظ ، ١٩٠ وواحدة في الورقة ٢٨٩، ظ .

٤٦٣) يوجد بعد قصيدة في القاسم (د ١١٤ ظ) أبيات قليلة في الرثاء عنوانها «وقلت» ، وربما كان معنى ذلك أنها من قلم الجامع في القاسم أيضاً . وإذا كان كذلك فربما كان الجامع ، المعاصر للقاسم ، هو الصولي .

٤٦٤) كثيراً ما تكتب الضاد ظاء، مثل الظنى بدل الضنى ٢٣ ظ ١ — ٢؛ وكتبت الظاء ضاداً مرة أو اثنتين مثل «قائضا» بدلاً من «قائظا» ١٦٥، ١ —١٨. وحذف الألف كثير في المخطوطة كلها. وتميز السين في بضعة مواضع بثلاث نقط من تحتها، والدال في موضع أو اثنين بنقطة مفردة من تحتها. وقلما توضع علامة الهمزة على الهمزة المتوسطة، وإنما يكتفى بالياء المنقوطة.

٤٦٥) ص ٤٧٩.

٤٦٦) جميع الشواهد الثمانية التي أخذها المروج، القاهرة ٢ : ٣٥١ — ٣، من ابن الرومي موجودة في مخطوطة القاهرة، ما عدا اثنين من قافية ليست في المخطوطة، ولكن بينها بضع خلافات كبيرة في نص شاهدين منها. وينسب في نهاية النويري لابن الرومي قدر كبير من القصائد غير الموجودة في مخطوطة القاهرة. فلم اجد إلا تسع عشرة من ثلاثين اقتباساً في المجلد الثاني من هذا الكتاب. كذلك لا يوجد في مخطوطة القاهرة قطعتان من ثلاث في العمدة ٢، ٨٢، ٢٢٥، وأبيات في زهر الاداب ١ : ٣١٧ و ٣ : ١٠٥.

٤٦٧) مطلع القطعة المطبوعة في ٢ : ٣٨٧ من المروج :

يا سائِلي عن مَجْمَعِ اللّذاتِ سألتَ عنهُ أنعتَ النُّعّاتِ

وتوجد هذه القصيدة في مخطوطة الاسكوريال ٢٩٠.

كان المستكفي خليفة منذ ٣٣٣ إلى ٣٣٤.

٤٦٨) هو الناجم. ذيل زهر الآداب ٢٤١.

٤٦٩) انظر د ٣١، ٤٢ ظ، ٤٨ ظ، ١٢٧ ظ، ١٦٩، ١٩٧، ٢١٢، ٢٣١ ظ.

٤٧٠) انظر التعليقة ٦٦ . وهناك مثال آخر هو إشارة في قصيدة هجاء فيمن يسمى أبا أيوب الى قصيدة مدحه بهـا ، وليست في مخطوطة القاهرة . انظر د ٣٥ ، ١ : ١٠ .

٤٧١) انظر التعليقة ١١٠. والردود في د ٨ ، ٣٢ ظ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٦٣ظ ، ٨٦ ظ ، ٩٦ ظ . ومن الممكن طبعاً أن يكون ابن الرومي لم يتم الرد .

٤٧٢) فتتألف أطول قصيدتين ، من نحو أربع وخمسين قصيدة في عبيدالله ابن عبدالله ، من ٢٩٩ و ٢٧٢ بيتاً ، ولا يزيد عن مئة بيت إلا اربع من بقية القصائد . وتضم القصيدة الطويلة في صاعد بن مخلد ٢٣٢ بيتاً (د ٦٤ ظ)؛ وتضم أطول قصائده في ابن بلبل ٢٣٩ بيتاً (د ٢٧٧) ؛ وأطول قصائده في القاسم ٢١٥ بيتاً (د ٥) .

٤٧٣) أمثلة المقدمات : فقد الشباب ٤٢ ظ؛ كبر السن ١٠ ظ؛ ٦٣ ، ٩٧ ، ١٥٣ ظ ، ١٦١ ، ١٩٧ ؛ بستان ١٤٤ ، ٢٥٥ ظ ، ٢٦١ ؛ الخمر ٢٣١ ؛ تقلبات الزمن ٣٢ ظ ؛ الاحتفال في بغداد ٢٨٤ ظ ؛ حوار ٢ ظ ، ٧٤ .

٤٧٤) يوجد في د ١٨٩ ظ مثال لقصيدة مدح تضم ٩٩ بيتاً دون اية مقدمة .

٤٧٥) أمثلة المقدمات : د ٢٣ ظ ، ٢ : ١ - ١٠ ؛ ٦٧ ، ١ : ١٠ - ١٥ .

٤٧٦) يقولون ما لا يفعلون مَسَبَّةً مِنَ اللهِ مَسبوبٌ بها الشعراءُ

وما ذاك فيهم وَحْدَه بل زيادةٌ يقولون ما لا يفعلُ الامراء

د ٤ ظ

٤٧٧) لولا عبيدُ اللهِ قُلتُ ، ولم أخفْ رَهَقَ الجَناحَ

يا مادحَ القومِ اللئام وطالباً نيلَ الشِّحاحِ

د ٥٤

٤٧٨) يوجد بين عشرين وثلاثين قصيدة من هذا النوع.

٤٧٩) بخيلٌ يصومُ أضيافه فيَبْخَلُ عنهم بأجرِ الصِّيام

يدسُّ الغــلامَ فيُوليهمُ جفاءً فيَشْتِمُ مولَى الغُلام

فيحتالُ بخلاً لان يُفْطِروا على رَفَثِ القولِ دونَ الصعام

لقد جاء باللومِ من قَصّه وتمَّ له البخلُ كل التَّمام

د ٢٤٨ ظ

٤٨٠) لا تَحْسَبَنَّ عُرامِي إنْ مُنيتُ به

إحدى المَواعظِ أو بعض التَّجاريبِ

بَلِ البَوارُ الذي ما بعدَ مَوْقعِه

نفْعٌ بوَعْـظٍ ولاَ نفعٌ بتَجْريب

د ١٢ ظ

٤٨١) الاغاني ١٣ : ٨٤ .

٤٨٢) د ٢٧ .

٤٨٣) رسالة الغفران ٢ : ٧٤ .

٤٨٤) د ٧٠ ظ .

٤٨٥) احدهم ابراهيم بن المدبر الذي يقول له :

أرْدُد عليَّ قَراطِيسي ممزَّقةً كيْما تكونَ رُؤوساً للدَّساتِيجِ

د ٤٨

و :

رددتَ عليّ مَدْحي بعد مَطْلِ

د ٦٧ ظ

ويقول لجماعة أخرى :

قُلْ للذين مدحتهم فكأنَّما مُسِخوا كلاباً غيرَ ذات خَلاقِ

رُدُّوا عليَّ صَحائِفا سوَّدْتُهـــا فيكم بلا حَقٍّ ولا استحقاق

د ١٨٨ ظ

٤٨٦) يقول :

إنْ كنتَ من جهلِ حَقِّي غيرَ مُعْتذرِ

أو كنتَ من رَدِّ مَدْحي غيرَ مُتَّئِبِ

فأعطِني ثمنَ الطِّرْسِ الذي كُتِبَتْ

فيه القصيدةُ أو كفّارةَ الكَذِبِ

د ٢٦ ظ

٤٨٧) مثل :

قد مَشَقْنا في قَراطِيسِك هاتيكَ الرِّقاق

د ١٩٦

أظنُّ القَراطيسَ في مِصْرِكم تخوَّنَهـا ريبُ دهرٍ خَئُون

د ٢٧٨

ـحل بالقرطاس والخطَّ عن أخ

د ٢٧٨ ظ

٤٨٨) انظر التعليقة ٤٨٥ سابقاً .

٤٨٩) يقول :

والقراطيسُ خافقاتٌ بأيديكُم (م) كَمَرهُوبِ خافقاتِ البُنود

د ٦٩ ظ ، ١ — ١٨

٤٩٠) يقول :

يُلاحظ دنياهُ فأحلَى متاعِها طَوَامِيرُها في عينِه وشمُوعُها

د ١٧٦ ظ

ونلاحظ ايضاً «وحكمة الروم في مهارقها» د ١٨٩ ظ ، حيث واضح أن «مهارق» جمع «مُهْرَق» التي يقال في معجم كزيمرسكي Kazimirski إن جمعها شاذ ، وهو «مهاريق» ، ومعنى الكلمة قطعة من الورق او من البردي على السواء .

٤٩١) كانت دواوين مصر ،التي كانت تدوّن في أول امرها على الصحف المدرجة، تدون في ايام العباسيين على الجلود . ثم استُجلب الكاغد في عهد جعفر بن يحيى ابن خالد وشاع استعماله (المقريزي : الخطط ، ويت ٢٣٣ — ٤ الجهشياري ، الورقة ٤٥ ظ من اسفل) .

٤٩٢) منحتُكَهَا بيضاءَ في صدرِ حافظٍ

وإن مَثَلتْ سوداءَ في رَقِّ راقمِ

د ٢٥٩ ظ

٤٩٣) يقول :

بَحسْرتي للورَقِ المكتوبِ فيه مثلُ هَذْرِكْ

د ٢١١

٤٩٤) يقول :

رضيتُ بما كنتُ أمّلته   بأجرِ ورّاقي وغُرم الورَق

د ١٨٩

٤٩٥) يعتذر عن تفسيره قصيدة مدح بها ابن بلبل. د٢٧. ويُلحَق بقصيدة في عبيدالله بن عبدالله د ٣٦ ظ شرح، من ابن الرومي او غيره. ويقال عن قصيدة اخرى : «نسخ القصيدة [ابن الرومي] له [لعبيدالله بن عبدالله] وفسّر غريبها وفعل مثــل ذلك بعلي بن يحيى » . د ٢٠٦ . ويعتذر لابن بلبل عن الشرح .
د ٢٠١ ظ

٤٩٦) مثل بَدبَخت د ١٧١ ظ ، ١ : ٩ ؛ ماخوري : شعر الخمر* د ١٩١، ١ : ١٥ ؛ دروز د ١٣٤ ، ١ : ٨ ؛ اكواش : آذان د ١٥٠ ظ ، ١ : ١٥ ؛ شَبروز ١٣٤، ١ : ٢٢ ؛ دَستَبَند ١٠٥ ظ ، ١ : ١ ، ٦٨ ، ١ : ١٧ ؛ دَستيجَه د ٩١ ، ١ : ٣ ؛ كَدخُدا ٥٠ ، ١ : ٢٠ ؛ فَرَستُجَــه ٤٩، ١ : ٢ ؛ دَستَنبُويَه د ٢٩٦ ظ ؛ كرود ٦٩ ، ١ : ٢٢ ؛ بيل : الآس د ٢١٤ ، ١ : ١٥ ؛

٤٩٧) يقول :

وإنْ سَقَطاتي في كتابي تَتابعَتْ   فلا تَلْحَني فيما جنيتُ على ذِهْني

ظُلِمتُ فإنْ أَلْحَنْ فظلمُك خَلّتي   جَنَى زَلّتي والظلمُ شرٌّ من اللحن

د ٢٧٨ ظ

٤٩٨) يقول :

لم أحتشِمْ كَرّها** عليك ولا   سَدّيَ مُنهـا مواضعَ الخَلَلِ

د ٢٢٠ ظ

(*) هذا خطأ وانما الماخوري لحن لإسحاق الموصلي.
(**) أي القصيدة .

٤٩٩) من المواضع التي ذكر فيها نقد شعر ابن الرومي د ٢١ . وتحتوي هذه القصيدة على البيت المشهور :

قد تُحسِنُ الرُّومُ شِعْرا ما أَحْسَنَتْه العُرَيْبُ

د ٥٣ ظ، د ٧٦

ويقول :

ونَكرتُمُ أنْ كان صَدرَ قصيدةٍ ذِكْرايَ غُصْنَ مُنعَّمٍ وكَثيبَه

د ٣٠ ظ

٥٠٠) د ٢١٦ .

٥٠١) ص ٢٨٩ .

٥٠٢) ١ : ٢٥٥ .

٥٠٣) ص ٢٤١ .

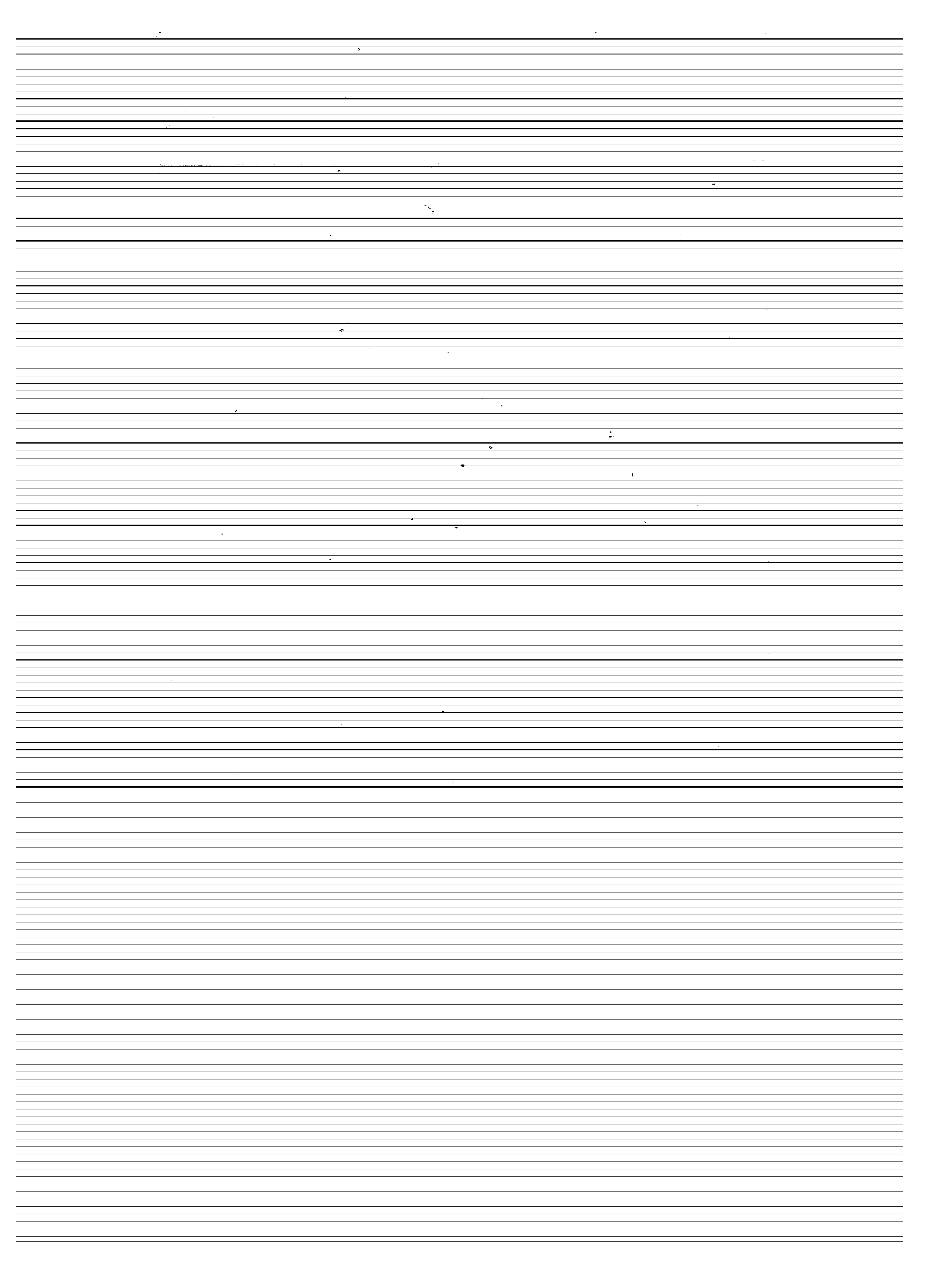
٥٠٤) ١٢ : ٢٣ .

٥٠٥) الانساب ٢٦٣ .

٥٠٦) ٢ : ٧٣ .

٥٠٧) المتحف البريطاني، Or. ٦٥٨٧ ، الورقة ٨٠ وما بعدها .

٥٠٨) كشف الظنون ١ : ٤٩٨ .



فهرس

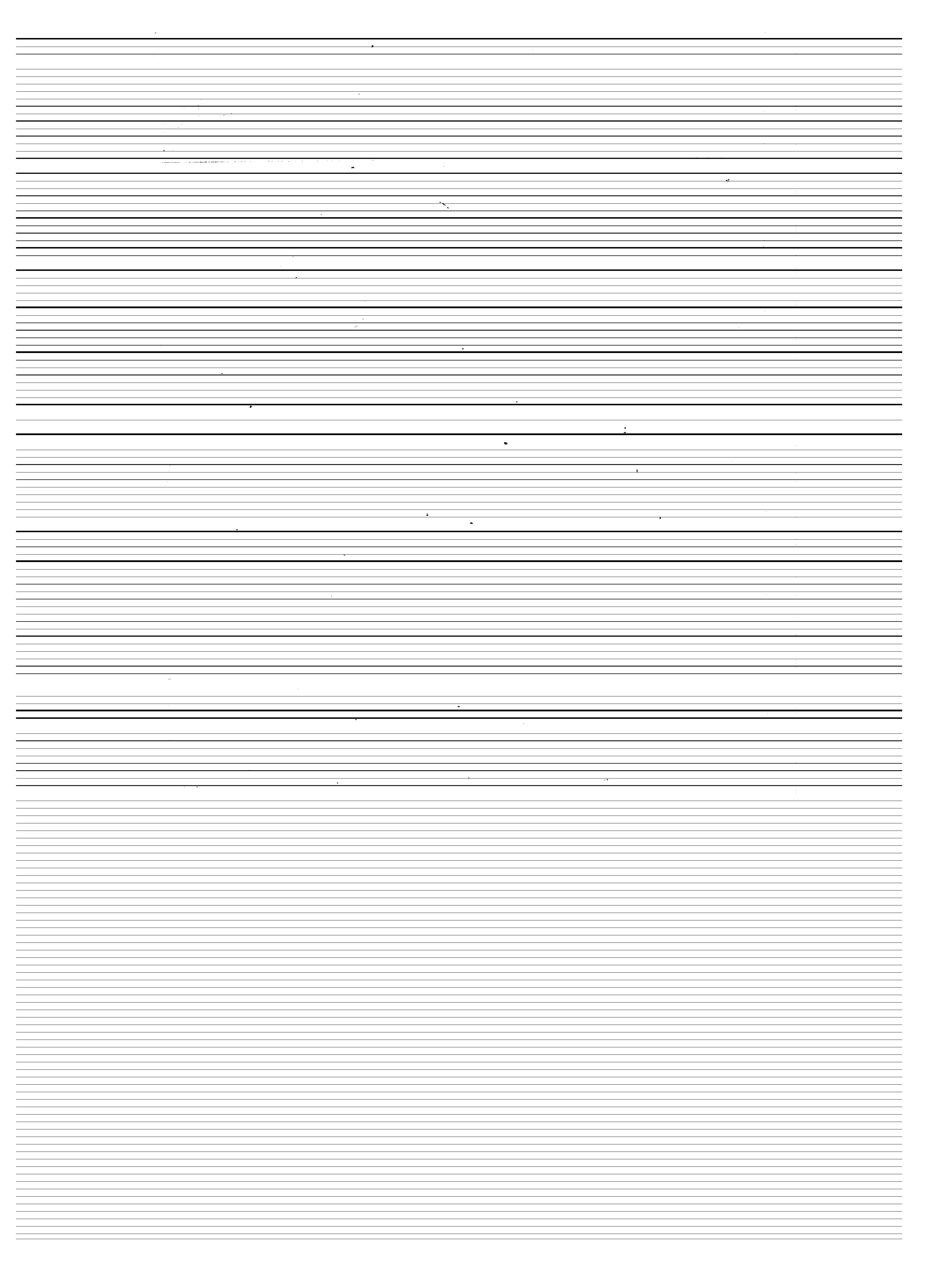
مخطوطة مجموعة قصائد

أبي الحسن علي بن العباس بن جريج

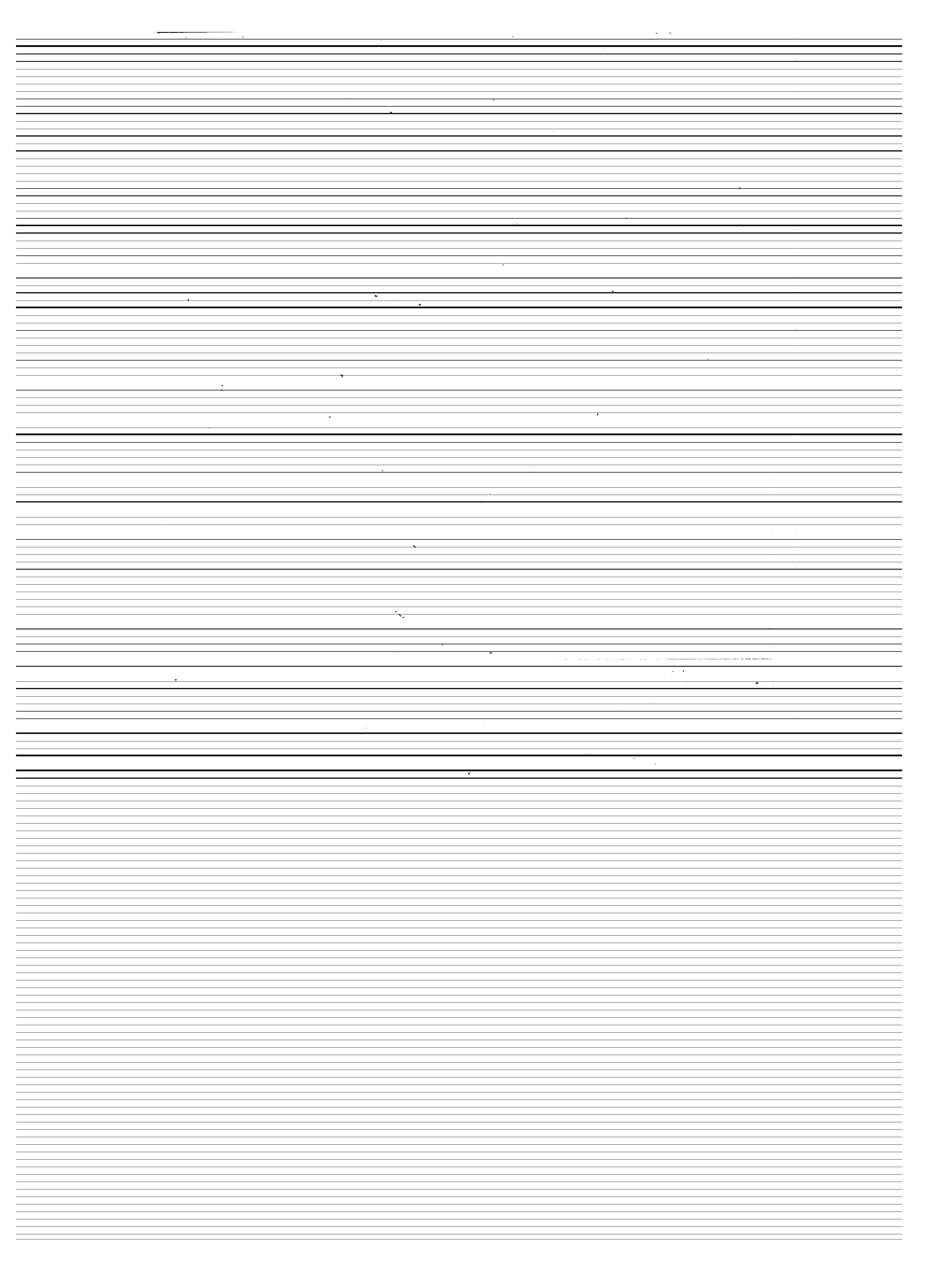
ابن الرومي

المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة

تحت رقم ١٣٩ أدب



فهرس



المراجع

ابن الأثير : الكامل ، القاهرة ، ١٣٠١ .

ابن خلكان : وفيات ، القاهرة ، ١٣١٠ .

ابن رشيق : العمدة ، القاهرة ، ١٩٣٤ .

ابو نواس : ديوانه ، طبع آصف ، القاهرة ، ١٨٩٨ .

الاغاني ، بولاق ، ١٢٨٥ . دار الثقافة بيروت ١٩٦٠ .

البحتري : ديوانه ، بيروت ، ١٩١١ .

الحصري : مؤلف زهر الآداب وذيله .

حمزة الاصبهاني : تاريخه ، ١٨٤٤ .

الخطيب البغدادي، القاهرة ، ١٩٣١ .

خواندان نوبخت ، طهران ، ١٩٣٣ .

ديوان ابن الرومي ، مخطوط ، ١٣٩ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .

ذيل زهر الآداب ، القاهرة ، ١٣٥٣ .

رسالة الغفران ، المعري ، القاهرة ، ١٩٢٥ .

رسالة القيان ، الجاحظ ، القاهرة ، ١٩٢٦ .

زهر الآداب ، القاهرة ، ١٩٢٩ .

السمعاني : الانساب ، مجموعة جب .

الصفدي ، مخطوطات المتحف البريطاني ، Or ٦٥٨٧ .

الطبري : تاريخه ، ١٨٧٩ .

العقاد : ابن الرومي ، حياته .

الفخري ، القاهرة ، ١٣١٧ .

الفرج بعد الشدة ، القاهرة ، ١٩٠٤ .

الفهرست ، تحقيق فلوجل .

القفطي : الحكماء ، القاهرة ، ١٣٢٦ .

كشف الظنون ، الآستانة ، ١٣١٠ .

المرزباني : معجم الشعراء ، القاهرة ، ١٣٥٤ .

المروج ، المسعودي ، القاهرة ، ١٣٠٢ .

المقريزي ، بولاق ، ١٢٧٠ .

المكتبة الجغرافية العربية ، ١٨٧٠ - ٩٣ .

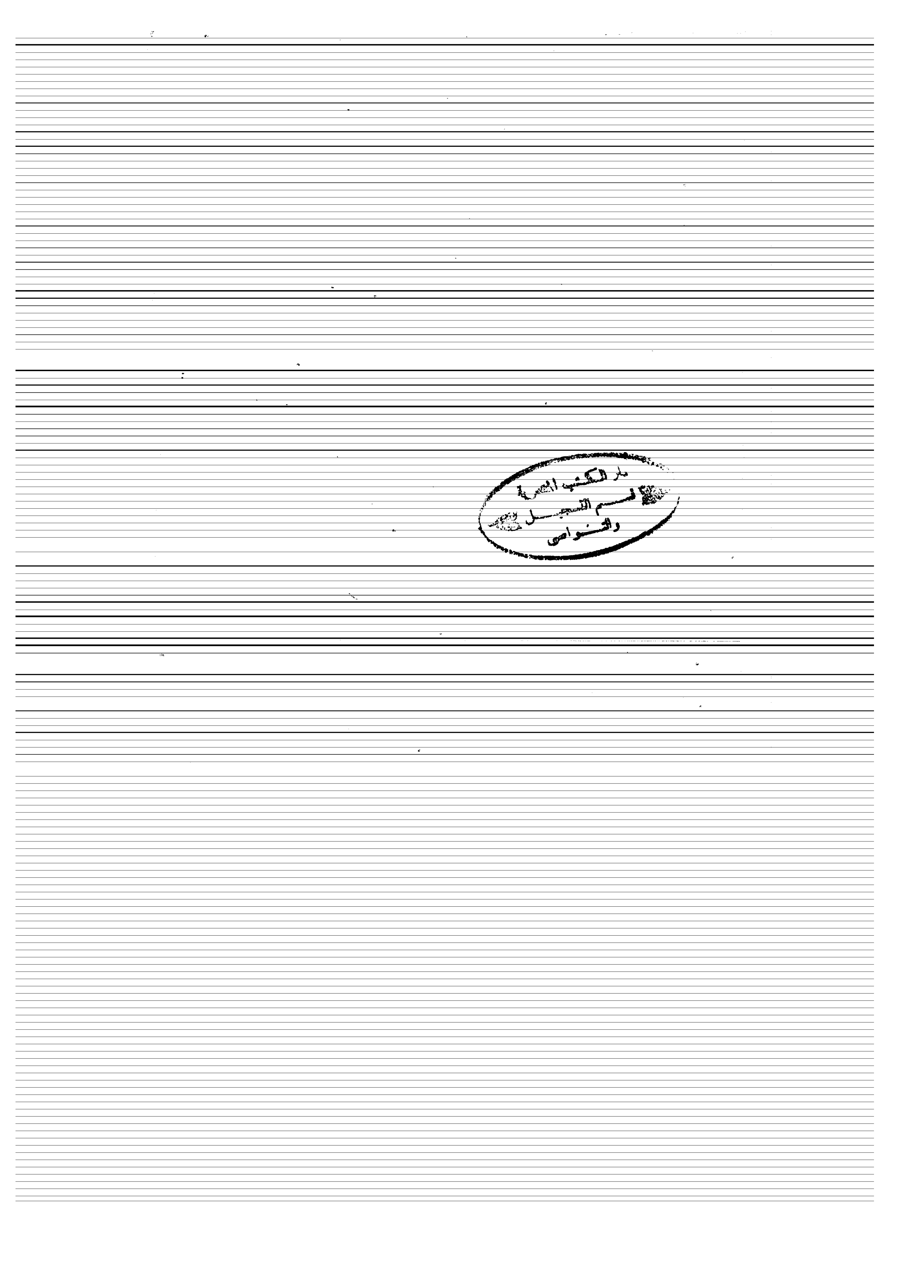
نشوار ، تحقيق مرجليوث ، ١٩٢١ .

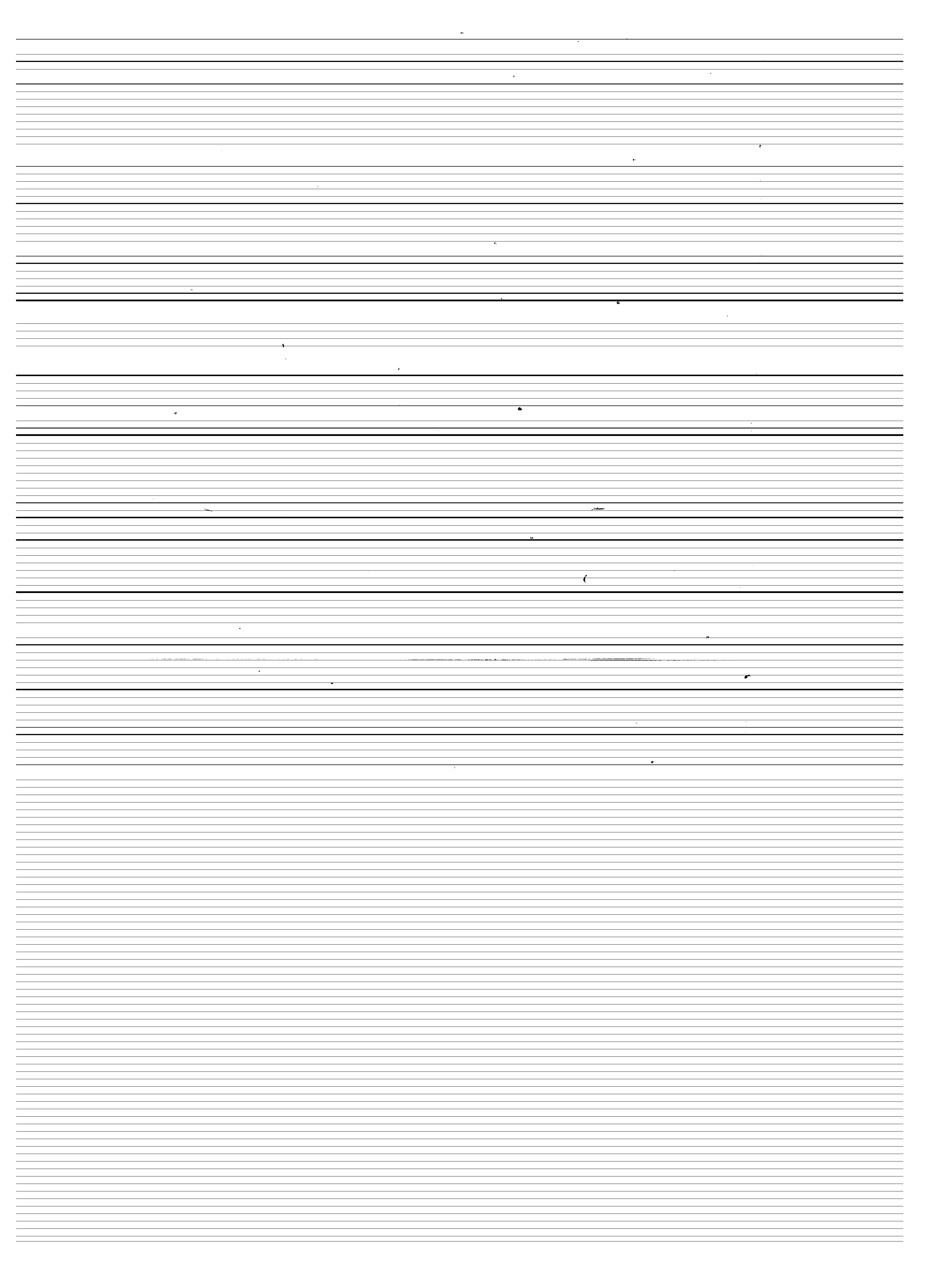
نشوار ، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٣٠ .

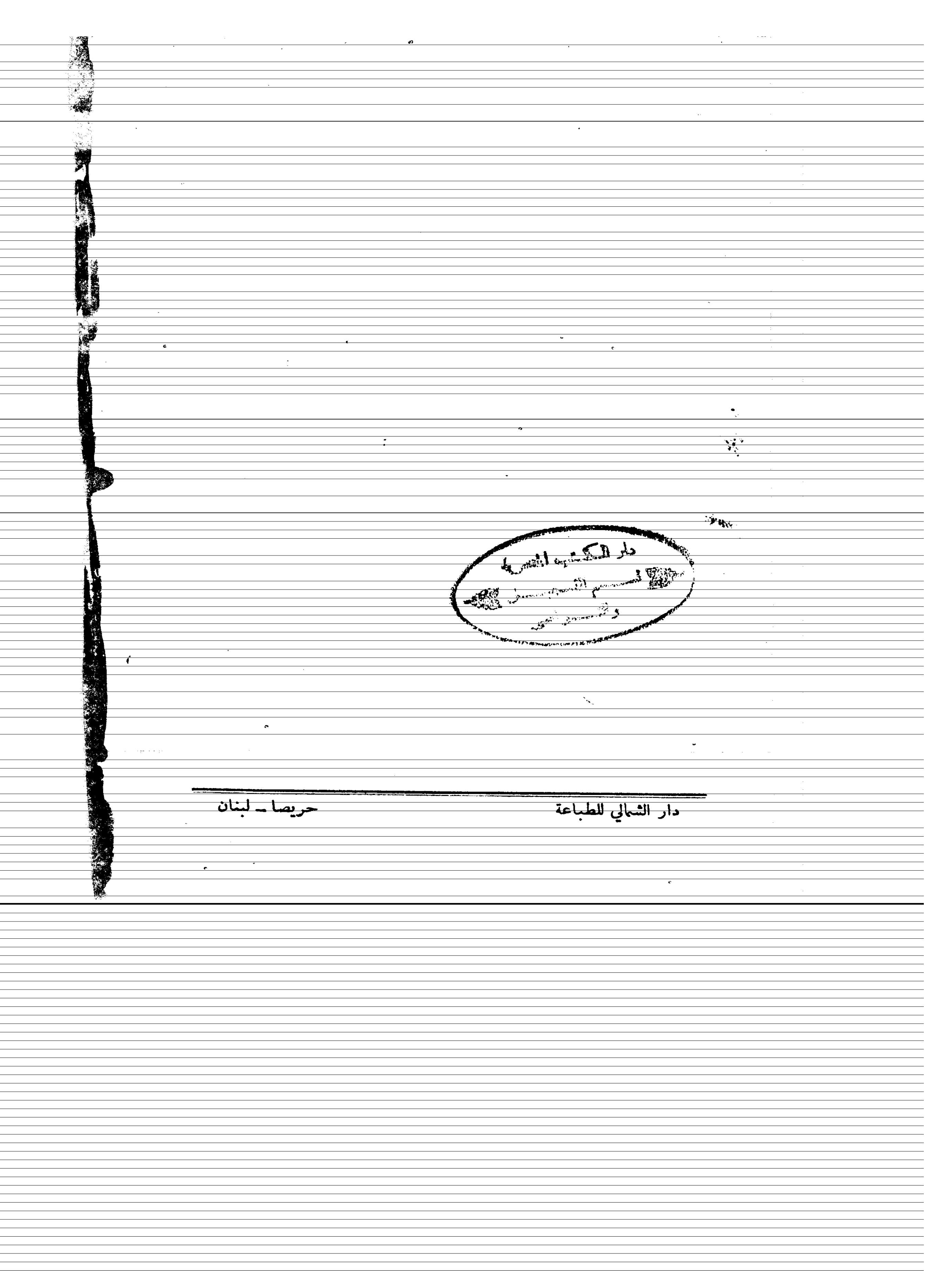
هلال الصابي ، الوزراء ، تحقيق أمدروز .

ياقوت : الادباء ، مجموعة جب ٦ ، الطبعة الاولى .

فهرس المحتويات







دار الشمالي للطباعة　　　　حريصا ـ لبنان